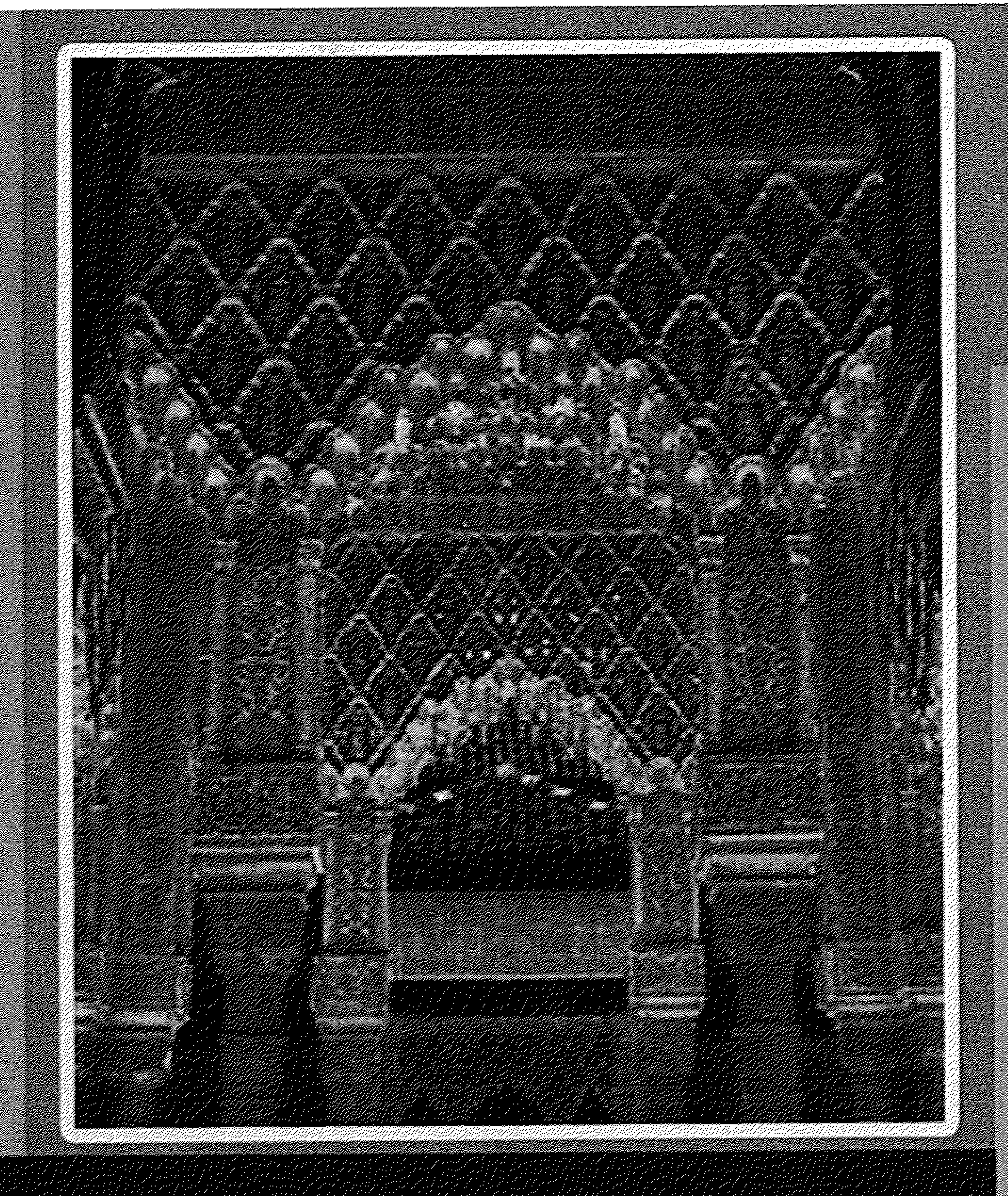
سلسلة الدّراسات التَّربويّة الإسلاميّة ٧

# التّربية والتّعليم

## في كتب التّراث

طبقات الحنابلة.
ترتيب المدارك وتقريبُ المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.
معجم الأدبـــاء.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
وفيـــات الأعيـــان.


تهذيب الكمال في أسماء الرّجال.
سير أعلام النّبلاء.
الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة.
طبقات الشّافعيّة.
الطّبقات السّنيّة في تراجم الحنفيّة.


الأستاذ الدّكتور
عبّاس محجوب



عالم الكتب الحديث
جدارا للكتاب العالمي





# التّربية والتّعليم

## في كتب التّراث

# حقـــوق الطبـــع محفوظـــة

الطبعة الأولى
2007


رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

( 2006 / 8 /2385)

370.1

محجوب، عباس

التربية والتعليم في كتب التراث/عباس محجوب.- إربد: عالم الكتب الحديث، 2007.

(     ) ص.

ر.إ.: (2385/ 8/ 2006)

الواصفات:/التربية//التعلم//الإسلام//التاريخ الإسلامي//التراث//الإبداع//الحضارة الإسلامية//

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية





ISBN 9957-466-72-0 (ردمك)








للنشر والتوزيع

اربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي

تلفون ٧٢٧٢٢٧٢ ـ ٩٦٢+ خلوي ٥٢٦٤٣٦٣ ـ ٠٧٩

فاكس: ٧٢٦٩٩٠٩-٩٦٢+

صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)

almalktob@yahoo.com

**جدارا للكتاب العالمي**

**للنشر والتوزيع**

عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس

خليوي: ٠٧٩٥٢٦٤٣٦٣

# التّربية والتّعليم

## في كتب التّراث

الأستاذ الدّكتور

**عبّاس محجوب**

٢٠٠٧

جدارا للكتاب العالمي
عمان- الأردن

عالم الكتب الحديث
إربد- الأردن

# فهرس المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ج |
| طبقات الحنابلة: محمّد بن أبي يعلى الحنبلي | ٤٦ |
| ترتيب المدارك: القاضي عياض | ٤٧-٦٦ |
| معجم الأدباء: ياقوت الحموي | ٦٧- ٩٢ |
| عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ابن أبي أصيبعة | ٩٣- ١١٨ |
| وفيات الأعيان: ابن خلكان | ١١٩- ١٣٦ |
| تهذيب الكمال: جلال الدّين المِزّي | ١٣٧- ١٦٤ |
| سير أعلام النّبلاء: الذّهبي | ١٦٥- ١٩٢ |
| الجواهر المضيّئة: محي الدّين بن أبي الوفاء | ١٩٣- ٢٠٨ |
| طبقات الشافعيّة: تاج الدّين السّبكي | ٢٠٩- ٢٤٢ |
| الطبقات السّنيّة: تقيّ الدّين الغزّي | ٢٤٣- ٢٦٧ |



# المقدمة

ليس في الأديان دين اهتم بالتعليم والعلم اهتمام الإسلام الذي كان أول الوحي فيه اقرأ هذا الاهتمام شمل قطاعات المجتمع المسلم كلّه؛ غنيّه وفقيره، رجاله ونسائه، أحراره ومواليه، اهتم به الخلفاء والأمراء والوزراء، والعلماء والفقهاء، الصناع والتّجار، الموسرون والفقراء، وزوجات الأمراء والسلاطين، وأصبح التّعليم في المجتمع الإسلامي تعليماً إلزامياً ولكنه إلزام خلقي وديني، وأدبي ومعنوي. وهذا الالتزام جعل الأمراء والأغنياء يتسابقون على تقديم تعليم مجاني؛ يبنون المدارس والمساجد، ويوفرون السكن والكسوة وكل ما يساعد على تعليم جيّد لكل أبناء المجتمع.

اهتم العرب بأنسابهم وأيامهم وزعمائهم وشعرائهم يتناقلون سيرتهم بالرواية، ويوثقون أيامهم بالشّعر والخطابة ثم انتقلوا بعد الإسلام للتدّوين والكتابة وعندما اهتم المسلمون بعلم الحديث النبوي دراسة وتوثيقاً ورواية ونقلاً، وتمخضت عن تلك الدراسات علوم مختلفة أهمها فن التراجم الذي طغى على فنون الكتابة وانتقل من الاهتمام برجال الحديث النبوي إلى العلماء في الفنون المختلفة من فقه وأدب ونحو وسياسة ولغة وزهد وغير ذلك، فكانت الترجمات ثروة وافرة من المعلومات التي أبرزت الحياة الإنسانية في أنشطتها المختلفة تربوية وسياسية واجتماعية وعلمية واقتصادية وثقافية وحضارية فكانت هذه التراجم في مجالاتها المختلفة تسجيلا للإرث التاريخي والفكري والعلمي والأدبي والفني.

وكان الاهتمام الأكبر والأشمل بسيرة سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه. قدوة البشرية وإمامها حيث جسّد القرآن في سلوكه وترجمه في حياته وأصبحت حياته وسنته وفعله كله تشريعاً يتعبّد به المسلمون ربهم لأنه المصدر الثاني للتشريع في الإسلام. ثم توالت الترجمات لعلماء الحديث والرواة فتوسعوا في التعريف بهم وتصنيفهم واخضاعهم لأسس الجرح والتعديل، ونتج عن هذا العلم علوم أخرى، حيث تتبعوا منهجاً علمياً واضحاً في ترتيب المعلومات وعرضها وتصنيفها، ثم ألفوا على مستوى الطبقات بحيث يترجمون لأبناء الجيل الواحد حسب رؤى معينة، وألفوا أيضاً على أساس الأنساب والقبائل وعلى أساس الترتيب المعجمي للأسماء وعلى أساس البلدان كبغداد وبخارى ودمشق والقيروان وغير ذلك كما ألفوا على أساس الكنى والألقاب والوفيات والسنين.

هـذه المؤلفات كانـت مـصدراً ضـخماً للمعلـومات كما ذكرنا في مجالات الحياة المختلفة، سياسية واجتماعية، وثقافية واقتصادية وتربوية.

والذي يهمنا هو ابراز المضامين التربوية في هذه الكتب التي تناولت قضايا التربية كلها.

وقـد اخترناهـا متـنوعة فحـوت كتـبا مـن طـبقات المالكـيّة والشافعيّة والأحناف والحنابلة والمتـصوفة والأدبـاء والأعـلام والأطـباء فقد كان اهتمامهم بقضايا التربية والتعليم واحدا كما كان لهم من المبادئ والمضامين ما يمكننا الاعتماد عليها في قضايا التّربية المعاصرة.

وعـندما تذكـر التربـية في الإسـلام يتـبادر إلى ذهن الكثيرين أسماء علماء التربية المسلمين أمـثال ابـن سـحنون والقابـسي والزّرنوجي وابن جماعة وابن خلدون، والغزالي وغيرهم باعتبار أن هؤلاء يمثلون العقليات التي كتبت في الأبعاد الفكرية التّربوية المختلفة بل إن بعضهم مثل عبدالرحمن بـن خلدون قد قدّم فكرا عبقريا مثل الأساس لعلم التاريخ وعلم الاجتماع أفاد منه الغرب أكثر من استفادة المسلمين.

اسـهامات علمـاء المسلمين كانت بارزة في توجيه التربية في الإسلام لتكون شاملة في تنشئة الإنـسان الكامل. ومع أن الاتجاه العام للتربية كان معتمدا على الناحية الدينية إلاّ أنهم اهتموا كثيراً بالأهـداف الـسياسية والمعـرفية والمناداة بإلزامية التّعليم وواجبات الدولة والأسرة في تحقيق ذلك بل إن القابـسي اعتبر إرسال الابن إلى التعليم فرض عين على كل أب وعلى الدولة أن تحاسبه إذا قصّر وأن تهيـئ الفـرص العادلـة لـذلك؛ أمكـنة وتدريـساً وإنفاقـاً وهـذه نظرة متقدمة في الفكر التّربوي العالمي وليس الإسلامي فحسب مع أن هذا الإلزام كان معنوياً أدبياً.

لم تكـن الكتابة في التربية وقفاً على الأسماء المعروفة. لأننا نجد كثيراً من العلماء في مختلف التخصصات قد كتبوا في التربية –مع أن مفهوم التّخصص لم يكن بالمعنى الذي نفهمه– فقد كتب في التربـية فقهـاء ومحدثـون ومفـسرون وأدبـاء ومتصوفة وفلاسفة وأطباء من أمثال ابن سينا والفارابي والكـندي وابـن أبـي أصـيبعة وغيرهم وهؤلاء قد وسّعوا الأهداف التعليمية بحيث شملت المعارف العقلية والمعرفية والوجدانية والمهارات والسلوكية.

كمـا أنهم نادوا بتنشئة الطفل في مجتمعه وبيئته ليكتسب ثقافة مجتمعه وأخلاقه وآدابه وقيمه ومهاراتـه حتـى يكـون قـادراً على التناغم والانسجام مع مجتمعه كما أن العلماء من فقهاء وغيرهـم ركـزوا علـى الجانب الخلقي فكتبوا عن آداب المعلم والمتعلم مع المرتبطين به في مجتمعه لذلك كانت الكتب كلها حافلة بهذه الآداب والسلوكيات وبخاصة خلق الحلم والتواضع والرّحمة والرأفة والرّفق

ومكارم الأخلاق كلها ولم يكن الأمر مقتصرا على الفلاسفة والمتصوفة بل كان مطلبا للأمة وعلمائها، ومع ذلك لم يغفلوا جانب الثقافة فقد كان العلماء يتميزون بثقافة موسوعية، يتناولون مختلف العلوم وينوعون فيها ويرتحلون في طلب العلم ويعتبرون الرحلة في طلب العلم عملاً مقدّساً مطلوباً لما للرحلة من آثار مختلفة في حياة الفرد وتوسيع مداركه وإمكاناته وتعميق مواهبه وقدراته وتناول هؤلاء العلماء فنيّات التّعليم كلها من تدرج في التعليم من المحس إلى المجرد ومن الصغير إلى أكبر ومن السهل إلى الصعب كما ركزوا على مراعاة الفروق الفردية في التعليم والتعلّم وتغيّر أوقات التعليم وأيام العطلات، كما تحدثوا عن طرائق التعليم المختلفة من تلقين وشرح وحوار ومناقشة وإملاء ومحاضرة ومناظرة، واستنباط واستدلال، وأسئلة وتعليقات وكان التنافس بين العلماء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة وغيرهم سبب إغناء الفكر التربوي الإسلامي الذي تناول- إلى ما سبق أن ذكرنا- زيادة على الكتابة في سيكولوجية التّعليم حيث تحدثوا عن مراحل النمو وخصائص كل مرحلة، واستعدادات المتعلم كالدافعية والحب والكره والطبع وغير ذلك.

وبخاصة عن الغزالي وأخوان الصفا بحيث وسعوا أهداف التعليم الذي لم يعد مجرد تعليم وتفقه وتهذيب بل أصبح تثقيفاً وتأهيلاً تربوياً يعدّ للحياة الأمر الذي وسّع فنيّات التّعليم -كما ذكرنا- حيث وضعت المفاهيم والمناهج التي تحدّد كيفية التّعليم والتدريس وتحديد صفات المعلّم الحاذق الماهر المؤهل للمهنة والملتزم بفنياتها وآدابها لأن التعليم عندهم صنعة والصنعة تحتاج إلى اتقان، والاتقان مرتبط بتنمية المهارات، وتطوير القدرات، وتعلم الطّرق والأساليب والأدوات التي تجعل من المعلّم حاذقاً لصنعة التّعليم.

ومع أن الإسلام أكرم المرأة مثل الرجل وساواهما في حق التعليم والتعلّم إلا أن الفكر التربوي الإسلامي لم يهتم أو يركز كثيراً على تعليم الإناث، وبعضهم حصر تعليمها في البيت وتضيق مجالات التعليم في مواد معينة مرتبطة بالفقه الديني وفروض العين. يقول ابن سحنون "وأكره للمعلم أن يعلّم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم" ولم يغفل الفكر التربوي مسألة الثواب والعقاب في التعليم وقد اتفق الفقهاء والفلاسفة على التّدرج في العقاب بدءا من الزجر والتّرهيب وانتهاء بالضّرب حسب مقتضيات الأحوال كما تناولوا مواضع الضرب وأسلوبه بين الخفيف والمؤلم غير أن ابن خلدون خالفهم في ذلك حيث رأى في الضرب جانباً نفسياً يتمثل في السلوك السلبي للأطفال نتيجة الخنوع والاستذلال من العقاب وهذه نظرة متقدمة في قضية العقاب كما انتقد "الماوردي" أسلوب القهر والعسف تجاه الطلاب لأنه مدعاة للتنفير والمعاندة.

كما أن هؤلاء العلماء لم يغفلوا تعليم الكبار وأن المرء يحسن به أن يتعلم ما دام حيا وذكروا أمثلة للعلماء يناقشون القضايا العلمية وهم في حالة الاحتضار، كما أن هذا الفكر تناول السن المناسبة للتعليم وكأنهم اتفقوا على سن السادسة للتعليم المنظم ويرى ابن حزم سن الخامسة لاشتداد أجسادهم وفهمهم وقدرتهم على الإجابة وتناولوا الإدارة التربوية الموجهة للتعليم والمنظمة للأوقات والمواد وساعات الراحة والنوم وما إلى ذلك

ولم يغفلوا أهمية الجانب التقويمي لعملية التعليم ومراقبة العمل التربوي ومخرجاته ولم يغفلوا هذه الجوانب كما يرى البعض.

إن الفكر التربوي الإسلامي تطور في مسار ممتد، وأن المضامين التربوية للفكر الإسلامي جاءتنا عن طريق الغرب في أثواب جديدة ومصطلحات هلّل لها البعض مع أن الفكر التربوي الإسلامي تفوق على غيره في زمانه باستقراء البحوث التاريخية والمقارنة، وقدم التعليم صنعة يشتغل بها مهنيون مدربون ولم يغفل هذا الفكر أجور المعلّمين وحقوقهم المادية والمعنوية مختلفين في آرائهم وتوجهاتهم، ومن الأشياء الجميلة أن المعلم في هذا الفكر لم يحصر علمه في التعليم الصّفي والسلوكي بل إنّ وظيفة المرشد الموجّه التي نعمل بها في جامعاتنا كتب عنها هؤلاء العلماء وهي من الإيجابيات وضرورات التعليم الحديث وبخاصة في ظل نظام الساعات المعتمدة التي أخذت بها معظم الجامعات العربية والإسلامية.

ولا أنسى في هذه المقدّمة أن أذكر ما قدّمه لي طلبة الدراسات العليا في كلية الشريعة قسم التربية من جمع للمادة وتوثيق وبخاصة من درسوا معي مادتي: كتب الطّبقات والتراجم من منظور إسلامي وإعداد المعلم وتنميته من منظور إسلامي.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه وصدقة جارية إن شاء الله وهو يعلم ما نريد.

أ. د. عبّاس محجوب

إربد – الأردن

صيف ٢٠٠٦م

# طبقات الحنابلة

## القاضي ابن الحسين بن أبي يعلى الحنبلي



# طبقات الحنابلة

## القاضي ابن الحسين بن أبي يعلى الحنبلي

### المؤلّف:

هو محمّد بن الحسين بن محمّد بن الفرّاء القاضي أبو الحسين ابن أبي يعلى ولد ليلة النصف من شعبان عام ٤٥١هـ.

سمع الحديث من والده وعدد من الشيوخ وقد توفي والده وهو صغير فقرأ الفقه على الشريف أبي جعفر وقد برع في الفقه وأصبح مفتيا ويناظر فيه. وقد عرف مذهب الحنابلة معرفة جيدة وكان من المتشددين في السّنة.

ألف كثيرا في الأصول والفروع مثل "المجموع من الفروع" و"رؤوس المسائل" و"المفردات في الفقه" وغير ذلك من الكتب، وقد تتلمذ عليه عدد من الشيوخ.

اهتم المؤلف بالحديث وسمع منه عدد كبير منهم كما حدّث عنه عدد من العلماء أيضاً.

كان للقاضي ابن الحسين بيت في دار بباب المراتب يبيت فيه وحده فعلم بعض من كان يخدمه ويتردّد إليه بأن له ما لا قد خلوا عليه ليلا وأخذوا المال وقتلوه ليلة الجمعة ليلة عاشوراء سنة ست وعشرين وخمسمائة، وصلّى عليه يوم السبت حادي عشر المحرم، ودفن عند أبيه بمقبرة باب حرب وكان يوما مشهودا وقدّر الله ظهور قاتليه فقتلوا كلهم[1].

---

[1] الذيل على الطبقات، ابن رجب الحنبلي، ج١، ص ١٤٧-١٤٨.

## ١. الخشية والإخلاص:

الإخـلاص من أشرف العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، ولا يقبل الله عبادة إذا لم يكن صاحبها مخلصاً فيها له سبحانه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[١]. وقد أورد في ذلـك أنّ الـشيخ علـي بـن محمـد بن بشار كان يفتتح مجلسه دائماً بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[٢]، فقـام إلـيه رجل فقال له: رضي الله عنك وما الذي تريد؟ فقـال لـه: وما حملك على المسألة على ذلك وأنا أقول ذلك منذ أربعين سنة فما سألني أحد عنه؟ فأقسم عليه. فقال: هو يعلم أني ما أريد في الدنيا والآخرة سواه[٣].

وقـال عـبدالله بـن أحمـد بن حنبل سألت والدي فقلت: هل كان مع معروف شيء من العلم؟ فقال: يا بني كان معه رأس العلم: خشية الله تعالى[٤].

## ٢. نشر العلم وتعليمه وتعهد الأذكياء من الصغار:

كـان الإمـام أحمـد يعطـي تلاميذه شيئاً من خاصة كتبه ويقول له أروه عني[٥]، وما ذلك إلا لينشر العلم وتعم الفائدة بأحاديث المصطفى -ﷺ-.

---

(١) البيّنة: الآية (٥).

(٢) هود، الآية (٧٩).

(٣) ج٢، ص (٥٢).

(٤) ج١، ص (٣٤٠).

(٥) (ج١)، ص (٥٧).

فقـد أشـار علمـاء الحنابلة إلى أهمية تعليم الصغار، فمحمد بن الخضر ذكر في ترجمته أنه شرع في الاشتغال بالعلم من صغره[1].

ويوسـف بـن عبدالـرحمن لمـا ظهـرت عليه علامات النباهة وهو طفل صغير، اعتنى به والده وأسمعه الحديث ودرّبه من صغره على الوعظ[2].

ونـصر بـن فتيان ابـن المـنيّ كانـوا يـسمونه الشيخ الصبي يعني في صباه لعقله ووقاره وتركه للعب واشتغاله بالعلم[3].

## ٣. استمرارية التعليم:

وأشـار علمـاء الحـنابلة كـذلك إلى أهمـية تعليم الكبار، فالإنسان إذا تقدم في الـسنّ لا تنتهي حاجته إلى العلم ولا يمنعه كبر سنه من أن يتعلم، جاء في ترجمة الحسن ابـن شـهاب أو علـي العبكري أنه سمع الحديث على كبر سنه من أبي علي الصواب وأحمد بن يوسف بن خلاف وآخرين[4].

وأشار الإمام ابن عقيل إلى أن المسلم لا ينبغي له أن يمضي ساعة من عمره إلا وهـو يُعلّم أو يتعلّم فقال: (إنيّ لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لـساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا مـستطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم، وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة)[5].

---

(١) ج ٤، ص (١١٩).

(٢) ج ٤، ص (٢٠٩).

(٣) ج ٣، ص (٣٠٢).

(٤) ج ٢، ص (١١٩).

(٥) ج ٣، ص (١٤١).

## ٤. تزكية الأنفس:

اتخذ علماء الحنابلة من العلم وسيلة لتحقيق طهارة النفوس وتزكيتها وتهذيبها بما يرقق القلوب ويهذب النفوس ويقوّم السلوك.

فقد جاء رجل إلى الإمام أحمد وقال: كيف يرقُ قلبي؟ قال: أدخل المقبرة، وامسح على رأس اليتيم[١].

وسئل الإمام أحمد عن التوكل فقال: هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق[٢].

وكان ابن أبي الدنيا من علماء الحنابلة المتخصصين في جمع الآثار التي ترقق القلوب وتزكي النفوس ونشرها بين الناس وجاء في بعض رواياته (إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم خيري ينزل إليك وشرّك يصعد إليّ، وأتحبّب إليك بالنعم وتتبغض إليّ بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم قد عرج إليّ منك بعمل قبيح)[٣].

ومما يؤكد عناية علماء الحنابلة تزكية الأنفس والاهتمام بالأدب أن مهنا بن يحيى الشامي كان يقول: صحبت أبا عبدالله أحمد بن حنبل فتعلمت منه العلم والأدب[٤]. وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد كان يعتني بتعليم أصحابه وتأديبهم وتزكية نفوسهم في الوقت ذاته، لأن الهدف الرئيس من العلم والفقه هو تزكية النفوس وربط القلوب بالله تعالى، فقد كان ابن بطة يروي خبر كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وفيه (إن الفقه ليس بسعة الهذر وكثرة الرواية، وإنما الفقه خشية الله)[٥].

---

(١) ج ١، ص (٤٠).

(٢) ج ١، ص (٣٧٢).

(٣) ج ١، ص (١٨٦).

(٤) ج ١، ص (٣١٨).

(٥) ج ٢، ص (١٢٩).

والإمـام ابـن الجـوزي اشتغل في تزكية الأنفس والتذكير به وعظاً وتأليفاً ومن لطـيف ما ورد عنه في ذلك أن رجلاً سأله: أيما أفضل أسبّح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور[1].

## ٤. إعلاء المكانة الاجتماعية للعالم:

العلـم يـرفع صـاحبه ويعلـي مكانته بين الناس، وخاصة إذا كان عاملاً بعلمه معلّماً للناس، ومكانة أهل العلم وشرفهم في الناس أعلى من مكانة الكثير من الأمراء والـوزراء. قـال ابـن العمـيد الوزير: "ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والـوزارة الـتي أنـا فـيها، حتـى شـاهدت مذاكـرة الطبراني والجعاني بحضرتي، فكان الطبرانـي يغلب الجعاني بكثرة الحفظ، وكان الجعاني يغلب الطبراني بفطنة وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعاني: عندي حـديث لـيس في الدنـيا إلا عندي، فقال: هاته، فقال الجعاني: حدثنا أبو خليفة حدثنا سـليمان بـن أيـوب وحـدث بالحديث، فقال الطبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب ومني سمعـه أبـو خلـيفة، فأسمعه مني حتى يعلو إسنادك، فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فخجـل الجعانـي، وغلـبه الطبراني، فقال ابن العميد: فوددت في مكان الوزارة ليتها لم تكن لي، وكنت الطبراني، وفرحت مثل الفرح الذي فرحه لأجل الحديث"[2].

وإذا عرف الإنسان بالعلم وجد من الناس كل الحب والاحترام والتقدير. قال الـشيخ أبـو الفتح القواس: "حضرت مجلس القاضي المحاملي وكنت بعيداً منه لا أسمع كلامـه، قـال: فقمـت قائماً، فلما رآني الناس أفرجوا لي وأجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير"[3].

---

(١) ج ٣، ص (٣٥٣).

(٢) ج ٢، ص (٤٣).

(٣) ج ٢، ص (١٢٤).

بـل إن علمـاء الحـنابلة كانـوا يرون أن شرف العلم مقدم على شرف النسب. فقـد كـان أحمـد بـن إبـراهيم البرمكـي يقـول: "بلغـني أنّ المتوكل رحمه الله كان جالساً وولـدان لـه يلعـبان بـين يديـه، فـضرب أحدهما الآخر، فقال: خذها مني وأنا الغلام الهاشمي العباسي، ثم إنهما لعبا فضربه الآخر ثم قال: خذها مني وأنا الغلام الحنبلي، فسرّ بذلك المتوكل واقطعه جائزة له"[1].

---

[1] ج ٢، ص (٦٣).

# التعليم عند الحنابلة

## إدارة التعليم تنظيماً وتمويلاً

يلاحظ في كتاب طبقات الحنابلة أن عملية التعليم كانت تخضع لمستوى من الإدارة والتنظيم يتناسب مع ظروفهم، حيث أخضعوا عملية التعلم لإجراءات تنظيمية إدارية جعلتها أكثر فاعلية ونجاحاً.

### أولاً- الإدارة:

لا بد أن تكون هناك أوقات محددة ومعلنة للراغبين في حضور الدرس حتى يتمكن الطلاب من الموازنة بين أعمالهم الدنيوية وواجباتهم الاجتماعية ومواعيد وأوقات الدروس التعليمية. وقد ذكر عن أبي عبدالله بن الكمال أنه كان يدرس الفقه بمدرسة الشيخ ضياء الدين. ويدرس الحديث في دار الحديث الأشرفية وكان للطلبة عليه مواعيد يعلمهم فيها قراءة الحديث ويفيدهم[(١)].

وعلي بن عبدالله بن نصر بن السري، كانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ثم يعظ بعد الصلاة، وكان يجلس يوم السبت أيضاً[(٢)].

وكان أبو جعفر عبدالخالق، له مجلس للنظر في كل يوم اثنين يقصده جماعة من الفقهاء[(٣)].

والطالب الذي يحرص على مواعيد الدراسة يكون مميزاً بين زملائه، فإبراهيم الحربي لم يفقد من مجلس نحوٍ أو لغة خمسين سنة[(٤)]. وحضر الخليفة إلى مجلس ابن

---

(١) ج ٤، ص (٢٦٣).
(٢) ج ٣، ص (١٥١).
(٣) ج ٢، ص(٢٠٥).
(٤) ج ١، ص (٨٥).

الجوزي متحاملاً لمرض حصل له وقد كان اعتراه الألم، حتى لا يفوته مجلس ابن الجوزي[1].

وكان المعلمون يتابعون الطلاب ويوجهون الطلبة الغائبين حتى لا ينشأ لديهم شيء من التساهل. قال أبو الحسن الفهري: لما قدم الوزير ابن درست عبرت أبصره، ففاتني درس القاضي أبو يعلى الفراء ذلك اليوم. فلما حضرت قال: أين كنت في أمسنا؟ فقلت: مضيت أبصرت ابن درست، فأنكر عليّ ذلك إنكاراً شديداً، وقال: ويحك، تمضي وتنظر إلى الظلمة وعنفني على ذلك[2].

## ثانياً- العناية بالعلوم الشرعية والكونية:

يظهر في تراجم علماء الحنابلة اهتمامهم بالعلوم الدنيوية تعلماً وتعليماً مما يدل على تكامل عملية التعليم عندهم.

ففي ترجمة القاضي أبو بكر بن أبي طاهر المعروف بقاضي المارستان قيل: "تفقه في صباه على القاضي أبو يعلى، وقرأ الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهندسة وبدع في ذلك وله فيه تصانيف"[3].

وجاء في ترجمة أحمد بن أبي غالب: "كان أحد الفقهاء على مذهب أحمد بن حنبل، حافظاً لكتاب الله له معرفة بالفرائض والحساب والنجوم وأوقات الليل والنهار"[4].

وفي ترجمة أبو الطاهر بن أبي حفص: "كان بارعاً في معرفة العقاقير"[5]. وغيرهم الكثيرون ممن برعوا في علوم الدين والدنيا معاً.

---

(1) ج ٣، ص (٣٤٣).

(2) ج ٢، ص (١٨٩).

(3) ج ٣، ص (١٦١).

(4) ج ٣، ص (٣٠٠).

(5) ج ٤، ص (٣٦).

## ثالثاً- العناية بالمرأة طالبة ومعلمة:

تظهر عناية الحنابلة بتعليم المرأة منذ نشأة المذهب. فقد ترجم صاحب الكتاب لجماعة من النسوة مذكورات بالسؤال للإمام أحمد أو الرواية عنه ومنهنّ: ميمونة بنت الأقرع المتعبدة: ترحّم عليها الإمام أحمد وقال: "جاءتني وكتبت لها شيئاً في غسل الميت"[1]. وخديجة أم محمد: قال عبدالله بن الإمام أحمد: "كانت تجيء إلى أبي وتسمع منه ويحدثها"[2]. وغيرهن من النساء اللواتي كنّ يختلفن إلى الإمام أحمد فيسألنه ويروين عنه مثل مخّة أخت بشر بن الحارث، وعباسة بنت المفضل، وريحانة بنت عمر.

وورد في ترجمة محمد بن محمد بن الحسين ابن القاضي الإمام أبو يعلى جماعة ممن سمعوا منه الحديث منهم ابنته نعمة[3].

وفي ترجمة هلال بن محفوظ: أنه رحل إلى بغداد وسمع فيها من شهد الكاتبة[4].

وفي ترجمة أبي القاسم عبدالغني بن قاسم المنادي أنه سمع بمصر من جماعة منهم: زوجته فاطمة بنت سعد الخير[5].

ومحمد بن عبدالغني بن أبي بكر: "رحل إلى أصبهان وسمع بها من عفيفة الفارقانية ثم رحل إلى خراسان فسمع بها من زينب المسعرية"[6].

وبهذا يظهر جلياً اهتمام علماء الحنابلة بتعليم المرأة أياً كانت بنتاً أو أختاً أو زوجة، بل أكثر من ذلك فهم لا يجدون أدنى حرج من الارتحال إلى النساء العالمات وطلب العلم منهنّ كما رأينا.

---

(1) ج ٥، ص (٣٨٣).

(2) ج ١، ص (٣٨٣).

(3) ج ٣، ص (١٥٤).

(4) ج ٤، ص (٥٣).

(5) ج ٤، ص (٩٧).

(6) ج ٤، ص(١٤٥).

## رابعاً- تقويم الطلاب:

هـناك مواقـف لـبعض علماء الحنابة تشير إلى اهتمامهم باختبار الطالب لمعرفة مدى جديته في الطلب وفهمه واستيعابه لمسائل العلم.

فقـد جـاء إلى الإمـام أحمـد شاب يسأله عن الزهد، فقال الإمام: "حدثنا سفيان عـن الزهري أن الزهد في الدنيا قصر الأمل، فقال الشاب: يا أبا عبدالله صفه لي، قال الإمام: وكان الفتى واقفاً في الشمس والفيء بين يديه- هو أن لا تبلغ من الشمس إلى الفـيء، ثـم ذهـب الشاب ليولّي فقال له الإمام: قف، فدخل فأخرج له صرة، فدفعها إلـيه، فقال الشاب: يا أبا عبدالله من لا يبلغ من الشمس إلى الفيء، ايش يعمل بهذه؟ ثم تركه وولى"[1].

أراد الإمام أحمد أن يختبر مقدار ما فهمه هذا الشاب بعد سؤاله عن الزهد، فلو حرص على أخذ المال كانت هذه إشارة على قلة ما فهم، فلما ترك المال دلّ ذلك على فهمه لحقيقة الزهد.

وورد أن يوسـف بـن الحسين رحل إلى ذي النون المصري وخدمه سنة كاملة، ثم قال له: "يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي، فأحب أن تعلمني إياه.

قـال: فـسكت ذو النون ولم يجبني، وكأنه أومأ إلي أنه يخبرني. قال: فتركني بعد ذلـك ستة أشهر، ثم أخرج إليّ من بيته طبقاً ومكبّة مشددة في منديل. وكان ذو النون يسكن في الجيزة، فقال: تعرف فلاناً صديقنا في الفسطاط؟ قلت: نعم، فقال: أحب أن تـؤدي هـذه إلـيه. قـال: فأخذت الطبق وأنا متفكر فيه، مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية،تـرى إيـش هـي؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل وشلت المكبة،

---

[1] ج ١، ص (١٠١).

فإذا فأرة نفرت من الطبق وجرت، قال: فاغتظت غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون يسخر بي، ويوجه مع مثلي فأرة إلى فلان؟ فرجعت على ذلك الغيظ، فلما رآني عرف ما في وجهي وقال: يا أحمق، إنما جربناك، ائتمنتك على فأرة فخنتني، إذاً أئتمنتك على اسم الله الأعظم؟ وقال: مرّ عني فلا أراك[1].

وما أراد ذو النون من ذلك إلا أن يختبر جدية يوسف بن الحسين قبل أن يعلمه العلم الذي يريده.

## مصادر التمويل:

اعتمد علماء الحنابلة على مصادر متنوعة لتمويل مؤسساتهم وبرامجهم التعليمية منها:

١) **إنفاق العالم من كسب يده:**

المصدر الأول الذي اعتمد عليه علماء الحنابلة في الإنفاق هو عملهم في مهن وحرف مختلفة لحفظ أنفسهم عن الاحتياج إلى الناس. فقد كان الإمام أحمد بن حنبل يزرع الدار التي كان يسكنها، وكان إذا ضاق به الأمر أجّر نفسه من الحاكة فسوّى لهم[2].

وكان أحمد بن علي المعروف بأبي بكر الزاهد يعمل في تجصيص الحيطان[3]. والفقيه أبو محمد بن أبي الفتح كان يتجر في الخل وينتفع به[4]. وصدقة بن الحسين كان قوته من أجرة نسخه[5]. ومكي بن عمر كان يبني ويأكل من كسب يده[6].

---

(١) ج ١، ص (٣٧٦).
(٢) ج ١، ص (١٧).
(٣) ج ٣، ص (١١٠).
(٤) ج ٣، ص (٨٧).
(٥) ج ٣، ص (١٨٦).
(٦) ج ٣، ص (٢٨٥).

كان بعض العلماء الميسورين ينفقون من أموالهم على مشاريع التعليم مثل ما فعل الشيخ فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد الذي كان يسافر للتجارة. فلمّا أسن لزم بيته متوفراً على العبادة والرواية، ووقف على مدرسة عمه الحافظ ضياء الدين من ماله[1].

٢) **التبرعات:**

لجأ بعض العلماء إلى الإنفاق على تلاميذهم من تبرعات محبي مذهب الحنابلة وأتباعه الميسورين. فقد كان الإمام الهروي رحمه الله غير مشتغل بكسب الأسباب والضياع والعقار، وكان مكتفياً بما يباسط به المريدون والأتباع من أهل مجلسه في السنة مرة أو مرتين بما يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملأ، فيحصل على ألوف من الدنانير وأعداد جمة من الثياب والحلي. فيوزعها على الخباز والبقال والقصاب ولا يأخذ من السلاطين والأعوان وأركان الدولة شيئاً ولا يدخل عليهم ولا يبالي بهم فبقي عزيز الجانب[2].

٣) **بيت المال:**

فقد ذكر أن ناصح الدين ابن المني فقيه العراق كان زاهداً في الدنيا يقنع منها بالبلغة. وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزعها بين أصحابه، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم في غضون أيام[3].

٤) **أموال الأوقاف:**

فقد دأب الكثير من المحسنين على أن يجعلوا من أموالهم أوقافاً يحتسبونها لدعم مشاريع التعليم كالمدارس والربط وغيرها.

---

(١) ج ٤، (٢٦٨).

(٢) ج ٣، ص (٥٣).

(٣) ج ٣، ص (٣٠٣).

وقد ذكر أن رباط الزوزني بمدرسة المنصور كان له أوقافٌ تساهم في تمويله والإنفاق على الطلاب فيه، وقد عين الشيخ عبدالرحمن التانرايا شيخاً للرباط ينظر في أوقافه[1].

وكما قام الخليفة الظاهر الذي يُعد من خيار الخلفاء في زمانه برد النظر في جميع الوقوف العامة إلى الشيخ نصر بن عبدالرزاق ومنها أوقاف المدارس النظامية[2].

٥) **أموال الخلفاء وهدايا الأمراء:**

فقد كان الخليفة المستنجد يقرب بعض العلماء ويعين لهم شيئاً من النفقة كما فعل مع ابن الجوزي والشيخ عبدالقادر وغيرهما[3].

وإن كان الشائع عند علماء الحنابلة الامتناع عن أخذ الهدايا والأموال من السلاطين سيراً على نهج إمام المذهب أحمد بن حنبل الذي كان قد نهى ولديه وعمّه عن أخذ العطاء من مال الخليفة فاعتذروا بالحاجة فهجرهم لأخذهم العطاء[4].

ولما جاء رجل من أصحاب الخليفة المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند الخليفة يسأله أن يقبلها ردّها فلم يقبلها. ثم عاد الرسول إليه فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفريقه، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا عن جوارك[5].

---

(١) ج ٤، ص (١٣٨).

(٢) ج ٤، ص (١٥٢).

(٣) ج ٣، ص (١٦٦).

(٤) ج ١، ص (١٦).

(٥) ج ١، ص (٨٤).

٦) **إنفاق الطالب على نفسه:**

بعض طلاب العلم كانوا من أهل اليسار والقدرة على النفقة في سبيل العلم، فكانوا يكفون أنفسهم بأنفسهم خصوصاً في الرحلات العلمية أو في الحصول على نسخ من الكتب أو غير ذلك.

"فيحيى بن معين مثلاً مات والده، خلّف له ألف درهم وخمسين ألف درهم، فأنفقها كلها على طلب الحديث الشريف حتى لم يبق له نعل يلبسه"[1].

ومن شدة زحام الناس وإقبالهم الشديد على مجالس ودروس أبي الفرج ابن الجوزي، كان الناس يؤجرون الأراضي التي تحيط بمجلسه الذي كان يقصده نحو مئة ألف إنسان، فكان الرجل يستأجر موضعاً لنفسه بقيراطين وثلاثة[2].

٧) **نفقة العالم على طلابه:**

وذلك خاص بالميسورين من العلماء كالقاضي أبي القاسم عبدالله بن علي الذي كان ينفق على طلابه بسخاء نفسه وسعة صدر[3].

## المبادئ التّربويّة في الكتاب

تعتمد العملية التربوية عند علماء الحنابلة على مجموعة من المبادئ ومن هذه المبادئ:

١. **مراعاة الفروق الفردية:**

الفروق الفردية هي الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد، فطلاب العلم يختلفون في خصائصهم وحاجاتهم ومستويات ذكائهم وقدراتهم وميولهم، هي اختلافات وفروق طبيعية، الحنابلة أخذوا بهذا المبدأ في عملية

---

(١) ج ١، ص (٣٦٣).

(٢) ج ٣، ص (٣٤١).

(٣) ج ٣، ص (٢٩٥).

التعلم والتعليم قال البربهاري: أعطى كل إنسان من العقل ما أراد الله، يتفاوتون في العقل مثل الذرة في السموات ويطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل[1].

وكان علماء الحنابلة يقرون ويعترفون بمقدرتهم العقلية ويمتدحون من هم أعلى قدرة منهم، قال يحيى بن معين: أراد الناس من أن تكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله لا نقدر على أحمد ولا على طريقة أحمد[2].

البشر بطبيعة الأمر تتفاوت مستوياتهم العقلية وقدراتهم على الفهم والاستيعاب، لذلك كان الإمام الحسن بن أحمدب ن لاحسن المعروف بالعطار ينزل كل إنسان منزلته وكانت النتيجة أن الناس تآلفوا على محبته لأنه كان يخاطب كل إنسان بما هو مناسب له[3].

٢. **ترتيب المواد حسب الأهمية:**

يلاحظ أن علماء الحنابلة كانوا يوجهون طلابهم إلى طلب العلوم الشرعية المختلفة مثل علوم القرآن والحديث والفقه والنحو.

فقد جاء في ترجمة أبي محمد رزق الله بن عبدالوهاب أنه قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وسمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وتفقه على القاضي أبي عي بن أبي موسى الهاشمي[4].

- وفي ترجمة محمد بن أحمد قدامة المقدسي أنه حفظ القرآن وقرأه على حرف أبي عمرو، وسمع الحديث من والده وأبي المكارم بن هلال

---

(١) الطبقات ج ٢، ص (٢٣).

(٢) الطبقات ج ١، ص (١٩).

(٣) ج ٢، ص (٢٧٤).

(٤) ج ٢، ص (٢١٤).

وآخـرون، وتفقـه في المـذهب وقـرأ الـنحو علـى ابـن بري بمصر وحفظ (اللمع) لابن جني[1].

- وفي تـرجمة محمـد المـبارك أنـه قرأ القرآن وسمع الحديث من أبي عبد الله يحيى بن البنا، وفقه على القاضي أبي يعلى.
- وفي تـرجمة علـي بن عبيد الله بن السري أنه قرأ القرآن بالروايات وسمع الحـديث عن أبي القائم بن المأمون وأبي جعفر بن المسلمة وغيرهـم، وقرأ الفقه على القاضي يعقوب، وقرأ الكثير من كتب اللغة والنحو[2].

### ٣. العناية بالعلوم الكفائية إلى جانب العلوم الشرعية:

يظهـر في سـير علمـاء الحـنابلة أنهـم كانـوا يهـتمون بدراسـة وتدريس العلوم الكفائـية *كالحساب والجبر والهندسة والفلك والصيدلة وغيرها من العلوم*. وقد برع بعضهم في هذه التخصصات حتى كان له فيها مؤلفات وتصانيف.

### ٤. قيام المعلم بتدريس أكثر من مادة علمية:

كـثير مـن علمـاء الحـنابلة كانـوا يدرسون أكثر من مادة علمية شرعية، ويرجع ذلك إلى إتقان العالم لأكثر من فن علمي.

فالـشيخ أبـو الوفا طاهر بن الحسين كان يقرئ القرآن ويدرس الفقه[3]، وخلف ابـن محمـد بـن خلـف كـان يحـدث الناس الحديث الشريف وقرئهم القرآن[4].

ويوسـف بـن فضل الله كان إمام بلدة حرّان في النحو واللغة والتصريف وكان متخصصاً في تعليم القراءات[5].

---

(١) ج ٤، ص (٤٠).

(٢) ج ٣، ص (١٥٠-١٥١).

(٣) ج ٢، ص (٢٠٩).

(٤) ج ٤، ص (١٤٢).

(٥) ج ٤، ص (١٤٢).

٥. **ربط العمل بالعلم:**

اهتم علماء الحنابلة بسلوك طلابهم ومقدار توافق سلوكهم يتعلمونه حتى يرتبط العلم بالعمل ويلتزم الطالب بتطبيق ما يتعلمه.

قال ابن الجوزي: كنت أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري في زمن الصبا فكنت إذا دخلت معه في الصلاة وقد بقي في الركعة يسير استفتح واستعيذ، فيركع قبل أن اقرأ، فقال لي: يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنة[1].

وكان الحسن بن أحمد إذا دخل مجلس طالب فقدم رجله اليسرى كلفه أن يرجع فيقدم اليمنى[2].

وكان الشيخ العماد إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي يتكلم في النصح والتحريض على فعل الخير حتى يكاد قلب الشخص يطير من كثرة دخول كلامه في القلب. وقال عباس بن عبدالدايم أوصاني الشيخ العماد وقت سفري فقال: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه فإنه ييسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ، قال: فرأيت ذلك وجربته كثيراً، فكنت إذا قرأت كثيراً تيسّر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم اقرأ لم يتيسر لي[3].

---

(١) ج ٣، ص (١٦٠).

(٢) ج ٣، ص (٢٧٤).

(٣) ج ٤، ص (٧٧).

### ٦. التدرج في الدراسة:

هو عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى ومن السهل في الفهم والحفظ إلى الصعب، لو أعطي الطالب مادة علمية فوق ما يستطيع لتراكمت عليه المادة، ولفقد القدرة على التمكن منها حفظاً وفهماً، فيكون بذلك قد قطع مادة علمية كثيرة لكنه لم يحصّل منها إلا القليل.

قال أبو بكر بن عياش: قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود، فكان يأمرني أن أقرأ كل يوم آية لا أزيد عليها ويقول: إن هذا اثبت لك، فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أفرغ من القرآن، فما زلت أطلب إليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم[(١)].

### ٧. تفاعل المعلم مع المادة العلمية:

تبقى المادة العلمية صماء ذات أثر قليل في نفس المتعلم لا يشعر بأهميتها وقيمتها حتى يتفاعل معها المعلم ويظهر اهتمامه بها وانسجامه معها نفسياً وسلوكياً وفكرياً. لما ذكر أبو بكر الخلال الشيخ خطّاب بن بشر قال: كان رجلاً صالحاً، يقص على الناس، وقد سمعت منه حديثاً، وكنت إذا سمعت كلامه كأنه نذير قوم[(٢)].

وفي هذا إشارة إلى مدى تفاعل الشيخ خطّاب مع مادته العلمية وكأنه يعيش في أحداثها وتفاصيلها. وجاء في ترجمة عبدالله بن عبدالغني المقدسي أنه كان في مجلسه العلمي يطرز المجلس بالبكاء والخشوع وإظهار الجزع[(٣)].

---

(١) ج ١، ص (٤٣).

(٢) ج ١، ص (١٤٣).

(٣) ج ٤، ص (١٤٨).

وإسماعيل بن محمد مجد الدين أبو الفداء كان لا يذكر النبي – في درسه إلا ودموعه جارية، ولا سيما عند ذكر شيء من الرقائق أو أحاديث الوعيد[1].

٨. **التحضير للدرس والتعرف على البيئة الصفية:**

إذا أراد المعلم أن يبدأ درساً في مكان لم يسبق له أن درس فيه فمن الأفضل أن يذهب إلى المكان وينظر فيه، ولا بد أن يكون قد رتب المادة التعليمية وأطلع على ما سيلقيه على الطلاب في مجلسه وفي درسه وهذا لا شك من أسباب نجاح المعلم في تحقيق أهدافه.

قال الشيخ ابن نجية علي بن إبراهيم: "أول مجلس جلسته في بغداد في جامع المنصور، فنزلت سحراً إلى الجامع متنكراً، حتى أرى هيئة المجلس وأسمع ما يقال، وإذا رجل أعمى قد جلس على درج المنبر، فذكر من الفصول من كلام التميمي وابن عقيل وغيرهما جميع ما قد حررته للمجلس وتعبت عليه، قال: فأصابني همّ وما بقي لي زمن أحفظ غير ذلك، فاستخرت الله تعالى، ثم جلست وذكرت حكاية طاب بها المجلس[2].

٩. **تعزيز الطالب المتفوق:**

إذا تفوق الطالب وأظهر تميّزاً أثني عليه الشيخ أو الأستاذ بما هو مناسب في حاله، فإن ذلك يشجعه على مزيد من الجد والاجتهاد والتفوق، ونلحظ عناية علماء الحنابلة بتعزيز الطالب المتفوق في مواقف منها:

"أن أبا بكر الخلال- كان في شبابه طالباً جاداً رحل إلى أقاصي البلاد يجمع المسائل، وسمع من الشيوخ من يكثر تعدادهم ويشق إحصاء أسمائهم، فسبق

---

(١) ج ٤، ص (٣٣٧).

(٢) ج ٣، ص (٣٦٧).

إلى ما لم يسبقه إليه سابق. فكان شيوخ الحنابلة يشهدون له بالفضل والتقدم[1]. والكثير من الطلاب المجدين كان شيوخهم يطلقون عليهم ألقاباً فيها شيء من التعزيز والثناء والتحفيز، فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عن أحمد بن إبراهيم: (هو جنيد وقته)[2]. وأطلق على المعبر بن علي: (ريحانه البغداديين)[3]. وكان محمود بن عثمان أبو الثناء يسمى: (شحنة الحنابلة)[4]. وبنت أبي الطواح كانت تسمى: (ست الكتبة)[5]. ومحم بن أحمد بن الحسين الموصلي كان يعرف: (بشعلة)[6].

١٠. استمرارية التعليم:

التربية والتعليم في الإسلام عمليتان مستمرتان ترافقان الإنسان في رحلة حياته لا تتوقف عند سن ولا تكتفي بقدر من المعرفة أو العلم[7]، وعلماء الحنابلة عكفوا على التعلم منذ الصغر ولم ينتهي معهم العلم إلا حين الوفاة، فمثلاً عبدالكريم الحلبي، كان إماماً عالماً كتب الكثير بخطه وطاف البلاد وقرأ الكثير وسمع من صغره إلى حين وفاته[8]، وسئل الإمام أحمد إلى متى يكتب الرجل؟ قال: حتى يموت[9].

---

(1) ج ٢، ص (١٢).

(2) ج ٤، ص (٢٩٦).

(3) ج ٤، ص (٨٩).

(4) ج ٣، ص (٤٩).

(5) ج ٤، ص (١٧٧).

(6) ج ٤، ص (٢٠٦).

(7) الطبقات (٢/ ٢٣).

(8) المصدر السابق (١/ ١٩).

(9) الذيل (٤/ ٢٩٣).

١١. **إلزامية التعليم:**

رغب الإسلام في العلم وبين أهميته للفرد والمجتمع وجعل طلبه فريضة حتى يلزم الفرد نفسه على طلبه والصبر على تحصيله، الحنابلة رغبوا في العلم وجعلوه واجباً، وورد فعن محمد بن تميم الحنبلي قوله بوجوب العلم على الجميع[1].

١٢. **الثواب والعقاب:**

المبدأ يعد دافعاً إلى التعلم إذا استخدم بطريقة متوازنة. وقد استخدم الحنابلة هذا المبدأ بشقيه الثواب والعقاب، فأثر عنهم أنهم عاقبوا أهل البدع والمعاصي بالهجر، واستخدموا الثواب المعنوي كالمدح مثلاً[2]، قال احمد بن سعيد الدارمي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يزيد بن زريع ريحانة البصرة.

## الحنابلة ومنهج البحث العلمي:

يمكن أن نستخلص المعالم الرئيسية التي يتميز بها منهج علماء الحنابلة في البحث العلمي والتأليف، فيما يلي:

١- **ذم التعصب والتقليد:** ويظهر ذلك جلياً في سيرة إمام المذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي كان ينهى طلبة العلم عن كتابة رأيه لأنه قابل للتغيير وليس ملزماً ما دام اجتهاداً.

فقال قال رجل: أريد أن اكتب هذه المسائل، فإني أخاف النسيان، فقال له الإمام أحمد: لا تكتب شيئاً، فإني أكره أن يكتب رأيي، وأحسّ مرة بإنسان

---

(١) الطبقات (١/ ١٣٢).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٧).

يكتب ومعه ألواح في كمّه، فقال: لا تكتب رأيي، لعلي أقول الساعة بمسألة ثم أرجع غداً عنها[1].

وقد سار أصحاب أحمد على خطاه في محاربة التعصب والتقليد والدعوة إلى التمسك بالقرآن والحديث، فهذا الإمام عبدالله بن محمد بن علي الهروي من أصحاب أحمد قيل فيه (هو في الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعي وأحمد ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى، والغالب عليه تباع الحديث) [2].

وقد تتابع علماء الحنابلة يؤكدون ذم التعصب والتقليد فهذا الإمام الأعمش (ت: ٤٣١هـ) كان يقول: (الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد)[3].

ولذلك شدد عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير العالم العادل (ت: ٥٦٠هـ) شدد في اختصاص المساجد ببعض المذاهب وعدها بدعة محدثة وقال: (لا يقال هذه مساجد أصحاب أحمد فيمنع منها أصحاب الشافعي ولا بالعكس فإن هذا من البدع، وقد قال تعالى في المسجد الحرام ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ (الحج، ٢٥) وهو أفضل المساجد)[4].

## ٢. الامتناع عن الفتيا بغير علم:

ويظهر ذلك من خلال امتناع الإمام أحمد عن الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي وجهت إليه واكتفى بقوله لا أدري.

---

(١) طبقات الحنابلة، القاضي أبي الحسين، ج ١، ص (٤٠).

(٢) طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ج ٣، ص (٥٥).

(٣) ج ٣، ص (١٣٠).

(٤) ج ٣، ص (٢٣٠).

فلما جاء رجل يسأله عن الخفاش يكون في المسجد يبول فيصيب الرجل؟ فقال: أرجو لا يضره، فقال السائل: إن كان كثيراً نجس؟ قال الإمام أحمد: لا أدري[1].

وقد تناقل علماء المذهب كلام الإمام أحمد الذي يذم فيه الفتيا بغير علم فقد ذكر محمد بن النقيب الجرجائي أنه سمع أبا عبدالله قد سئل عن الرجل يفتي بغير علم قال: يروي عن أبي موسى قال: يمرق من دينه.

### ٣. الالتزام بأدب الاختلاف:

قد يقع الاختلاف بين العلماء والمجتهدين من الفقهاء والمتقين، وهذا ليس أمراً مستغرباً ولا مستهجناً، فقد وقع الخلاف بين الصحابة الكرام في بعض المسائل الفرعية، ووجود الخلاف فيمن هم دون الصحابة الكرام وارد. وليست المشكلة في حصول الاختلاف، إنما المشكلة تكون عند تجاوز حدود الأدب مع المخالف والذي من شأنه أن يجعل الخلاف العلمي يتحول إلى اختلاف للقلوب وبغضاء وشحناء وخصومة وقطيعة.

وقد ضرب علماء الحنابلة أمثلة كثيرة في ضرورة التزام الأدب عند الاختلاف ومن ذلك الخلاف الذي وقع بين الشيخين ناصح الدين المعروف بابن الحنبلي والشيخ الموفق شيخ الحنابلة في زمانه. وقد جرت بينهما مكاتبات علمية جاء في بعضها بخط الشيخ الموفق: (كنت أتخيل في الناصح أن يكون إماماً بارعاً، وأفرح به للمذهب، لما فضّله الله به من شرف بيته وأعراق نسبه في الإمامة وما آتاه الله تعالى من بسط اللسان وجراءة الجنان وحدة الخاطر وسرعة الجواب وكثرة

---

[1] ج ١، ص (٤١).

الصواب ... حتى قال ... إلى أن رأيت له فتاوى غيره فيها أسد جواباً وأكثر صواباً ... الخ)[1].

ويظهر في الكتاب الأدب الجمّ وتمام الخلق في الرد العلمي، مع أن الكاتب يُعد إمام المذهب في زمانه والمخالف واحد من علماء المذهب، ولكن علو المنزلة وكمال الأدب لا يفترقان عند العلماء الأجلاء، وقد قال ناصح الدين ابن الحنبلي بعدها (قدمت من أربل سنة وفاة الشيخ الموفق، فقال لي: قد سررت بقدومك، مخافة أن أموت وأنت غائب فيقع وهن في المذهب، وخلف بين أصحابنا)[2].

فلم يمتنع الشيخ الموفق عن إظهار محبته لابن الحنبلي والشهادة له بسعة العلم لأنه يخالفه في بعض المسائل أبداً.

وكان خلف بن هشام الزار يشرب النبيذ على مذهب الكوفيين، ويرى أنه ليس فيها بأس وكان رجلاً عالماً، سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم، وكان الإمام أحمد يزوره لما عنده من العلم. فاستأذن عليه يوماً وأمامه قنينة فيها نبيذ فجاءت الجارية تشيلها، فقال خلف: لم هذا؟ قالت: يا مولاي جاء هؤلاء الصالحون فيرون هذا عندك؟ فقال خلف بن هشام: أضيفي إليها أخرى يرى الله عز وجل شيئاً فاكتمه عن الناس؟ وأراد خلف أن يختر أحمد بن حنبل، فدخل الإمام أحمد فأدار ظهره للنبيذ وأقبل على خلف يسأله، فلما أراد أن ينصرف من بين القوم كلهم ناداه خلف بن هشام: يا أبا عبدالله أي شيء تقول في هذا؟ فقال الإمام أحمد: ليس ذاك إليّ ذاك إليك. فقال: كيف؟ فقال: قال النبي – (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[3]، والرجل راعٍ في منزله

---

[1] ج ٤، ص (١٥٦-١٥٧).

[2] ج ٤، ص (١٥٦).

[3] صحيح البخاري، ج١، ص (٢٧٥).

ومسؤول عما فيه، وليس للخارج أن يغير على الداخل شيئاً. فلما خرج سكب خلف النبيذ وعاهد الله أن لا يذوقه أبداً حتى يعرض عليه سبحانه.

ويظهر في الحادثة كمال أدب الإمام أحمد وحسن تعامله مع المخالف فإنه لم يحمل على الإمام العالم خلف بن هشام البزاز من أجل شربه للنبيذ بل كان يأتيه ليتعلم منه، ولما أنكر عليه أنكر بأدب لين محافظاً على مكانة البزار وعلو شأنه.

وفي إطار الأدب عند الاختلاف، نبه علماء الحنابلة إلى جملة من القواعد الأدبية منها:

أ- خطورة القدح في الآخرين بغير حجة:

لما غمز ابن السمعاني الحسن بن أحمد بن البناء قال فيه: "سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول: كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد النيسابوري، وكان سمع الكثير وكان يكشط من التسميع يورّي ويَمدُّ السين. كذا قيل إنه يفعل.

قال الإمام ابن الجوزي في التعليق على هذا القدح: هذا بعيد عن الصحة لوجوه أحدها: أنه قال (كذا قيل) ولم يحك عن علمه بذلك فلا يثبت هذا، والثاني: أنه قد اشتهرت كثرة رواية الحسن بن أحمد البناء. فأين ذكر هذا الرجل الذي يقال له الحسن بن أحمد النيسابوري؟ ومن ذكره؟ ومن يعرفه؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى، فمن هذا الرجل؟ فنعوذ بالله من القدح بغير حجة"[1].

وعلى هذا فلا يجوز القدح في ذم العامّة فضلاً عن العلماء بمجرد الشك والظن.

---

[1] ج ٣، ص (٢٩).

ب- التماس العذر لمن أخطأ من العلماء:

وهـذا مـبدأ عـام مـن مـبادئ الإنصاف لأن المخطيء ربما كان مجتهداً في إصابة الحـق مخلـصاً في ذلـك فأخطـأ أو عـرض له فهم أو التبست عليه المسائل أو لم يصله الخبر وغيرها من الأعذار التي يستند إليها أهل الإنصاف.

قال الإمام عبدالرحمن بن نجم، المعروف بناصح الدين بن الحنبلي: "كنت نظرت في خطـب ابـن نـباته، فأخـذت عليه مواقع كثيرة في المعاني، واعتذرت عنه في قوله "الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه" وحملته على محمل يصح"[1].

فالإمـام الناصح يشير إلى أن الكلام ظاهره فيه الخطأ إذا وجد له محمل صحيح يحمل عليه ولا يقدح صاحبه ولا يذم، خصوصاً إذا كان معروفاً بين أهل العلم والفضل كابن نباته وغيره.

ج- الرد العلمي على المخالف من غير إساءة:

فقـد اشـتهرت مـؤلفاتٌ لعلمـاء الحـنابلة كـان القـصد مـنها الرد العلمي على المخالـف مـثل: الكتاب الذي ألفه أحمد بن عيسى بن محمد بن قدامة المقدسي، فقـد ألـف مجلـداً كـبيراً فـيه الرد على الحافظ محمد بن طاهر المقدسي لإباحته السماع.

ولمـا قـال ابن ناصر: إن الطريثيثي كان خفيفاً في الرواية لا يحتج به، ولا يعتمد علـى روايـته. كـتب ابـن السمعاني عن ابن ناصر أنه لا يحسن الكلام، فإنه إذ قـال: كذاب، لا يحتاج على أن يقول: لا يعتمد على روايته، وإذا رماه بالكذب فلا يقال: إنه ضعيف في الرواية فإن الضعف دون الكذ.

فكتب الحافظ أبو عمر بن الأخضر رداً يدافع فيه عن ابن ناصر فقال: ما معناه: قـول شيخنا: (كذاب) لأنه روى ما ليس من سماعه. ونهي عن ذلك فلم ينته،

---

[1] ج ٤، ص (١٥٩).

وقوله (ضعيف الرواية) حيث لم يميز صحيح الحديث من سقيمة. (ولا يحتج به) لأنه ليس من شرط الصحيح بهذا الوصف، (ولا يعتمد على روايته) لوجود هذا التخليط في معرفته وحديثه. فصاحب الترجمة لم ينفرد بصفة من هذه الأوصاف، بل أشتمل عليها جميعها فكان الجرح على حسبها[1].

وهذا رد علمي ليس فيه إساءة ولا تجاوز للأدب لا في كلمة ولا في حرف.

ولذلك جعل علماء الحنابلة شرط الردود العلمية أن لا يكون الهدف منها الإساءة والذم والقدح في المخالف وهذا ما بينه الشيخ الموفق شيخ الحنابلة في زمانه في بيان خطأ وقع فيه أحد العلماء فقال: (قد شغل كثيراً من زمانه بالرد على الناس في تصانيفهم وكشف ما استتر من خطاياهم ومحبة بيان سقطاتهم ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه، أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته، وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه؟ وكما لا يحب ذلك لنفسه ينبغي أن لا يحبه لغيره، سيما للأئمة المتقدمين والعلماء المبرزين[2].

## العالم بعلمه لا بسنّه:

ذكر علماء الحنابلة أن العلم ليس بالسن، وأن العالم الصغير ربما يعتمد على علمه أكثر من الكبير في السن.

فقد روي عن علي بن المديني أنه كان يقول: "لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة، فيفتيني أحب إليّ من أن أسأل أبا عاصم النبيل وابن داود، إن العلم ليس بالسن، إن العلم ليس بالسن[3].

---

(1) ج ٣، ص (١٩١).

(2) ج ٤، ص (١٥٧).

(3) ج ١، ص (٣٦٩).

ولما وليّ يحيى بن أكثم قضاء البصرة، كانت سنه عشرون أو نحوها، فاستصغره أهل البصرة، فقال رحمه الله للناس: أنا أكبر من عتّاب بن أسيد الذي وجهه النبي -ﷺ- قاضياً على أهل مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي -ﷺ- قاضياً على اليمن. وأنا أكبر من كعب بن ثور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة[1].

## الرجوع إلى الحق عند ظهوره:

دخل الإمام عبدالله الأنصاري على الإما ناصر المروزي بنيسابور، وكان مجلسه غاصاً بتلامذته، واحتفل به الفقهاء، وكان يدرس ويقول: روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

فقال عبدالله الأنصاري -أيد الله الشيخ الإمام: أحديث عهدٍ أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقال: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[3]، فقال: صدقت ورجع إلى قولي، وحث القوم على اتباعه وتقليده. ثمَّ بكرت إليه من غد هذا اليوم، فرحّب بي، وأعلى محلّي، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين كنت بالأمس جالساً دونهم[4].

فلم يمتنع ناصر المروزي وهو الشيخ الموقر والعالم الإمام وحوله التلاميذ والناس مجتمعون عليه أن يرجع إلى الحق لّما ظهر له على يد رجل لم يكن يعرفه من قبل.

---

(1) ج ١، ص (٣٦٩).

(2) طه، آية (١١٤).

(3) آل عمران، آية (٨).

(4) ج ٣، ص (٥١).

وكـذلك فعـل علـي بـن عقيل الذي كان يعتقد أن الحلاج الصوفي المبتدع من أهـل الدين والزهد والكرامات، وخالط جماعة من المعتزلة والمبتدعة ويتبعهم في بعض آرائهـم. ثم لما تبين له الحق كتب بخطه: "يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى الله تعـالى مـن مـذاهب مبتدعة الاعتـزال وغـيره، ومـن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحـم على أسلافهم والتكثر بأخلاقهم. وما كنت علقته ووجد بخطي من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته. ولا تحل كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده"[1].

مع أن ابن عقيل قد ناظر الفحول، ولم يمنعه علو شرفه ومكانته من الرجوع إلى الحق والاعتراف بالخطأ.

وذلـك أن علماء الحنابلة كانوا ينظرون إلى الاعتراف بالخطأ والرجعة إلى الحق والـصواب علامـة علـى فـضل صـاحبه وعلو مكانته ومنزلته حتى ولو قلّ أهل الحق وكثر أهل الباطل. كما قال محمد بن الخضر المعروف بأبي عبدالله بن أبي القاسم "وإني لمعتقد أن الخلق كلهم لو خالفوا السنة وتركوها، وعادوني من أجلها، لما ازددت لها إلى لـزوماً، ولا بها إلا اغتباطاً، إن وفقني الله لذلك فإن الأمور كلها بيديه، وقلوب العباد بين إصبعيه"[2].

## التوثق في العلم:

يتميّـز مـنهج الـبحث العلمـي عـند الحـنابلة بتوثقهم الشديد وحرصهم على التأكد من صحة الخبر وعدالة المخبر. فيما نقل كتابةً أو روايةً.

فقـد بلـغ إسحاق بن منصور أن الإمام أحمد بن حنبل رجع عن بعض المسائل الـتي كـان إسـحاق قـد كتـبها عـنه، فجمـع اسحق بن منصور تلك المسائل في جراب

---

[1] ج ٣، ص (١٢٠).

[2] ج ٤، ص (١٢٢).

وحملها على ظهره، وخرج راجلاً إلى بغداد (وقد كان بخراسان)، وهي على ظهره، وعرض خطوط أحمد عليها في كل مسألة استفتاه فيها، فاقرَّ له بها ثانياً، وأعجب به بذلك أحمد من شأنه[1].

وقد كان علماء الحنابلة يسألون عن عدالة الرواة قبل الاشتغال بأخذ الحديث عنهم أو رواية ما سمعوه منهم، كما فعل عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان، "فقد سأل الإمام أحمد عن أبن الثلجي؟ فقال: مبتدع صاحب هوى، قال: وسألته عن يعقوب بن شيبة؟ فقال: مبتدع صاحب هوى. وسألته عن سوّار بن عبدالله القاضي؟ فقال: ما بلغني عنه إلا خيراً. وسألته عن يحيى بن أكثم؟ فقال: ما عرفناه ببدعة"[2].

وقد نبه علماء الحنابلة إلى ضرورة التأكد من صحة محتويات الكتب العلمية، فالمكتوب عندهم ليس مقدساً وإنما خاضع للنقد، ولم يفرقوا بين ما هو مكتوب والكاتب فإن صحة المكتوب تتوقف على عدالة الكاتب.

"فقد سئل الإمام عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، هل تجوز الرواية من نسخة غير معارضة؟

فأجاب: إذا كان الكاتب معروفاً بصحة النقل وقلة الغلط جازت الرواية"[3].

ومن وسائل التأكد من صحة الكتب وضبطها عرضها على من كتبت عنه إن كان حياً، كما حصل مع الإمام أحمد بن حنبل حين جاءه رجل مصري فناوله كتاباً وقال له: يا أبا عبدالله، هذه أحاديثك أرويها عنك، فنظر الإمام في الكتب ثم أجاز رواية ما فيها"[4].

---

(1) ج ١، ص (٤٥).

(2) ج ١، ص (١٩٨).

(3) ج ٤، ص (١١٧).

(4) ج ١، ص (٥٣).

## استقصاء جميع الروايات والأخبار في المسألة الواحدة:

ذهب علماء الحنابلة إلى أن المسألة الواحدة لا يصح للعالم أن يتكلم فيها إلا بعد أن يقف على جميع الأخبار الواردة فيها.

وقد يكون في بعض الروايات زيادة مهمة لم تذكره الروايات الأخرى ومذهب الحنابلة الأخذ بالزيادة إذا صحت الرواية.

قال أحمد بن القاسم: "سألت أبا عبدالله عن مسألة في فوات الحج؟ فقال: فيها روايتان، أحداهما فيها زيادة دم، قال أبو عبدالله: والزائد أولى أن يؤخذ به، قال: وهذا مذهبنا في الأحاديث، إذا كانت الزيادة في أحدهما أخذنا بالزيادة ولزمنا ذلك"[1].

وقد يظهر تعارض بين الروايات، وحينها يقدمون الأصح بعد التدقيق والنظر في الروايتين.

فلما كتب محمد بن يحيى النيسابوري على الإمام أحمد ان داود الأصبهاني يقول في القرآن إنه محدث، ثم قدم داود الأصبهاني من خراسان إلى عبدالله بن الإمام أحمد وقال له: قل لوالدك أنَّ هذا ليس من مقالتي، فلما وصل الخبر إلى الإمام أحمد قال لابنه عبدالله بن يحيى أصدق منه. لا تقبل قول العدو لله"[2].

وقد يجمعون بين الروايتين ويدرأون التعارض الظاهر. فقد أشكل على رجل من سامراء الجمع بين حديثين، وهما قوله عليه الصلاة والسلام: "من هم بحسنة فلم يعملها: كتبت له حسنة"[3]. وقوله في الذي رأى ذا المال ينفقه في المعاصي: "لو أن لي مثل ما لفلان لفعلت مثل ما فعل". فقال النبي -ﷺ-: "هما في الوزر سواء"[4]. فقدم بغداد فلم يجبه أحد بجواب شافٍ حتى دل على أحمد بن محمد بن الكسار من علماء

---

(1) ج ١، ص (٥٦-٥٧).

(2) ج ١، ص (٥٨).

(3) البخاري، ج ١، (٦٤٩).

(4) الترمذي، (٢٣٢٥).

الحنابلة، فقال له: إن المعفو عنه إما هو الهم المجرد، فأما إذا اقترن به القول أو العمل: لم يكـن معفـواً عـنه. وذكر قوله عليه الصلاة والسلام إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت بها أنفسها، ما لم تكلم به، أو تعمل[1].

## معرفة الدليل في كل مسألة علمية:

اشـترط علمـاء الحـنابلة علـى كل من تكلم في مسألة شرعية أن يأتي بالدليل الـذي يـؤيد كلامـه ويقـوي مذهبه، وهم بذلك أغلقوا الباب أمام كل جاهل أو متبع للهوى أن يتكلم في دين الله بشيء من عنده لأنه سيطالب بالدليل فإن لم يأتِ به أُسقط كلامه.

فهذا أحمد بن محمد المزني سأل الإمام أحمد عن شهادة القاذف إذا تاب؟ فقال: أراهـا جائـزة، فقلـت لـه: تعـتمد على حديث عمر في قوله لأبي بكر: إن تبت قبلت شهادتك فقال: نعم، وقول الله أبين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[2].

ولما أمر الحافظ عبدالغني المقدسي أن يكتب اعتقاده كانوا قد وشوا به إلى الملك العـادل فكـتب رحمه الله: أقول كذا لقول الله كذا، وأقول كذا لقول رسول الله -ﷺ- كـذا، حتـى فـرغ مـن المسائل التي يخالفونه فيها. فلما وقف عليه الملك الكامل، قال: إيش هذا؟ يقول بقول الله عز وجل وبقول رسول -ﷺ- فخلى عنه[3].

## الإخلاص في العلم لله تعالى:

فعلمـاء الحـنابلة يقـدرون العلـم تقديراً بالغاً، فهم يرون أن العلم أكبر من أن يكون مجرد وسيلة لكسب المال أو الوصول إلى منصب أو الحصول على شهرة.

---

(1) البخاري، (٢٥٢٨)، ج ٤، ص (٢٧٩).

(2) آل عمران، آية (٨٩).

(3) ج ٤، ص (١٨-١٩).

وقد كتب أحمد بن حمد الأشرم وهو من أصحاب الإمام أحمد كتاباً إلى أهل الثغور جاء فيه، "وقد ظننت أن آخرين يلتمسون الشهرة ويحبون أن يذكروا، وقد ذكر قبلهم قوم بألوان من البدع فاختصموا. ولأن يكون الرجل تابعاً في الخير من أن يكون رأساً في الشر"[1].

ونُقل عن أئمة الحنابلة أنهم كانوا يذمّون من لا يُعلِم إلا بأجرة، قال سلمة بن شبيب (وهو من رواة مسلم في صحيح): "سألت أحمد فقلت: يا أبا عبدالله، تكتب عن هؤلاء الذين يأخذون الدراهم ويحدثون؟ قال: لا تكتب عنهم ولا كرامة"[2].

ولا يعني هذا أن الحنابلة لا يرون جواز أخذ الأجرة على التعليم ولكن هذا الذم في من لا يُعلم إلا إذا أخذ الأجرة فقط.

وتناقل علماء الحنابلة أخبار الأئمة الكبار والتابعين الأخيار الذين كانوا يذمون الذي يُعلم من أجل ثناء الناس ومديحهم. فقد روى الخلال بسنده عن الفضيل بن عياض أنه قال: "علامة الزهد في الناس: إذا لم يحب ثناء الناس عليه، ولم يبال بمذمتهم، وإن قدرت أن لا تعرف فأفعل، وما عليك أن لا يثنى عليك؟ وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس، إذا كنت محموداً عند الله، ومن أحب أن يذكر: لم يذكر، ومن كره أن يذكر: ذكر"[3].

كما روى أبو حفص البرمكي بسنده عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول: "فروا من الناس- "ي من ثنائهم والشهرة بينهم" فراركم من السبع الضاري، ولا تتخلفوا عن الجمعة والجماعات"[4].

---

[1] ج ١، ص (٦٨).

[2] ج ١، ص (١٦٠).

[3] ج ٢، ص (١٣).

[4] ج ١، ص (٦٨).

وهـذا التحذيـر مـن علمـاء الحـنابلة جـاء للتأكيد على أن العلم لشرفه وعلو مكانته لا ينبغي أن يكون القصد منه إلا ابتغاء وجه الله تعالى دونما سواه. ولذلك كان علـي بن محمد بن بشار يفتتح مجلسه إذا أراد أن يتكلم بقوله عز وجل: "وإنك لتعلم ما نـريد" فقام إليه رجل فقال له: رضي الله عنك وما الذي تريد؟ فقال له: ما حملك على المسألة عـن ذلـك وأنـا أقول ذلك منذ أربعين سنة، فما سألني أحد عنه؟ فأقسم عليه فقال: هو يعلم أني ما أريد في الدنيا والآخرة سواه[1].

## التحذير من الجهلة وأهل البدع والأهواء:

قـد يقـبل الناس على قبول كلام إنسان منخدعين بفصاحة لسانه وسعة حفظه أو حـسن مظهـره، وهو في الحقيقة جاهل أو خارج عن اتباع السنة النبوية الصحيحة، ويرى علماء الحنابلة أن الكشف عن أحوال هؤلاء واجب العلماء حتى لا يغتر الناس بهم فيقل أهل السنة ويكثر أهل البدعة.

قـال الإمام الأثرم: "قد رأيت قوماً في حياة أبي عبدالله كانوا لزموا البيت على أسـباب مـن النـسك، وقلـة مـن العلم. فأكرمهم الناس ببعض ما ظهر لهم من حبهم للخـير، فدخلـهم العجـب مع قل العلم. فكان لا يزال أحدهم يتكلم بالأمر العجب. فـيدفع الله ذلـك بقول الشيخ، جزاه الله أفضل ما جزى من تعلمنا منه، ولا يكون من أحد منهم من ذلك شيء إلا كان سبب فضيحته وهتك ما مضى من سترة ...... وإنما هذا من مكايد إبليس مع جنوده، ويقول لأحدهم أنت أنت، ومن مثلك؟ فقل قد قال غيرك، ثم يلقي من قلبه الشيء وليس هناك سعة في العلم.

---

[1] ج ٢، ص (٥١).

## وسائل التعليم:

استخدم علماء الحنابلة وسائل متعددة في العملية التعليمية منها:

١. **التطبيق العملي:**

وذلك بأن يقول الشيخ بتمثيل ما يريد تعليمه لطلابه عملياً أمامهم، حتى يفهموا المادة العلمية ويتمكنوا من تطبيقها.

فلما سئل الإمام أحمد عن مسح الرأي كيف هو؟ فقال: هكذا. وضع يديه كلتيهما على مقدم رأسه، ثم جرَّهما إلى موخر رأسه، ثم ردهما جميعاً إلى المكان الذي بدا منه. وذلك كله في مرة، لم يرفعهما عن رأسه. ثم قال: على حديث عبدالله بن زيد[١]. فهو وصف وضوء النبي -ﷺ-.

٢. **الإشارة:**

قد يستخدم المعلم الإشارات الجسدية كحركة اليد ونظرة العين وقسمات الوجه للتعبير عن مادة علمية، وكثيراً ما تساعد هذه الإشارات والحركات في إيصال المعنى إلى المخاطب من غير حاجة إلى الكلام. فقد دخل مجاهد بن موسى على الإمام أحمد بن حنبل يعوده، فقال للإمام أوصني يا أبا عبدالله فأشار أبو عبدالله إلى لسانه[٢]. والإمام أحمد قد أوصى السائل بما أوصى به رسول الله -ﷺ- معاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال له: "كف عنك هذا وأخذ بطرف لسانه"، وفي هذه الإشارة التي استخدمها النبي -ﷺ- واستخدمها الإمام أحمد من بعده من المعاني والدروس إشارة لآفات اللسان.

٣. **الحوار والنقاش:**

وقد استخدم الحنابلة هذه الطريقة التعليمية بطرق مختلفة.

---

(١) ج ١، ص (٦٦).

(٢) ج ١، ص (٣٤٧).

طرح المادة التعليمية على شكل حوار يجري بين طرفين كل يبين وجهة نظره في المسألة الواحدة مع بيان وجه الحق بين الفريقين. ويظهر ذلك فيما نقله عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل في بيان ما أنكرت الجهمية: أن الله تعالى كلم موسى فقلنا لهم: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كوّن شيئاً، فعبر عن الله عز وجل، وخلق صوتاً فاسمع. وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان. فقلنا: هل يجوز لمكون غير الله أن يقول لموسى ﴿إِنَّنِيَ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ أو ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ وقال الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وهذا منصوص القرآن. وأما ما قالوا إن الله لم يتكلم ولا يتكلم فكيف يقول النبي -ﷺ- "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان".

وأما قولهم إن الكلام لا يكون من جوف وفم لسان وشفتين: أليس قال الله تعالى للسموات والأرض ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ أتراها أنها قالت بجوف وشفتين ولسان؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾. أتراها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء. وكذلك تكلم الله كيف شاء[1].

### ٤. الأسئلة:

استخدم علماء الحنابلة الأسئلة بأنواعها المختلفة التقريرية والاستفهامية والاستنكارية لإثارة دافعية المتعلم ودعوته للتفكير في بعض المظاهر والقناعات والتصرفات وتديلها إذا لزم الأمر.

---

[1] ج ٢، ص (٤١).

سئل أبو الوفاء بن القواس عن مسألة في حلقته بجامع المنصور، وكان الشيخ ممن قد رأى السائل في الحمام من غير مئزر مكشوف العورة، فقال له: لا أجيبك تقوم ههنا في وسط الحلقة، وتخلع قميصك وسراويلك وتقف عرياناً فقال السائل: هذا مما لا يمكن فأنا أستحي. فقال له: يا فلان هؤلاء الحضور أو جماعة منهم الذين كانوا في الحمام ودخلت مكشفاً بلا مئزر، إيش الفرق بين جامع المنصور والحمام؟؟؟ فاستحى الرجل من ذلك وعرف خطأه[1].

٥. **التلقين:**

وذلك بأن يكرر الطالب ما يقوله المعلم أمامه من مادة علمية حتى يحفظها، وهي طريقة تستخدم في تعليم الصغار والمبتدئين عادة. وقد استخدم علماء الحنابلة طريقة التلقين في التعليم، كاب مفرحة المقريء كان يقرأ القرآن، ويلقن من يقرأ عليه العبارات من مختصر الخرقي[2]. وأبو منصور محمد بن أحمد علي الخياط المقرئ، لم يزل يقريء ويلقن إلى حين وفاته، وكان حسن التلقين والتلاوة[3].

٦. **نظم المتون الشعرية:**

اشتهرت هذه الطريقة بين أهل العلم قديماً، حيث ينظم العالم قواعد فنّ من فنون العلم على شكل قصيدة شعرية، ومن الأمثلة على ذلك عند علماء الحنابلة:

قصائد أبو الخطاب البغدادي- حيث نظم قصيدة في السنة وقصيدة في عدد الآي[4].

---

(١) ج ٣، ص (٣٣).

(٢) ج ٢، ص (١٦٧).

(٣) ج ٢، ص (٢١٧).

(٤) ج ٢، ص (٣٨).

قصيدة يوسف بن جامع بن أبي البركات البغدادي في التجويد[1].
قصائد شيخ الإسلام ابن تيمية المشهورة: التدمرية والحموية[2].
نونية ابن القيم الجوزية الشهيرة في السنة[3].

٧. المراسلة:

كثيراً ما يحتاج الإنسان إلى أن يطلع على بعض العلوم ويستفسر عن إجابات لبعض المسائل فيحول بينه وبين ذلك بعد المسافة وكثرة الانشغال.

وفي هذه الحالة استخدم علماء الحنابلة المراسلات العلمية حيث كانوا يراسلون أهل العلم والفتوى وتأتيهم بعد ذلك الإجابة.

فقد كان الإمام أحمد بن حنبل يكاتب الإمام محمد بن أحمد بن الجراح الجورجاني، فكتب إليه بن الجراح في أشياء لم يكن يكتب إلى أحد بمثلها في السنة، والرد على أهل الخلاف والكلام[4].

وجرت بين أبي عبدالله بن أبي القاسم وبين الشيخ موفق الدين مراسلات ومكاتبات علمية كثيرة[5].

وألف علي بن أحمد بن عبد الواحد مؤلفاً في الغزوات أيام الملك الظاهر، وفي آخر عمره أرسلها مع البريد فنودي لها بدمشق، وفوّه بذكرها المحدثون والفقهاء وسارعوا إلى سماعها، وجمع لها صبيان كثير وانتدب لقراءتها الشيخ شرف الدين فقرأها في ثلاث مجالس، اجتمع لها في المجلس الأخير الف نفس أو أكثر[6].

---

(١) ج ٤، ص (٢٤٦).
(٢) ج ٤، ص (٣٢٤).
(٣) ج ٤، ص (٣٦٩).
(٤) ج ١، ص (٢٤٦).
(٥) ج ٤، ص (١٢١).
(٦) ج ٤، ص (٢٦٨).

## ٨. المناظرة العلمية:

استخدم علماء الحنابلة أسلوب المناظرة العلمية في بحث مسائل العلم وبيان وجه الحق فيها وخصوصاً مع المبتدعة وأهل الكلام، ولقد استفاد طلبة العلم كثيراً من هذه المناظرة، إذ كانت تقام على أساس علمي يعتمد فيها المناظر على الدليل والحجة والبرهان.

قال يوسف بن حسين "دخلت مصر فذهبت إلى مجلس ذي النون المصري فبصر بي، وأنا طويل اللحية، ومعي ركوة طويلة. فاستشنع منظري، ولم يلتفت إلي. فلما كان بعد أيام جاء إلى ذي النون رجل صاحب كلام، فناظر ذا النون.

فلم يقم ذو النون بالحجج عليه. قال: فاجتذبته إلى، وناظرته فقطعته. فعرف ذا النون مكاني. فقام إلي وعانقني وقال: اعذرني فلم أعرفك فعذرته وخدمته سنة واحدة"[(١)].

ومن مناظرات الحنابلة العلمية مناظرة الشيخ أبو بكر المعروف بغلام الخلال، "لما ذكر عند أخت معز الدولة بسوء، وأنه يغض من علي بن أبي طالب، فاستدعته، وجمعت المتكلمين لمناظرته، فكان صوته عليهم وحجته ظاهرة لديهم. والأخت تسمع كلامه، حتى شهدت له بالفضل. وبذلت له شيئاً من المال، فامتنع من قبوله مع قلة ما له زهداً وورعاً"[(٢)].

وقد أشارت مناظرات علماء الحنابلة وكلامهم عن المناظرين إلى مجموعة من قواعد وضوابط لا بد من توافرها في المناظرة العلمية منها:

---

(١) ج ١، ص (٢٧٦).

(٢) ج ٢، ص (١٠٧).

١) أن يكـون المناظر غزير العلم ممن يعرف الأصول والفروع: فقد جاء في ترجمة أبـي الحسن الجـزري الـبغدادي: كان ذا قدم في المناظرة ومعرفة في الأصول والفروع[١].

وقـال ابـن الـنجار في أبـي بكر بن أبي محمد الذي يعرف بنقاش المبارد: كان فقـيهاً مناظـراً أصولياً تفقه على أبي الخطاب وعلق عنه مسائل الخلاف وقرأ الأدب وقال الشعر[٢].

٢) أن يمـتاز المناظـر بقوة الحجة والدليل: لما تكلم أبو الوفاء بن عقيل مع الشيخ العـالم أبي الحسن الكيا الهرّاسي في مسألة قال أبو الحسن: هذا ليس مذهبك، فقـال أبـو الـوفاء: أنا لي اجتهاد، متى ما طالبني خصمي بحجة كان عندي ما ادفـع به عن نفسي، وأقوم له بحجتي، فقال له الشيخ أبو الحسن: كذلك الظن بك[٣].

٣) أن يتجنب الغضب والانفعال:

لأن الغـضب والانفعـال يـنقص هيـبة الـرجال ويجـريء العامة الجهال على العلمـاء والـصالحين. فقـد جـاء رافـضي إلى أبي بكر المعروف بغلام الخلال فـسأله عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[٤] من هو؟ فقال له: أبو بكر الصديق.

فقال الرافضي: بل هو علي بن أبي طالب، فهمّ به الأصحاب. فقال أبو بكر: دعـوه، ثـم قـال له: اقرأ ما بعدها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ

(١) ج ٢، ص (١٤٣).

(٢) ج ٣، ص (١٩٥).

(٣) ج ٣، ص (١٢٢).

(٤) الزمر، الآية، (٣٢).

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾[1]. وهـذا يقتـضي أن يكـون المصدق ممن له إساءة سبقت، وعلى قولك أيها الرافضي لم يكن لعلي إساءة فقطعه[2].

وهـذا اسـتنباط حـسن لا يعقلـه إلا العلمـاء، فدل على علم الشيخ أبي بكر وحلمـه وحـسن أخلاقه، فإنه لم يقابله على جفائه بجفاء، وعدل عن ذلك إلى العلم والحلم.

٤) أن يكون من المعروفين بالفطنة والذكاء:

لأن المناظـر قـد تعـرض له شبهة أو يستدل عليه ببعض الأدلة التي تحتاج إلى سـرعة بديهـة وذكـاء في بيان خطأ هذه الحجج أو أنها لا تقوم بها حجة ولا يصح بها الاستدلال.

ففـي تـرجمة أبـي الحـسن علـي بن حمد البغدادي قيل: أحد الفقهاء الفضلاء والمناظرين والأذكياء[3].

وفي تـرجمة أحمد بن معالي الحربي نقل عن ابن الجوزي أنه كان يذكره في كتبه كثيراً فيقول: كان له فهم حسن وفطنة في المناظرة[4].

ولما دخل ابن فورك المناظر الفيلسوف المتكلم على السلطان محمود فتناظرا.

قال ابن فورك للسلطان محمود لا يجوز أن تصف الله بالفوقية، لأنه يلزمك أن تـصفه بالتحتـية لأنـه من جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت. فقال السلطان محمود: ليس أنا من وصفه بالفوقية، فتلزمني أن أصفه بالتحتية، وإنما هو وصف نفسه بذلك. قال فبهت[5].

---

(1) الزمر، الآية (٣٤-٣٥).

(2) ج ٢، ص (١٠٩).

(3) ج ٢، ص (٢٠١).

(4) ج ٣، ص (١٩٦).

(5) ج ٣، ص (١٠).

٥) أن يكـون الهـدف مـن المناظـرة نـشر العلـم والحكمـة بعيداً عن الخصومات والعداوات:

وهذا الأساس إذا اختل فقدت المناظرة قيمتها العلمية وتحول كل من المناظرين إلى خـصم يبحث عن زلات الآخر وسقطاته لينتصر لنفسه ولمذهبه ثم ليظهر ضعف الطرف المقابل له.

وقد أشار الإمام الذهبي إلى ضرورة وجود هذا الضابط في المناظرة عندما نقل عـنه قوله في ترجمة عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، قال: "جمع الله له من المناقب الفضائل التي أوجبت للأواخر الافتخار على الأوائل منها: ترك التنازع فيما يفضي إلى التشاجر والنفور"[١].

وجـاء رجـل إلى الإمام أبي محمد البربهاري فقال: "أنا أناظرك في الدين، فقال أبو محمد: أنا قد عرفت ديني. فإن كان دينك قد ضل منك فاذهب فاطلبه"[٢].

كمـا نقـل علمـاء الحنابلة النهي عن المناظرة التي تفضي إلى خصومه عن إمام المـذهب أحمد بن حنبل حين سأله العباس بن غالب الوراق قال: "قلت لأحمد بـن حنـبل: يـا أبـا عبدالله، أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيـتكلم المبـتدع، أرد علـيه؟ فقـال الإمـام أحمـد: أخـبره بالسنة ولا تخاصم، فأعدت عليه القول. فقال: ما أراك إلا مخاصماً"[٣].

---

[١] ج ٤، ص (٢٥٠).

[٢] ج ٢، ص (٣٤).

[٣] ج ١، ص (٢٢٢).

## طرائق التعليم:

١) **المحاضرة**: يقوم المدرس بإلقاء درسه على طلبته وعندما ينتهي يفسح المجال لطلبته حتى ترسخ المادة الدراسية في أذهانهم. وهو يكرر الفكرة مرة بعد مرة وفي كل مرة يفصل أكثر من ذي قبل، وقد استخدم علماء الحنابلة هذه الطريقة في مؤسساتهم التعليمية[١].

٢) **الحفظ**: لقلة الأدوات الكتابية المعينة للذاكرة كان جل الاعتماد على الحفظ وحده، وكان علماء الحنابلة يضعون الشروط المعينة على الحفظ من مثل صعوبة الحفظ مكان خضرة وعلى شاطئ نهر لأن ذلك لا يساعد عليه وقد اهتم الحنابلة بهذا الأسلوب اهتماماً فائقاً فمثلاً كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث[٢]، وكان الوكيعي يحفظ مائة ألف حديث، ما يسمع حديثاً قط إلا حفظه[٣].

٣) **المذاكرة**: أسلوب المذاكرة يقصد به قراءة المعلم والطالب يستمع إليه ويقصد به كذلك مراجعة الدارس لمحفوظاته وكتبه، المذاكرة وسيلة من معينات الذاكرة المساعدة على الحفظ وتثبيت العلم، وهذه الطريقة اعتمدها علماء الحنابلة وأثنوا على الذين يتقنونها، قال أبو بكر الخلال: ينبغي لأهل العلم أن يتخذوا للعلم المعرفة له، والمذاكرة به[٤]. وكان كثير من علماء الحنابلة يتصفون بحسن المذاكرة.

٤) **الإملاء**: كانت طريقة الإملاء شائعة عند الحنابلة وعند غيرهم، فقد ذكر عن الإمام أحمد: أنه كان يملي بعض الأحاديث على طلبته، وكانت مجالس الإملاء

---

(١) الطبقات، (١/ ٢١٤).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٢).

(٣) المصدر السابق، (١/ ٢٨).

(٤) المصدر السابق، (٢/ ١٢).

تعقد في الغالب يوم الجمعة وقد يكون الإملاء من كتاب أو من المذاكرة، قال إبراهيم الحربي: "فأملي علينا- أحمد بن حنبل وهو جالس مغمض العينين من حفظه"[1]، وعندما تكون المجالس كبيرة يستعان بالمساعدين (المعيدين) ومهمتهم إعادة ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيد عنه، وعرف عن بعضهم قوة الصوت وإجادة اللغة العربية وصحة الحفظ.

٥) السؤال: يقوم أسلوب السؤال على الأسئلة الاختبارية والأسئلة التوضيحية، يقوم النوع الأول المعلم ويقوم النوع الثاني المتعلمون أنفسهم، قال الإمام أحمد كُتبت من العربية أكثر مّما كتب أبو عمرو بن العلاء. وكان يسأل- الإمام أحمد- عن ألفاظ من اللغة العربية تتعلق بالتفسير والأخبار، فيجيب عن ذلك بأوضح جواب وأفصح خطاب"[2]، قال أبو بكر عبدالعزيز سمعت الشيخ أبا الحسن بن بشار الزاهد وأبو بكر الخلال بحضرته في مسجده وقد سئل عن مسألة، فقال سلوا الشيخ هذا يعني أبا بكر الخلال- فهو إمام في مذهب أحمد"[3].

٦) الشرح والتوضيح: يتمثل وظيفة المعلم في قراءة النص ثم شرحه وتوضيح ما يكون غامضاً على المتعلمين منه وفي المقابل يكون مهمة المتعلمين الاستماع والانصات وطرح الأسئلة التي تغنى الموضوع وتحقق الفائدة المرجوة منها. قال عبدالله بن أحمد بن حنبل، "حدثني أبي حدثنا سفيان بن عمرو بن دينار، قال: كان رجل يداين الناس، له كتاب ومتجاز" فشرح الإمام أحمد المتجازى بالمتقاضي"[4].

---

[1] الطبقات، (١/ ٢٨).

[2] المصدر السابق، (١/ ١٣).

[3] المصدر السابق، (٢/ ١٢).

[4] المصدر السابق، (١/ ١٣). ترجمة: أحمد بن حنبل ..

٧) **الإجازة:**

الإجـازة في اللغـة، مصدر من الفعل "أجاز" وأجازة بمعنى أنفذه[١]، ويقال: أجاز رأيـه، وجـوزه أي أنفذه. أما في الاصطلاح، فالإجازة: "أذن لفظي أو كتابي من الـشيخ لأحـد طلابـه للرواية عنه". وقد تكون الإجازة في موضع معين أو عامة تـشمل جميع مـرويات الشيخ. وهذه الطريقة كانت سارية عند علماء الحنابلة، فعـن أبـي الـيمان الحكـم بـن نافع، قال: "قال لي أحمد بن حنبل: كيف سمعت الكتب من شعيب أبي حمزة؟ قلت: قرأت عليه بعضاً، وبعضاً قرأه علي وبعضاً أجاز لي وبعضاً مناولة.

٨) **القدوة:**

أسـلوب القدوة من الأساليب التي تعتبر جيدة وشديدة الأثر في النفس البشرية وهـي مـن أفـضل الوسائل جميعاً، لأنها تحول المبادئ إلى حقائق، قال أبو عمير عيـسى بـن محمـد في الإمـام أحمـد: "بالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين ما كان ألحقه"[٢].

---

[١] ابن منظور: لسان العرب، ٥/ ٣٢٧.

[٢] الطبقات، (١/ ١٦). ترجمة أحمد بن حنبل.

# ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

## "القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي"

### ٤٧٦ -٥٥٤هـ

تحقيق د. احمد بكير محمود
منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٧

## المؤلف

هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، نسبة إلى: يحصب ابن مدرك بن حمير عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس لكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. نزح أجداده إلى أفريقيا ونزلوا "القيروان" ثم فاس وسبتة بالمغرب ولي قضاء سبتة ومولده فيها ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموماً، قيل سمه يهودي عام ٥٤٤هـ ١١٤٩م، وكان مولده بمدينة سبتة في المغرب سنة ٤٧٦هـ، تعلم فيها في صباه ثم رحل إلى الأندلس عام ٥٠٧هـ أخذ عن علمائها المشهورين كما لقي فيها علماء من المشرق وأخذ عنهم[١]، وقال عنه الفقيه محمد بن حمادة السبتي: "جلس القاضي للمناظرة وله نحو من ثمان وعشرين سنة، وولي القضاء، وله خمس وثلاثون سنة، كان هيناً من غير ضعف، صلباً في الحق، تفقه على أبي عبدالله التميمي، وصحب أبا اسحق بن جعفر الفقيه ولم يكن أحد.

وحاز الرئاسة في بلده والرفعة ما لم يصل إليه أحد قط من أهل بلده، وما زاده ذلك إلا تواضعاً وخشية لله تعالى. وله من المؤلفات أشياء كثيرة[٢].

---

[١] شمس الدين احمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٨١هـ، وفيات الأعيان مجلد ٣ بيروت- دار صادر- ١٩٦٩ ص ٤٨٥.

[٢] شمس الدين محمد الذهبي ٧٤٨هـ تذكرة الحفاظ ج ٢ بيروت دار إحياء التراث العربي- ١٩٥٤م ص ١٣٠٦م.

وهـو إمـام الحـديث في وقـته وأعـرف الـناس بعلـومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم.

ويقـول عن نفسه "الحمد لله الذي لم يجعل لصاحب بدعة عليّ يداً" قال عنه ابن الآبـار "كـان لا يـدرك شـأوه ولا يـبلغ مـداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار وخدمة العلم من حسن التّفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه إلى اضطلاعه بالأدب وتحققـه بالـنظم والنثـر، ومهارتـه بالفقه، وبالجملة فكان جمال العصر ومعجزة الأفق، وينبوع المعرفة معدن الإفادة وإذا عدت رجالات المغرب- فضلا عن الأندلس- حسن فـيهم صدرا"[1] وقال عنه الأمين الصحراوي في كتابه "الجد الطارق والتّالد" "مقام عياض مـثل مقام البخاري والأئمة الأربعة فهم حملة الشّريعة وعلومهم التي يبثونها في صدور الـرجال بالـتلقين والتأليف. ذبوا عن الشريعة بسيوف علومهم فبقيت علومهم خالدة تالـدة إلى الأبـد"[2] وبالجملـة فإنـه كـان عديم النّظير حسنة من حسنات الأيّام، شديد التعصّب للسنة والتمسك بها حتى أمر بإحراق كتب الغزالي لأمر توهمه منها"[3].

عرفت عائلته بأنها عائلة علميّة حيث نبغ من أولاده وأحفاده الذين قال عنهم ابن فرحون "كانت لهم مكانة علميّة مرموقة إلاّ أنّ سمعة أبيهم عياض قد أحجبتهم ولم يصلوا في الواقع إلى ما وصل إليه أبوهم"[4].

---

(1) ترتيب المدارك، ص ٢٠.

(2) المصدر السابق، ص ٢٠.

(3) المصدر السابق، ص ٢١.

(4) المصدر السابق، ص ٢٣.

## مؤلفات عياض:

له مؤلفات كثيرة منها:

كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" وهو كتاب جليل في سيرة الرسول ﷺ. والتنويه بشخصه الكريم وخلقه العالية وسيرته المثلى جمع فيه أخباره الشريفة مقارنا بين شخصيته الكريمة وشخصيات إخوانه الأنبياء، وللكتاب شروح كثيرة[(١)].

وكتاب "مشارق الأنوار على صحيح الآثار" في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، التزم فيه ضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال[(٢)].

وكتاب "بغية الرائد فيما في حديث أم زرع من الفوائد". وكتاب الأعلام من حدود الأحكام.

وكتاب "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع". وسماه حاجي خليفة "الإلماع في ضبط الرواية".

وكتاب "العيون" الستة في أخبار سبتة" وغيرها من الكتب الكثيرة.

وله مجموع أشعار فمن شعره قوله:

| | |
|---|---|
| الله يعلم أني منذ لم أركم | كطائر خانه ريش الجناحين |
| فلو قدرت ركبت البحر نحوكم | فإن بعدكم عني جنا حيني[(٣)] |

---

(١) ترتيب المدارك، ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩.

## الكتاب:

كتاب المدارك والدافع على تأليفه كما كتب محقق الكتاب الدكتور أحمد بكير محمود الذي يقول[1]:

كما كانت المالكية بالمغرب والاندلس السد المانع ضد النحل والزيغ، مع الاعتزال والخوارج والباطنية، والظاهرية، ففي المشرق لم يكن نصيبها من الكفاح أقل: ففي حياة الإمام رضي الله عنه، كان الليث بن سعد رحمه الله زميلاً وصديقاً للإمام مالك، جمع بين آراء أهل المدينة والعراق أو الكوفة على الأصح. وكانت مصر في عهده منطقة تغلب عليها آراء أهل المدينة. فما أن رجع الليث إلى مصر حتى أخذ يعلم ويفتي بما يخالف عمل أهل المدينة مجتهداً ومقتنعاً في ذلك بصحة رأيه، وما أن بلغ الخبر إلى مالك حتى أرسل يلومه على ذلك مبيناً له فضل المدينة وأنها بلد الوحي، بها أحل الحلال وحرم الحرام وأكثر أصحاب رسول الله ﷺ إنما عاشوا وماتوا بها، وأن عمل المدينة هو عمل الرسول وأصحابه، ولا يجوز لأحد مخالفتهم فهم السابقون الأولون من مهاجرين وأنصار، وقول من خالفهم لا يعتد به ولو كان معتمداً على صحابي أو عشرة من الصحابة، فأكثر هؤلاء الوارثين للسنة العاملين بها إنما عاشوا بالمدينة وعلموها لأهلها حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، ولا قول لمن خالفهم في هذا.

ويتابع قائلاً:

وكان رد الليث رداً رضياً يدافع عن رأيه دفاع العلماء: مع مروءة وفضل ومجاهلة، إلا أن مخالفته لعلم أهل المدينة قد فتحت باباً جديداً في الجدل حول هذا الموضوع، فما ان انتقل مالك إلى جوار ربه، حتى سلت السيوف على آرائه، فكان السابق إلى هذه المعارف محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، الذي أخذ

[1] ترتيب المدارك، ص ٢٦.

الموطأ من مالك بعدما تعلم على أبي حنيفة، وكان في أول رجوعة من المدينة معجباً بمالك ولكن بعد توليته القضاء للرشيد أخذ معوله ضد المالكية وقد فتح الباب على مصراعيه للقول في مذهب مالك.

ثم جاء دور الشافعي الذي كان تلميذاً، لمالك وجاب الآفاق باحثاً عن تربة صالحة لمذهب جديد فسافر إلى اليمن والعراق ومصر حيث استقر أخيراً .. وكان يعتبر في أول أمره في عداد المالكية ولكنه سرعان ما وجد بعض أنصار الليث متعصبين على مالك، فكتب هنالك رسالته التي طرق فيها نفس الموضوع الذي طرقه الليث، أي إجماع أهل المدينة، الذي هو أحد الأسس المتينة لمذهب مالك، أخذ الشافعي هذا الموضوع وأنكر صحته، كما حاول تقيده بنفس الطرق المستعملة عند محمد بن الحسن والليث بن سعد، ورد ردوداً على المالكية يستبعد أن تصدر من خصم فضلاً عن تلميذ لمالك[1].

استقبل أتباع مالك الشافعي لما نزل مصر وعدوه واحداً منهم حتى انه كان في ضيافة بني عبدالحكم. ولما رأوه قد تغير عليهم وجاءهم بالرأي كما يقولون، تغيروا عليه .. وكانت المعركة في الاول تتجاوز حد الكلام اللاذع أحياناً[2].

"وتحرك أصحاب مالك للرد على الشافعي، فكان أول من كتب في الرد عليه- أحمد بن مروان بن محمد المعروف بابي بكر المالكي المتوفى ٢٩٠هـ كتب كتاباً سماه فضائل مالك والرد على الشافعي" "وأشتدت الأزمة بين أتباع الإمامين شرقاً وغرباً، وكان العامل الاول بعد الشافعي في ابقاء النار هو أحد تلامذة الشافعي نفسه، وهو الربيع بن سليمان المرادي، كاتب االإمام وواضع الردود القارصه على المالكية ويصعب جداً أن تكون تلك الأقوال صادرة عن الشافعي رضي الله عنه[3].

---

(١) ترتيب المدارك، ص ٢٦-٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

وجاء في آخر هذا العصر ابن حزم الأندلسي، الذي وإن كان ظاهرياً إلا أن مذهبه ما هو إلا إغراق في الشافعية وأخذ في ثلب المذهب وأتباعه لا سيما قاعدتهم الكبرى العمل بعمل أهل المدينة، فأخذ يعد مثالبها وأنها بلد أكابر المنافقين والكفرة الفجرة وأن لا فضل لها على أية مدينة أخرى من مدن الدنيا، ناسياً أو متناسياً الأحاديث الصحيحة الواردة في فضلها والآيات القرآنية الكريمة[1].

فقام عياض بن موسى كرد فعل لكل هذا متحدياً بكتابه المدارك خصوم المالكية شرقاً وغرباً، ويعتبر كتابه وبالجملة فكتاب المدارك لا يعتبر معجما لأتباع مالك فقط بل كتاب من أهم كتب تاريخ الحضارة الإسلاميّة[2] بنايه ضخمة اقيمت على شرف ولمجد المالكية في عصورها المختلفة[3].

## منهج الكتاب:

يقع هذا الكتاب، في أربع مجلدات، كل مجلد يحتوي على ثلاث مائة صفحة تقريباً.

في الجزء الأول من الكتاب، كان جل حديثه عن فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ، وفضل علم المدينة، اقتضى النظر بين يدي الغرض تقديم مقدمات تمس الحاجة إليها، وتتم الفائدة بالوقوف عليها تشتمل على أبواب في ذكر المدينة، وفضائلها وتقديم علمائها وعملها ووجوب الحجة بإجماع أهلها وترجيح مذهب الإمام مالك بن أنس إمامها وتقصيت هذه الأبواب تقصياً يشفي الغليل[4] ورسالة مالك إلى البيت وما جاء عن العلماء في وجوب الرجوع إلى عمل أهل المدينة وبيان الحجة في ذلك، وترجيح

---

(1) ترتيب المدارك، ص ٢٨.

(2) المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩.

(3) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(4) المصدر السابق، ص ٤٣.

مـذهب مالك في وجوب تقليده على غيره من الأئمة، وفي نسب مالك بن أنس وذكر خلقـه أهـل بيـته وبنـيه وفي مولده، وصفاته، وملبسه، وطيبه وحليته ومطعمه ومشربه ومـسكنه وفي عقلـه وأدبه وفي عقله وسمته طلبه للعلم وصبره عليه، وفي إجماع الناس علـيه واقـتداء الأكابـر به، وفي صفة مجلس الإمام مالك للعلم، وفي ذكر رزقه وعبادته وورعـه ووصـاياه ومـؤلفاته، وما قيل في الموطأ من الشعر، وفي ذكر أخباره عن الملوك والعلمـاء وذكـر مهنته، وفي ذكر وفاته وما يقل عنه من الشعر وهو يرى أن عمل أهل المديـنة لم يعمـل بـه مالـك وحـده بـل عمل به الصحابة والتابعون وتابعوهم، ومالك أحدهم فهو في عمله هذا متبع لسنة مضت لا مبتدع من دين الله"[1].

وقـد كتـبت قـبله عـدد مـن الكـتب في فضل المدينة وطبقات المالكية مثل: "في طـبقات فقهاء المالكية" لمحمد بن حارث القيرواني وله أيضاً "طبقات من روى عن مالك" وكتب عبد الملك بن حبيب الاندلس "طبقات فقهاء المالكية".

أثـبت في كـتابه قائمة بأسماء مشاهير الرواة عن مالك وحملة الفقه والعلم عنه معـرفا مـا استطاع من تواريخهم وأخبارهم: ثم اتسع في أخبار الفقهاء منهم بعد ذلك، ورتـبهم علـى حروف المعجم ووضع عنوان "ابتداء الطبقات" وقد رتب أصحاب مالك من الفقهاء إلى ثلاث طبقات:

**الأولى:** من كان له ظهور في العلم مدة حياته وقاربت وفاته مدة وفاته".

**الثانية:** قـوم بعـد هؤلاء ممن عرف بطول ملازمته للإمام مالك وصحبته وشهر بعده بتفقهه عليه وروايته.

**الثالثة:** قـوم صـحبوه صـغار الأسـنان وأخـرجهم بعده الزمان، فقاربوا أتباع أتباعه وفـضلوا بـشرف مجالـسته وحرية سماعه، ثم جاء بمن بعدهم فريقاً بعد فريق

---

[1] ترتيب المدارك، ص ٢٩.

مقسماً ذلك ومرتباً لهم حسب الأماكن، طبقة أهل الحجاز .... أهل الشام.... وهكذا[1].

## منهجه في الترجمة:

1. يذكر اسم المترجم له، ونسبه وكنيته وأقوال العلماء فيه ومن روى عنهم ومكانته من العلم والثناء عليه وذكر أخباره ونوادره وذلك بحسب توافر المادة العلمية لكل مترجم.
2. أما الأسلوب فقد تميز بأنه أسلوب علمي بحثي، فعلى سبيل المثال نجده يدقق لغوياً أحياناً. ففي ترجمة لأبي الطاهر خير بن عروة، يقول: اسمه بخاء معجمة مفتوحة بعد ياء باثنتين من أسفل. وكذلك في ترجمة لابن جبر الحضرمي، يقول: اسمه واسم جده بجيم مفتوحة وياء بواحدة ساكنة وراء[2]. ويذكر أبياتاً من الشعر في بعض التراجم ومن ذلك نقله من أشعار عبدالله بن المبارك.

| | |
|---|---|
| **تعاهد لسانك إن اللسان** | **سريع إلى المرء في قتله** |
| **وهذا اللسان بريد الفؤاد** | **يدل الرجال على عقله** |

ويقول:

| | |
|---|---|
| **أرى لى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا** | **ولا أراهم رضوا في العيش بالدون** |
| **فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما** | **استغنى الملوك بدنياهم عن الدّين[3]** |

---

[1] ترتيب المدارك، ص (٢٨).

[2] المرجع السابق، ج ٣، ص (١٢٢).

[3] المرجع السابق، ج ١، ص (٣٠٥).

## إيجابيات الكتاب:

١. اشتماله على تراجم من الشرق والغرب، من أهل الشام وأهل مصر وأهل الحجاز وأهل الأندلس، وأهل المغرب وأهل أفريقيا وأهل البصرة ........ مما يدل على سعة إطلاعه وجهوده في تجميع المادة العلمية حيث شملت التراجم عدداً من علماء المذهب المالكي.

٢. إنه أول تصنيف في هذا الفن ويشير إلى ذلك القاضي عياض في قوله: عندما تكررت طلبات الأصحاب من كتاب "حاو لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم وتبين طبقاتهم وأزمانهم، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم، ونظم نثر فنون سيرهم وأخبارهم تشمل منفعته، وتجمل معرفته، وتستغرب فوائده، وتستعذب مصادره وموارده إذ هو فن لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا أختص به تصنيف مرافع، يوصل الطالب إلى الغرض، ويقف بالراغب على البغية مع شدة حاجة المجتهد والمقلّد إليه، وضرورة الفقيه والمتفقّه إلى ما ينطوي عليه"[1].

## ما أخذ عليه:

١. رتب القاضي عياض تراجم هذا الكتاب كما أشرنا سابقاً إلى ثلاث طبقات من فقهاء المالكية، فهذا التنظيم والترتيب فيه صعوبة في العثور على الترجمة بسهولة، ولا بدَ من معرفة المترجم له في أيّ طبقة، فإذا لم يكن له معرفة سابقة فإن العثور عليه صعبٌ.

٢. في الدافع إلى تأليف المدارك يقول القاضي عياض "ولا يعتبر الشافعي من أئمة الفقه، بل مالكيا مخالفاً لبعض أصول مذهب مالك لا عن دراية بل عناداً"[2].

---

(١) ترتيب المدارك، ج ١، ص (٤١).

(٢) المرجع نفسه، ج ١، ص (٣٠).

وهـذا فـيه تحامـل كـبير على الإمام الشافعي الذي كان يجل أستاذه الإمام مالك كثيراً.

٣. قـصر الترجمـة في بعـض الأحـيان والاكتفاء بذكر اسم المترجم له ووفاته، ويعود السبب في ذلك إلى قلة المادة العلمية المتوافرة له عن هذه الشخصية.

## المضامين التربوية في كتاب ترتيب المدارك:

### ١. اقتران العمل بالعلم:

قـال مالـك "إذا تعلمـتم علمـاً مـن طاعـة الله فلير عليك أثره التطبيق وليرينك سمـته وتعلـم لـذلك العلـم الـذي علمـته الـسكينة والحلـم والوقار"[١]. يقول سـحنون: "من لم يعمل بعلمه لم ينفعه العلم بل يضره، وإنما العلم نور يضعه الله تعالى في القلوب، فإذا عمل به نور الله قلبه وان لم يعمل به وأحب الدنيا، أعمى حـب الدنـيا علـيه ولم يـنوره العلـم"[٢]. وفي معرض حديثه عن ترسيخ مذهب الإمـام مالـك وعن فضل الصحابة يقول: فكانوا أعلم الأمة بلا فرية وأولاهم بالتقلـيد لكنهم لم يتكلموا من النوازل إلا في اليسير مما وقع، ولا تفرعت عنهم المـسائل ولا تكلمـوا مـن الـشرع إلا في قـواعد ووقائـع، وكـان أكثر اشتغالهم بالعمل مما عملوا والذب عن حوزة الدين وتوكيد شريعة المسلمين"[٣].

### ٢. الفروق الفردية:

وقـد أشـار القـرآن الكـريم إلى هـذا المـبدأ في كـثير مـن آياته ومنها قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[٤].

---

[١] ترتيب المدارك، ج ٢، ص (١٨٦).

[٢] المرجع السابق، ج ٢، ص (٦٢).

[٣] المرجع السابق، ج ١، ص (٧٧).

[٤] الزخرف، آية ٣٢.

ومما يؤكد هذا المبدأ أن محمد بن سحنون قال: سحنون لمؤدبه لا تؤدبه إلا بالكلام الطيب والمدح "فليس هو ممن يؤدب بالتعنيف والضرب"[1].

دلالة على وجود أناس وأشخاص لا ينفع معهم الكلام الطيب وبحاجة إلى أسلوب القوة والضرب.

وفي معرفة حديثة عن ترجيح مذهب الإمام مالك في فضل اتباع التابعين، فجمعوا أقاويل الجمع وحفظوا فقههم، وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم وحذروا انتشار الأمر وخروج الخلاف عن الضبط فاجتهدوا في جميع السنن وضبط الأصول وبنوا القواعد ووضعوا في ذلك التصانيف وبوّبوها وعمل كل واحد منهم بحسب ما فتح عليه ووفق له[2].

وقال أحمد بن صالح كان مالك في ثلاث طبقات دونه وطبقة معه وأخرى فوقه، ولم يكن في الثلاث طبقات من يجيد الطلب مثله فاق الثلاث طبقات"[3].

دلالة على وجود فروق فردية بين البشر، في الذكاء وفي الحفظ والإتقان.

ويدخل في ذلك مراعاة قدرات المتعلمين وعدم إعطائهم فوق مستواهم، "قال الشافعي: قيل لمالك: عند أبي عيينه أحاديث ليست عندك، فقال إذا أحدث الناس بكل ما سمعت إنني إذاً أحمق وفي رواية إني أريد أن أضلّهم إذاً"[4].

كان ابن شهاب إذا جلس يحدِث ثلاثين حديثاً فحدث يوماً وعقدت حديثة فأنسيت منها حديثاً، فلقيته فسألته عنه فقال: ألم تكن في المجلس قلت بلى، قال: فمالك لم تحفظ، قلت ثلاثون، إنما ذهب عني منها واحد فقال: لقد ذهب حفظ

---

(1) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٠٥).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (١٠٥).

(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٨٠).

(4) المرجع السابق، ج ١، ص (١٤٩).

النص، ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته هات ما عندك فسألته فآتاني فانصرفت[1].

٣. **استمرارية التعليم:**

العلم لا حدود له ولا يقف عند حد معين وهو مبدأ إسلامي مؤصل في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[2]. كان مالك يقول: "لا ينبغي لأحد عنده علم أن يترك التعليم"[3]. روى في ترجمة عبدالله بن المبارك قيل إلى متى تطلب العلم: قال أرجو أن تردني فيه إلى أن أموت[4].

٤. **نشر العلم وتبليغه وحرمان كتمانه:**

فمن واجب العالم نشر علمه من باب تبليغ الأمانة، ويحرم عليه كتم العلم. لقوله تعالى[5] ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾. قال ابن القاسم: كنا إذا ودعنا مالكاً يقول: اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلَموه ولا تكتموه[6].

٥. **التنافس في طلب العلم:**

جاء في ترجمة عبدالله بن وهب قال الربيع صاحب الشافعي جئنا عبدالله بن وهب للسماع واجتمع على بابه خلق كثير فقام ليفتح فلما فتح ازدحمنا للدخول[7]. قال ابن وهب: دخلت المسجد فإذا الناس يزدحمون على ابن سمعان[8].

---

(١) ترتيب المدارك،ج ١، ص (١٢٢).

(٢) طه (١١٤).

(٣) القاضي عياض، ج ١، ص (١٨٣).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٠٢).

(٥) آل عمران، ١٨٧.

(٦) القاضي عياض، ج ١، ص (١٨٩)، ج ٢، ص (٤٩) وص (٤٣٥).

(٧) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٢٩).

(٨) القاضي عياض، ج ٢، ص (٤٤٧).

قال مالك وكنا نزدحم على درج ابن شهاب حتى يسقط بعضنا على بعض وكانت عندي صناديق من كتب ذهبت لو بقيت لكانت أحب إلي من أهلي ومالي[1].

قال يحيى: كنا نجتمع على باب مالك فإذا توافينا صرح الآذن ليدخل أهل المدينة، ثم ليؤذن لغيرهم فيدخل ويسلم عليه فيسكت، ونسكت ساعة فإذا رأى ازدحامنا قال: تواقروا فإنه عون لكم وليعرف صغيركم حق كبيركم[2].

٦. **أخذ العلم من أهل التخصص والثقة:**

قال خالد خراش قلت لمالك أوصني: قال عليك بتقوى الله وطلب العلم عند أهله[3]. قال ابن أبي أونيس سمعت مالكاً يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه[4].

٧. **التواضع للعلم "فإنّ العلم يزار ولا يزور"**

قال مالك: قال لي الرشيد تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان ابن عيينه فلم نتتفع به وكان يأتيهم فيحدثهم[5].

قال هارون لمالك: إن رأيت أن تأتي ولديك فتحدثهم يعني ابني هارون قال: فما رد عليه مالك شيئاً حتى خلا من عنده، فتحول إليه فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول من أجري على يديك ذلّ العلم، قال: وما ذاك؟ قال أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون. فقال له: أصبت بل يأتوك وخرج مالك[6].

---

(١) القاضي عياض، ج ١، ص (١٢٣-١٢٤).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (١٤٥).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (١٨٩).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (١٢٣).

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٠).

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٠).

٨. **استثارة دافعية المتعلم:**

وهـي مـن أهـم العـوامل المؤثـرة في اكتـساب العلم، وقد يكون للمعلم أثر في ذلـك، قال سليمان بن عمران: إذا سألت سحنون أجابني من بحر عميق ومعنى جوابه زد في سؤالك[١]

٩. **لغة التعليم:**

فاختـيار الكـلام الواضـح للتعليم والابتعاد عن المعوصات له أثره في اكتساب العلـم، فيقول الشافعي: أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه، وابتهجت له قلوب سامعيه[٢].

١٠. **استغلال الوقت وتنظيمه:**

إن تنظـيم الـوقت واسـتغلاله مـن أهـم العوامل التي تؤدي إلى قيام الفرد بكل واجـباته دون إفـراط أو تفريط، فقد كان الشافعي يصنف كتبه بالليل[٣]، وكان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثاً: ثلثاً في الرباط، وثلثاً يعلم الناس بمصر، وثلثاً في الحج[٤].

١١. **الصبر والمجالدة:**

إن اكتـساب العلـم لا يحـصل بالتمني، ولكن بالصبر عليه والمجالدة في تحصيله، فقد أقام الشافعي في طلب علم العربية وأيام النّاس عشرين سنة[٥]. وكان أحمد المهـدي في الدراسـة والمطالعـة آيـة، لا يكـاد يـسقط الكتاب من يده حتى عند طعامـه، ويقـول ابـن المـبارك: طلبت الأدب ثلاثين سنة وطلبت العلم عشرين سنة[٦].

---

(١) القاضي عياض، ج ٢، ص (٩٠).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٩٤).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٥٨).

(٤) المرجع السابق، ٢/ ٤٣١.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٣٨٨.

(٦) المرجع السابق، ١/ ٣٠١.

### ١٢. التثبت في العلم وعدم التسرع:

إن آفة العلم الظن والتخمين، وعدم أخذ العمل من مصادره الموثوقة، يقول الإمام الشافعي: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه[١]، ويقول سحنون: سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال[٢]، وكان مالك لا يحدث إلا عن ثقة[٣].

## طرق التدريس في كتاب ترتيب المدارك:

قد تضمن كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك العديد من طرق وأساليب التدريس العامة التي كان يستعملها فقهاء المالكية ومن أبرز هذه الطرق والأساليب العامة ما يلي:

١. **السماع**: كانت طريقة السماع من الطرق المنتشرة في كتاب ترتيب المدارك وسيلةً من وسائل تحصيل العلم، فكانت المؤلفات العلمية تروي عن صاحبها بالسماع منه. ورد في ترجمة الغازي بن قيس أنه رحل قديماً، فسمع من مالك الموطأ وسمع من ابن أبي ذئب والأوزاعي[٤]. وورد في ترجمة البهلول بن راشد أنه سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم وسمع جامع سفيان الصغير من أبي الخطاب والجامع الكبير من علي بن زارد[٥].

٢. **المناظرة**: للمناظرة أثر كبير في شحذ الذهن. وتقوية الحمية والتمر على سرعة التعبير، وتعويد المناظرين الثقة بالنفس، والقدرة على الارتجال، لذا عنى بها

---

[١] القاضي عياض، ١/ ١٢٣.

[٢] المرجع السابق، ج ٣، ص (٥٨٨).

[٣] المرجع السابق، ج ١، ص (١١٦).

[٤] المرجع السابق، ج ١، ص (٣٤٧).

[٥] المرجع السابق، ج ١، ص (٣٣٠).

فقهاء، المالكية وعدوها طريقة من طرق التعليم لديهم. قال أبو يوسف يا أمير المؤمنين أتأذن لي في مناظرة أبي عبدالله فقال ناظره[1]. وقال بعضهم اجتمع مالك والاوزاعي فتناظرا فجعل الاوزاعي يجر مالكاً إلى المغازي والسير فقوي عليه فلما رأى مالك ذلك جره إلى الفقه فقوي مالك عليه[2].

٣. **الإجازة**: وهي أسلوب من أساليب التدريس المستخدمة عند الفقهاء المالكية، والمقصود بها السماح بنقل العلم إلى الآخرين. قال مطرف: حضرت مالكاً يأتيه الرجل بالدفتر فيسأله أن يجيزه فيقبل، وروى ابن وهب عنه أنه رآه مرة فعله ومرة كرهه وأجاز المناولة[3].

٤. **الإملاء**: هي من أساليب التدريس التالية والتابعة لطريقة السماع، إلا أن الفرق بينها أن الأستاذ أو المعلم في طريقة السماع لا يهتم بكتابة طلابه لما يقوله، فيتحدث وهم يسمعون منه، من يكتب ومن لا يكتب أمَا في الإملاء فالمعلم يضبط كل كلمة يقولها والطالب يقيد كل كلمة يسمعها. قال ابن المدني: قلت ليحيى: كان مالك يملي عليك. قال: كنت أكتب بين يديه[4]. وورد في ترجمة عبدالرحمن بن مهدي قال علي بن المدني، لقيت ابن مهدي فقال لي: لست أملي عليك؟ لا ما ليس عندك: قال فأملي علي ثلاثين حديثاً لم أسمع منها حديثاً[5].

٥. **القراءة**: تعد وسيلة وأسلوباً من أساليب التدريس وتتميز بأنها ليست من إنتاج الأستاذ أو المعلم نفسه، في غالب الأحيان، فكان الطالب في هذه الطريقة يقرأ

---

(١) القاضي عياض، ج ٢، ص (٢٢٠).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٢٧).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٢).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٣).

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٠١).

كتاباً أو من محفوظاته وتعليماته وتوقعاته على النص المقروء. قال الشافعي قرأت الموطأ على مالك ولم يكن يقرأ عليه إلا من فهم العلم وجالس أهله[1]. وفي ترجمة إسحاق بن الفرات قال أحمد الحمداني قرأ علينا إسحاق بن الفرات موطأ مالك من حفظه[2].

٦. الرحلة: اهتم المالكية اهتماماً شديداً بالرحلات والأسفار، فلم يكد يترجم لأي منهم إلا وذكر في ترجمته أنه رحل في طلب العلم واعتبروها طريقة من أنفع الطرق في طلب العلم واكتساب المعارف ورواية الأحاديث والأخبار ووسيلة طيبة للاتصال بأكبر عدد ممكن من العلماء المشهورين وقد رحل العلماء من بلدانهم ليأخذوا من الأمام مالك كما رحل الشافعي لعدد من البلاد طلباً للعلم[3]. ذكر في ترجمة عبدالله بن المبارك: قال أحمد بن حنبل لم يكن في زمن ابن المبارك أحداً أطلب للعلم منه دخل اليمن ومصر والشام والحجاز والكوفة والبصرة[4].

٧. وذكر في ترجمة أصبغ بن الفرح، كان قد رجل إلى المدينة ليسمع من مالك[5]. وورد في ترجمة أسد بن الفرات بن سنان أنه رحل إلى المشرق، ثم ذهب إلى العراق وسمع الموطأ من مالك[6]. وأبو سعيد سحنون بن سعيد رحل إلى تونس إلى زياد ورحل إلى مصر والحجاز[7].

---

(١) القاضي عياض، ج ١، ص (١٦٤).

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٥٩).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٧٢).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٠١).

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص (٥٦١).

(٦) المرجع السابق، ج ٢، ص (٥٦٥).

(٧) المرجع السابق، ج ٢، ص (٥٨٥).

٨. **المذاكـرة:** تعد المذاكرة أسلوباً من أساليب التدريس، ومدارها تبادل المعلومات والآراء بـين العلمـاء والفقهـاء والطلـبة لأنَ في ذلـك تثبيـتاً للحفـظ وتـسهيلاً لاسـتظهاره. ورد في تـرجمة عبدالـرحيم بـن خالـد بـن يـزيد، قال ابن القاسم تذاكرنا مع عبدالرحيم إيمان الكافر ورجوعه إلى الإسلام[١]. وفي ترجمة أبو عمر أشـهب كـان الـشافعي وأشـهب يتناصـحان بمـصر ويتذاكـران الفقـه[٢]. قـال الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسيني[٣].

٩. **الـصحبة والملازمة والاقتداء:** تعد الصحبة والملازمة من الطرق التربوية المؤثرة في نفس المعلم في اكتساب المهارات المتنوعة وقد وردت في كتاب ترتيب المدارك بـشكل واسـع واضـح. قال ابن القاسم لزمت عالم الآفاق مالك[٤]. وفي ترجمة عـبدالله بـن مـسلمة قال: لزمت مالكاً عشرين سنة حتى قرأت عليه الموطأ[٥]. وفي ترجمة عبدالله بن نافع الصائغ قال: صحبت مالكاً أربعين سنة ما كتبت منه شـيئاً وإنمـا كـان حفظـاً أتحفظه. وقال ابن وهب تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمـنا مـن علمـه[٦]. وفي تـرجمة عبدالحميد بن أبي إويس قال: صحبت نافعاً القـارئ أربعـاً وعـشرين سـنة لا أفارقـه إلا في منـزله[٧]. وفي ترجمة عبدالله بن وهب قال الشيرازي صحب ابن وهب مالكاً عشرين سنة[٨].

---

(١) القاضي عياض، ج ١، ص (١٣٠).

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٤٩).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٤٥).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٩٧).

(٥) المرجع السابق، ح ١، ص (٣٥٦).

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص (١١٧).

(٧) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٧١).

(٨) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٢٢).

١٠. **الحفظ**: اعتماداً على الذاكرة وليس اعتماداً على الكتاب، قال أشهب: عاب مالك الكتاب للعلم، وقال لم أدرك أحداً يفعله إنما كانوا يحفظون[١]. وقال أحمد بن عبدالله "ما رأيت أحفظ للحديث من محمد بن عمر بن واقد[٢]. وورد في ترجمة عبدالله بن نافع أنه كان يحفظ حفظاً ولا يكتب[٣]. وفي ترجمة إسحاق بن الفرات، "قال أحمد الهمداني" قرأ علينا إسحاق بن الفرات موطأ مالك من حفظه. يقول مطرف: صحبت مالكاً سبع عشرة سنة ما رأيته قرأ الموطأ على أحد، وكان يعيب كتابة العلم علينا ويقول: لم أدرك من أهل بلدنا ولا كان ممن معنا يكتب، فقيل له: فكيف نصنع؟ قال: تحفظون كما حفظوا وتعملون كما علموا[٤].

وقد أشرنا في النقطة السابقة إلى الحفظ، إلا أنه كان منتشراً في عهد الإمام مالك إذ كان يعيب الكتابة. أمّا الطبقات التي جاءت بعد مالك انتشر فيها الكتابة. ورد في ترجمة يعقوب بن شيبة ذكر عند الأزهري أنه بلغه أنه كان في منزل يعقوب أربعون لحافاً، معدة لمن يبيت عنده من الوراقين، لتبيض كتابه ونقله[٥].

١١. **الخلوة في طلب العلم**: كان الإمام مالك يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد فقالت أخته لأبيه "هذا أخي لا يأوى مع الناس، قال: يا بنية إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ.

---

[١] القاضي عياض، ج ٢، ص (١٦٣).

[٢] المرجع السابق، ج ١، ص (٤٠٤).

[٣] المرجع السابق، ج ١، ص (٣٥٦).

[٤] المرجع السابق، ج ١، ص (٣٥٦).

[٥] المرجع السابق، ج ٣، ص (٥٦).

١٢. **أدوات الكتابة:** ورد في ترجمة الشافعي، أنه كان يلتقط الخزف وعزق النّخل وأكتاف الجمال فأكتب فيها الحديث[١]. وفي ترجمة عبدالله بن وهب قال: كُنت آتي مالكاً وهو شاب قوي يأخذ كتابي فيقرأ منه، وربما وجد فيه الخطأ فيأخذ خرقة بين يديه فيبلها في الماء ويكتب لي الصواب[٢].

[١] القاضي عياض، ج ١، ص (٣١٣).

[٢] المرجع السابق، ج ١، ص (٤٢٧).

# معجم الأدباء

## ياقوت الحموي

### المؤلف

هو أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس، الحموي المولد، البغدادي الدار. الملقب بشهاب الدين، ولد سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة في بلاد الروم وتوفي في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في الخان بظاهر مدينة حلب التي قدم إليها في شهر ذي القعدة بعد أن جعل كتبه كلها وقفاً على مسجد الزيدي بدرب دينار ببغداد وسلمها لابن الأثير صاحب كتاب التاريخ.

أسر من بلاده صغيراً وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، وجعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجارته، وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط، ولا يعلم شيئاً سوى التجارة، وكان ساكناً ببغداد وتزوج بها.

ولما كبر ياقوت قرأ شيئاً من النحو واللغة وشغله مولاه في الإسفار في متاجرة فكان يتردد إلى كيش وعمّان وتلك النواحي ويعود إلى الشام ثم جرت بينه وبين مولاه جفوة أو جبت فأبعده عنه وذلك سنة ست وتسعين وخمسمائة. فاشتغل بالنسخ بالأجرة وحصّل بالمطالعة فوائد، ثم إن مولاه بعد مدة عطف عليه وأعطاه شيئاً وسفره إلى كيش ولما عاد كان مولاه قد مات، فحصل شيئاً مما كان في يده وأعطى أولاده مولاه وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس مال وسافر بها، وجعل بعض تجارته كتباً.

وكان متحاملاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان قد طلع شيئاً من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منه طرف قوي وتوجه إلى دمشق في سنة ثلاث عشرة وستمائة، قعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي بن أبي طالب رضي

الله عـنه وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره علياً رضي الله عنه بما لا يسوغ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم.

وخـرج مـن دمـشق منهزماً بعد أن بلغت القضية والي البلاد فطلبه فلم يقدر علـيه ووصـل إلى حلـب خائفـاً يترقب سنة ثلاثة عشر وستمائة ثم إلى الموصل ثم إلى إربـل وسلك منها إلى خرسان وتحامى دخول بغداد لأن المناظر له بدمشق كان بغدادياً وخشي أن ينقل قوله فيقتل، فلما انتهى إلى خرسان أقام بها يتجر في بلادها واستوطن مديـنة مـرو وخـرج عـنها إلى نـسائم خوارزم ثم الموصل التي أقام بها لا ثم انتقل إلى سنجار ومنها إلى حلب التي أقام بها إلى حين وفاته[1].

أشـهر مـؤلفاته كـتاب "معجـم الـبلدان" "ومعجـم الـشعراء" وكتاب "أخبار المتنبي" وكتاب المبدأ، والمآل في التاريخ.

الكتاب- بين المؤلف سبب تأليف الكتاب أنه استعرض الكتب التي كتبت عن الأدبـاء فلـم يجـد مصنفاً "يشفي العليل ويداوي لوعة الغليل"، فألف هذا الكتاب الذي ذكر فيه أنه:

١. "جمـع فـيه مـا وقـع ووصل إليه من أخبار النحو بين واللغويين والنسابين والقراء المـشهورين والأخـباريين والمـؤرخين والـورّاقين المعـروفين والكـتاب المـشهورين وأصـحاب الرسائل المدونة وأصحاب الخطوط المنسوبة المعينة وكل من صنف في الأدب وتصنيفاً أو جمع في فئة تأليفاً مع إيثار الاختصار والإعجاز"[2].
٢. اثـبات الوفـيات وتبـيين المواليـد والأوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والإخـبار بأنـسابهم وشـيء مـن أشـعارهم بـسبب سـفره إلى كـثير مـن الـبلاد واختلاطهم بالناس.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم الأنباء، الجزء الأول، ص (١٨) بتصرف.

[2] المصدر السابق، ص (٤٨).

٣. حذف الأسانيد ألاّ ما قل رجاله وقرب مناله من الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة.

٤. أثبت مواضع نقله ومواطن أخذه من كتب العلماء المعول عليهم والمرجوع في صحة النقل إليهم[١].

٥. من لقيه أو لقي من لقيه يورد أخباره كاملة، ومن تقدم زمنه أورد من أخباره ما يستطيع، وعرفه من خلال تنقله في البلاد ومخالطته للعباد.

كان ياقوت الحموي يتمتع بشخصية قوية محبة للعلم والعلماء بالإضافة لبعض ما يتميز به من سمات منها:

١. غرامه بالأدب وحبّ العلم "فما زلت منذ غذّيت بغرام الأدب وألهمت حب العلم مشغوفاً بأخبار العلماء متطلعاً إلى أنباء الأدباء سائلاً عن أحوالهم وأبحث عن نكت أقوالهم"[٢].

٢. صفة التواضع التي كان يتحلى بها، فبالرغم من براعته وقدرته العالية التصنيف ألا أنه كان يقول: إنه من الممكن أن تكون قاصرة أو ناقصة ويطلب بنفس الوقت أن ينظر لها بعين الأنصاف والرضى، والدليل على ذلك: "وفيه ألا يعتمد العنت ولا يقصد قصد من إذا رأى حسناً ستره وعيبا أظهره وليتأمله بعين الإنصاف لا الانحراف، فمن طلب عيباً وجد فقد وجد ومن افتقد زلل أخيه بعين الرضا فقد فقد"[٣].

٣. حرصه وتأكيده على أن طلب العلوم لا يكون فقط للعلوم الدينية بل كذلك الدنيوية وحجته أنه إذا اشتغل كل الناس بنوع من العلم الواحد وضاع باقيه

---

(١) ياقوت الحموي، ص (٤٩-٥٢).

(٢) المصدر السابق، ص (٤٥).

(٣) المصدر السابق، ص (٥٦).

ودرس الـذي يلـيه، حـيث قال: إن الله جلّ وعزّ جعل لكل علم من يحفظ جملته ويـنظم جوهـرته والمـرء ميسر لما خلـق له ولست أنكر أني لو لزمت مسجدي وصـلاتي واشتغلت بما يعود بعاقبة دنياي في أخراي؛ لكان أولى وبطريق السلامة في الآخرة أحرى ولكن طلب الأفضل مفقود واعتماد الأحرى غير موجود[1].

٤. اهـتمامه باللغـة العـربية والـنحو وحرصـه علـى ضرورة الإلمام بهما لذلك كان حريـصاً على الاهتمام بأخبار الأدباء فقد روى أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول لعلـم العـربية هـو الـدين بعينه، فبلغ ذلك عبدالله بن المبارك فقال: صدق لأني رأيـت النـصارى قـد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك قال تعالى: "أنا ولدّتك من مريم وأنـت نـبي" فحـسبوه يقـول: أنـا ولدتك وأنت بني، فبتخفيف اللام وتقديم الباء وتعويض الضمة بالفتحة كفروا[2].

٥. حـبه للـشعر وتأكـيده أن كل إنسان ليس عنده شيىء من الشعر فهو في غفلة، فذكـر ياقوت الحموي معترضاً بقول يحيى بن خالد: لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً.

٦. قـوة الإيمـان عـند بكمال الله تعالى، فالكمال غير محال إلا لذي الجلال والمرء غير معصوم في الإنسان غير معدوم لكن يبقى لكل مجتهد نصيب.

٧. حبه لعمله واعتباره أن ما يقوم به من الأعمال من النفائس، لدرجة أنّه شح على النسّاخين عندما طلبوه لنسخه لكنه رفض في البداية وعزّ عليه ذلك لوزنه وقيمته عـنده فهو كما قال بمنزلة الروح من جسد الجبان والسوداوين من العين والجنان، ومما قال في ذلك:

**فكـم حـوى مـن فـضل قـول محـبر ومـن نشر مصقاع ومن نظم ذي فهم**

---

[1] ياقوت الحموي، ج ١، ص (٥٤).

[2] المرجع السابق، معجم الأدباء، ج ١، ص (٥٥).

ومـن خـبر حلـو طـريف جمعـته علـى قـدم الايـام للعـرب والعجـم
ولـو أنـني أسـتطيع مـن فـرط حـبه لما زال من كف ولا غاب عن كمي[1]

والسبب يعود في ذلك لشدة معاناته في تحصيله لهذا الكتاب والسفر البعيد الذي تحمله مع اعترافه أن هذا أمر فظيع وخلق شنيع، الا أنه يفسر هذا ويقول إن النفوس جبلت على البخل بالنفائس ولكنه عدل عن ذلك تعميماً للفائدة وتاثيراً بما ألفه محمد عبدالملك التاريخي في أخبار النحويين.

٨. دقة عمله وحرصه على إتمام العمل بشكل كامل والدليل على ذلك لم يسمع بإعارة الكتاب ما دام ف المُسوّدة حتى لا يلح بطلبه وهم لا يحسنون ترتيبه وإصداره.

٩. بعد نظره وسعة أفقه والدليل على ذلك خوفه على العلم من أن يهبط ويتراجع بين الأمم فكان شديد الحرص على العلم وشد الهمم، إليه، وكان أكثر ما يخاف على كتابه من أمرين[2].

١٠. خوفه من أن يقال: إن هذا الكتاب ليس إلا تصنيف رومي مملوك وما عسى أن يأتي به وليس في أبناء جنسه لن نظير لاستيلا التقليد على العالم والبليد.

١١. قصور الهمم الغالب على أكثر المم فكل همهم المأكل والمبلس ولا تسمو هممهم إلى تشريف النفوس. فهذا دليل على بعد نظره وتطلعه للمستقبل، وفيه ضرورة شد الهمم وتحصيل العلم في كل الأوقات والاستفادة من كتب العلماء لا بالنظر إلى من هم إنما القصد تحصيل الفائدة ممن كان.

---

[1] ياقوت الحموي، ج ١، ص (٤٤).

[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٥٨).

١٢. صفة الزهد فلم يكن عنده أي مطمع دنيوي من وراء تأليف لهذا الكتاب وإنما كان حبه لما يعمل ولا يطلب من الناظر إلا أن يترحم عليه ويعطف عليه بجد الدعاء ولا يكلفه الأمر عناءً أو ضرراً.

## المنهج:

لقد اعتمد ياقوت الحموي منهجاً عند تأليفه وترجمته للأدباء، يتثمل فيما يلي:

**مصادره:**

ذكر فضل كثير من العلماء ممن سبقه في أخبارالنحويين. ونقله عن العلماء ممن سبقهم من فوائد ونكت كتبهم كنقله عن ما جمعه أبو بكر محمد بن حسن الاشبيلي وأبو سعيد الحسن المرزباني، والقاضي أبو المحاسن المفضل في المحمد المغربي، ونقل عن كتاب نزهة الألبا في أخبار الأدبا لكمال عبدالرحمن الأنباري كلهم يقول عنهم إنه استفاد منهم ونقل فوائد كتبهم مع تعليقه ونقجه لمؤلفات من سبقه كأمثال كتاب أبو عبيد الله المرزباني حيث قل: إنه شاه بما رووه وملأه بما وعوه، فينبغي أن يسمى مسند النحويين[1]، تعليقه على كتاب أبي بكر محمد بن عبدالملك حيث قال إنّ كتابه صغير الحجم قليل التراجم محشو بالنوادر التي رووها وتعليقه على ما ألف علي بن نضال المجاشعي في كتابه شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب قال: إنه كثير التراجم قليل الفائدة لكونه لا يعتني بالأخبار ولا يعبأ بالوفيات والأعمار[2]. وفي المنهج الذي اتبعه يذكر أنه:

١. جمع ما وقع إليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين، والكتاب المشهرين وأصحاب الرسائل المدونة

---

(١) ياقوت الحموي، ج ١، ص (٤٦-٤٧).

(٢) المرجع السابق، ص (٤٨).

وأربـاب الخطوط المنسوبة المعينة، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً أو جمع في فئة تاليفاً.

٢. الاختصار والإعجاز في نهاية الإيجاز. إثبات الوفايات وبيّن المواليد والأوقات.

٣. ذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والإخبار بأنسابهم وشيء من أشعارهم.

٤. تفصيله الحال أي من التراجم في حالة إذا ما لقيه أو لقي من لقيه، بينما من تقدم زمانه وبعد أوانه فيورد من خبره ما أورد الاستطاعة إليه وفق في النقل عليه[1].

حـذف الأسـانيد إلاّ مـا قـل رجالـه وقـرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعاً وإجازة، وغرضه من هذا الحذف صغر الحجم وعظيم النفع.

٥. إثـبات مواضـع نقله ومواطن أخذه من كتب العلماء المعوّل في هذا الشأن عليهم وللرجوع في صحة النقل إليهم.

٦. التـشابه في منهجه في هذا الكتاب وكتابه على أخبار الشعراء والمتأخرين والقدماء مـن حـيث الترتـيب والوضـع والتبويب، وإحالة كل من أهل العلم من المتأدبين والكـبراء المتـصدرين الـذين اشـتهروا بـنظم الشعر وسبك النثر، إلى كتابة أخبار الـشعراء، أمـا مـن عـرف بالتـصنيف واشتهر بالتأليف وصحت روايته وشاعت درايـته، وقـل شـعره وكثـر نثـره فهـذا الكتاب كما قال عشه ووكره. وهدفه هو التخفـيف من التكرار لخفة محمله في الأسفار، واستثنى من ذلك نفراً يسيراً دعت الحاجة إليهم لعنايتهم بالصناعتين[2].

٧. من حيث الترتيب فقد كان على حروف المعجم، يذكر أولاً من أول اسمه (أ) ثم مـن أول اسمـه (ب) ثـم (ت) إلى آخـر الحروف، والتزم ذلك في أول حرف من الاسـم وثانـيه وثالـثه ورابعـه، مثال: ابتداء بذكر من اسمه (آدم) لأن أول اسمه

---

[1] ياقوت الحموي، ص (٤٩).

[2] المصدر نفسه، ص (٥٠).

همـزة ومـن ثم ألف ومن ثم من اسمه إبراهيم، وهذا الالتزام في الآباء أيضاً أما في حالة اتفاق أسماء الرجال وأسماء آبائهم (وهذا مما لا حصر فيه) لا يكون ألا بالوفات فقدم من تقدمت وفاته على من تأخرت.

٨. إفـراد فـصل في آخـر كل حرف ليذكر فيه من اشتهر بلقبه على ذلك الحرف من غـير ذكـر شيء من أخباره فيه، إنما فقط للدلالة على اسمه واسم أبيه ليطلب في موضعه[١].

٩. عـدم تحديـد قطـر معـين ولا علماء عصر ولا اقليم معين ولا بلد معين، بل جمع للبـصريين والكوفـيين والخراسـانيين والحجـازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغـربيين علـى اخـتلاف الـبلدان وتفـاوت الأزمـان حسب ما اقتضاه الترتيب وحكم بوصفه الترتيب، لا على قدر أقدارهم في القُدمة والعلم والتأخر والفهم. وابتدأه بفصل يتضمن أخبار قوم من متخلفي النحويين والمتقدمين المجهولين[٢].
والدليل على ذلك ما قاله: "الكتاب نعم الجليس والذخير، إن شئت الهتك بوادره واضـحكتك نوادره، وإن شئت أشجتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع ......."[٣].

وفي فـصل العلم وأهله، يمكن أن نستنتج كثيراً من الدلالات والإشارات على أهمية العلم واللغة والنحو بشكل خاص ومنها:

١. أهمـية اللغـة وحـسن النطق والاستعمال الصحيح لها لدلالة المعنى على اللفظ، والدلـيل علـى ذلـك مـا قالـه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقوم كانوا يسيؤن الرمي فقرعهم، فقالوا إنا قوم معلمين فأعرض مغضباً وقال: والله لخطؤكم في

---

[١] ياقوت الحموي، ص (٥١).

[٢] المصدر السابق، ص (٥٢).

[٣] المرجع السابق، ص (٩٣).

لسانكم أشد عليّ من رميكم"[1].

٢. عمد الاكتفاء بالكتب والأسلوب النظري بل كان التطبيق العملي اللفظي واقع في حياتهم اليومية العادية، ومما يدل على ذلك أن رجلاً استأذن على إبراهيم النخعي فقال: "أبا عمران في الدار، فلم يجبه فقال أبي عمران بالدار، فناداه: قل الثالثة وادخل"[2].

٣. بذل الأموال في طلب العلم وبالأخص في الأدب، بدليل ما حدث به أبو صالح الهروي قال: كان عبدالله بن مبارك يقول: "أنفقت في الحديث أربعين ألفاً وفي الأدب ستين ألفاً وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب فقيل له: كيف، قال: لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها"[3].

٤. ضرورة الاستزادة بالعلم وطلبه وخاصة بالأدب، حيث ذكر أن أبو نواس "ما استكثر أحد من شيء إلا ملّه وثقل عليه إلا الأدب فإنه كلّما استكثر منه اشتهى له وأخف عليه"[4].

٥. ضرورة مذاكرة العلم والاجتهاد فيه، ودليل ما قاله: "وأعلم أنّ مذاكرة العلم عون من أراده وزيادة في الفهم"[5].

٦. اعتبار العلم باللغة وخاصة النحو من أهم شروط طالب العلم، فقد حدث عن الأصمعي أنه قال: "أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قوله جملة النبي عليه السلام: "من كذب على معتمداً فليتبوأ مقعده من النار"[6].

---

[1] ياقوت الحموي، ج ١، ص (٦٧).
[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٦٨).
[3] المرجع السابق، معجم الأدباء، ج ١، ص (٧٢).
[4] المرجع السابق، ج ١، ص (٧٥).
[5] المرجع السابق، ج ١، ص (٨١).
[6] المرجع السابق، ج ١، ص (٨٢).

٧. تعليم الأولاد وتربيتهم على ضرورة الاهتمام باللغة العربية والنحو، وما يؤكد عليه ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ[١].

٨. أهمية اللغة العربية بالنسبة للعلوم الأخرى كالفقه. فاللغة العربية أساس كل العلوم وفهمها، فكان العلماء في مجالسهم يتناظرون المناظرات العلمية التي تعمق النواحي الفكرية وتنمي مواهبهم، فقد ورد عن أبي حيان في كتاب محاضرات العلماء ما يؤكد فضل علم اللغة على العلوم الأخرى كالفقه، قال: "حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر قال كان الفرّاء يوماً عند محمد بن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو حتى قال الفرّاء: قلّ رجل أنعم النظر في العربية وأراد علماً غيره إلاّ سهل عليه فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا قد أنعمت النظر في العربية وأسألك عن باب بالفقه، فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته وسجد سجدتي السهو فسها فيهما، فتفكر الفرّاء ساعة، ثم قال لا شيء عليه، فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة وليس للتمام تمام، فقال محمد بن الحسن: ما ظننت أن آدمي يلد مثلك"[٢].

---

[١] الخطأ ضد الصواب في غير الاعراب وإلا فهو اللحن، والمخطيء من أراد الصواب فأخطأ والخاطيء من تعمد الخطأ، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ١، ص (٧٩).

[٢] المرجع السابق، ج ١، ص (٦٨).

## المبادئ التربوية في الكتاب:

### ١- الرحلة في طلب العلم

المعروف أن العلماء كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر لطلب العلم وسماعه باعتباره من أهم طرق تحصيل المعرفة وقد أورد ياقوت في معجمه فوائد الرحلة والتقاء الشيوخ واتساع أفق العالم وثقافته نتيجة الرحلة.

وذكر ياقوت أنّ محمد بن محمد الطالقاني الصوفي قد سافر في بلاد كثيرة إلى أن استوطن "صور" ومات فيها وكان الهدف من سفره طلب العلم وقد روى عنه الكثير من العلماء منهم أبو بكر الخطيب وأبو عبدالله الحميدي، كما أنه حدّث في صور عن حماد السلمي، كما سمع من أبي نصر السنتي[1].

كما ذكر أنّ محمد بن أحمد بن حمزة من أهل الحلة كان نحوياً لغوياً فطناً شاعراً مترسلا، قدم بغداد فقرأ على النقيب أبي السعادات هبة الله بن الشجري النحوي، وسمع الحديث على القاضي أبي جعفر عبدالواحد بن الثقفي، وأصله من مطير اباذ وصحب ابن هبيرة الوزير[2].

وأورد أيضاً أن أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام حيون البلي سمع بغداد وخرسان وهو في وقتنا هذا (زمن ياقوت) بدمشق يعرف بالحب وقد مات اللبلي في يوم الخميس السابع والعشرون من رجب (٦٢٥هـ) بعد أن رحل من خورسان واصبهان وبغداد وسمع شيوخها وكان عالماً بالعربية والشعر وضروب الأدب مشهوداً له بالفضل والتّديّن[3].

يروى أن أبو عبدالله محمد بن الجرّاح الغزّي، يروي عن مالك بن أنس والوليد بن مسلم وغيرها، روى عنه أبو زرعة الرازي ومحمد بن الحسن بن قتيبة

---

(١) معجم الأدباء، ج ١٢، ص (٥٥).

(٢) المصدر السابق، ج ١٧، ص (٢٧١).

(٣) المصدر السابق، ج ١٤، ص (٢٧٥).

العسقلاني، وإليها ينسب أيضاً إبراهيم بن عثمان الأشبهي الشاعر الغزّي سافر الدنيا الأشهبي ومات بخراسان، وكان قد خرج من مرو يقصد بلخ فمات في الطرق في سنة (٥٢٤هـ)[١].

٢. **توثيق المعلومة:**

ويفهم من هذا المبدأ التربوي المهم أنّ العلماء كانوا يتثبتون مما يسمعون أو يروون وقد ظهر نتيجة لذلك علم السند والذي يبين مجموعة الرجال الذين سمع منهم العالم حتى يكون موضع ثقة فيما يقول، وعلم الاسناد من العلوم التي اختصت بها الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم، وهذا يدل على أهمية التثبت في نقل الأخبار وأن لا تستقى إلاّ من ثقة مشهود له بذلك، وتجد هذا كثيراً في معجم أعلام الأدباء فلا تكاد تجد عالماً إلاّ ويروي عن شيوخه حتى يكون لكلامه قبول لدى الناس، فقد روى ياقوت أن أبو حاتم السجستاني كان يروي الحديث عن ابن شيبة وابن العجاج وغيرهم، كذلك عن ابن عون وجماعة كثيرة من العلماء وكان ثقة ثبتا وقد كان يوصف بأنه صدوق وثقة، روى له أبو داود في سننه والترمذي في جامعه[٢].

وقال ياقوت في معرض كتابه عن عبدالله الحسين بن أحمد إنه روى كتباً ومصنفات كثيرة منها كتاب الخصائص، وكتاب التمام في تفسير اشعار هذيل وكتاب سر الصناعة وكتاب شرح المقصور والحدود[٣].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١٧، ص (٦٧).

(٢) المصدر السابق، ج ١١، ص (٢١٤).

(٣) المصدر السابق، ج ١٢، ص (١١١).

### ٣. الموسوعية والتنوع في العلوم:

الجمع والتنوع في أكثر من علم واحد، سمة من سمات علماء تلك العصور مثل: راوياً مكثراً وشاعراً[١]، وايضاً ما ورد في ترجمة أبي حنيفة الدينوري فقد كان نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً له كتب متعددة في الجبر والمقابلة وفي نوادر الجبر وإصلاح المنطق والكسوف وتفسير القرآن[٢]، وما ورد عن أحمد بن بشر فقد كان فقيهاً عالماً يكتب القرآن أتقن كل ما فيها من جهة العربية والتفسير واللغة والقراءة وكان حافظاً للّغة العربية كثير الرواية[٣]، وما ورد في ترجمة أحمد بن اسحق بن البهلول فقد كان مفتياً في علوم شتى منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، تام العلم باللغة حسن القيام بالنحو تام الحفظ بالشعر القديم والمحدث والأخبار والسير والتفسير وشاعراً كثير الشعر لسنا صالح الخط في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة[٤].

وذكر ياقوت من صفات العلماء أنّ علي بن محمد بن العباس التوحيدي كان صوفي السمت والهيئة وكان يتأله والناس على ثقة من دينه، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه وهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة[٥].

وذكر ياقوت عن أبو علي المنطقي أنه كان جيد الطبقة في الشعر والأدب عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه وجمع ديوانه وكان نحو الفي بيت[٦].

---

(١) معجم الأدباء، ج ٣، ص (٣).

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص (٢٦).

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص (٢٣٥).

(٤) المصدر السابق، ج ١٢، ص (١٣٨).

(٥) المصدر السابق، ج ١٢، ص (١١١).

(٦) المصدر السابق، ج ٣، ص (٢٣٥).

وكان لعمارة بن حمزة تصانيف منها كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبنى العباس وكتاب رسائله المجموعة وكتاب الرسالة الماهانية، وكان يقول بلغاء الناس عشرة منهم عبدالله بن المقفع وعمارة بن حمزة وخالد بن يزيد وسالم بن عبدالله[1].

وقال ياقوت الحموي كان الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب الطّبراني أحد الأئمة المعروفين والحفاظ المكثرين والمصنفين الثقات، الثبات المعدلين[2].

وذكر ياقوت عن محمد بن جرير أنه جمع العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام العرب وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في "تاريخ الأمم والملوك" وكتاب في "تفسير القرآن الكريم" لم يصنف أحد مثله، وكتاب "تهذيب الآثار" لم أر سواه في معناه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء[3].

وقال ياقوت في كتابه أعلام النبلاء في أخبار النّحاة إنّ عبدالله بن إبراهيم كان متمكناً من علم العربية ويكتب الخط الحسن، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض والحساب وصنف فيهما وشرح الحماسة وديوان البحتري وعدة دواوين وكان مرضى الطريقة، صادقاً[4].

كان الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن حيّوية المقري اليونارتي، حافظاً مكثراً كثير الكتابة، سافر إلى العراق وخراسان وسمع

---

(1) معجم الأدباء، ج ١٥، ص (٢٤٣).

(2) المصدر السابق، ج ١٨، ص (١٠٩).

(3) المصدر السابق، ج ١٩، ص (٤١).

(4) المصدر السابق، ج ١٩، ص (٤٧).

الحسن بن أحمد السمرقندي بنيسابور وأبا القاسم أحمد بن محمد الخليلي ببلخ، وتوفي بأصبهان في حدود سنة ٤٣٠[١].

كما ذكر أن أبا سعيد أحمد بن محمد الاصبهاني كان حافظاً عارفاً بطرق الحديث حريصاً على طلبه حسن الخط كثير الضبط ساكناً وقوراً[٢].

٤. **القدرة على المناظرة:**

شهد ذلك العصر مناظرات طريفة بين العلماء كان يتضح من خلالها سرعة البديهة وسعة العلم والدقة في إقامة الحجة على الخصم، من ذلك ما حدث في مجلس المهدي من أن أحد مؤدبي أولاده دعاه المهدي يوماً وهو يستاك فقال له: كيف الأمر من السواك، قال استك يا أمير المؤمنين ثم قال إنا لله وإنا إليه راجعون، التمسوا لنا من هو أفهم من ذا، فقالوا رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه قال له المهدي يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السواك، قال: سك يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم[٣].

وذكر ياقوت أنّ سيبويه قدم العراق على يحيى بن خالد البرمكي فسأله عن خبره فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي، فقال: لا تفعل فإنه شيخ مدينة السلام وقائها، ومؤدّب ولد أمير المؤمنين، فأبى إلا أن يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره فأمره بالجمع بينهما فوعده بيوم فلما كان اليوم جاء الكسائي، فلما جلس قال لسيبويه يا بصري: كيف تقول خرجت وإذا زيد قائم، قال: فيجوز أن تقول

(١) معجم الأدباء، ج ١٢، ص (٢٢).

(٢) المصدر السابق، ج ١١، ص (٩٩).

(٣) المصدر السابق، ج ١٢، ص (١٧٥).

خرجت فإذا زيد قائماً قال لا، قال الكسائي فكيف تقول قد كنت أظنّ أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها، فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب فقال الكسائي: لحنت وخطأه الجميع[1]. وفي ذلك أقول يرجع إليها في مظانّها.

قال الأستاذ ابن العميد ما كنت أظن أنّ في الدنيا الذّ من الرئاسة والوزارة حتى شاهدة مناظرة بين سليمان بن أحمد الطبري وأبي بكر الجعابي بحظرة فكان الطبري يغلب بحفظه والجعابي يغلب بفطنته وذكائه[2].

٥. **المداومة على البحث والكتابة:**

ذكر ياقوت من صفات العلماء المداومة على البحث والاسقصاء والتثبت في طلب العلم، حيث كان العلماء لا يعتمدون في نقل الأخبار إلاّ عمن يشهد له بالصدق، ومع ذلك كانوا يقطعون الفيافي والقفار بحثاً عن حديث أو حكم أو مسألة في شيء وقد يكلفهم ذلك مشاق سفر لشهور وسنوات ومنهم من كان يهلك نفسه حتى يحصل على العمل، وما كان أحدهم يمل أو يكل، ومن ذلك ما ذكره ياقوت عن أبي الحسن أنه كان أديباً فاضلاً، ومحدثاً حافظاً لقي المبرد وثعلباً وابن أبي الدنيا وكتبه محشوة بالرواية وكان يوصف بالدراية[3].

## آداب العالم المعلّم:

١. **القدوة:** للمعلّم العالم آداب يتحلى بها ليكون قدوة لطلبته وليوقر العلم الذي يعلّمه.روى ياقوت عن محمد بن الفضل الطويسي أنه كان إماماً فاضلاً متقناً

---

(1) معجم الأدباء، ج ١٦، ص (١٩١).

(2) المصدر السابق، ج ١٩، ص (١٢).

(3) المصدر السابق، ج ١٢، ص (٢١٩).

فحلاً أصولياً، حسن السيرة جميل الأمر كثير العبادة تفقه على يد أبي حامد الغزالي، وكان من أنجب تلاميذه، متأدباً بآداب العلماء، مخلصاً في تعلمه[1].

كما وذكر ياقوت في أدب العلماء أن محمد بن اسحاق قال تأملت في عبادته وكمال فضله ومرضي سيرته فاستحييت من الله تعالى[2].

٢. **الثناء على العلماء**

ومن آداب العلماء أيضاً أنهم كانوا دائمي الثناء على بعضهم، فقد حكى ثعلب أن الفرّاء دخل على سعيد بن سالم فقال: "قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية"، فقال الفراء: "ما دام الأخفش يعيش فلا"[3].

قال ياقوت: إنّ أبا الحسن علي بن ابراهيم كان عالماً بجميع العلوم والتفسير والنحو اللغة والفقه القديم ولم يكن له نظير ديناً وديانة وعبادة[4].

ومن ثناء العلماء على بعضهم ما ذكره ياقوت عن عمر بن أحمد أنه كان من مشاهير أهالي حلب وكان أديباً وشاعراً فقيهاً وعابداً زاهداً، توارث الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر[5].

٣. **الذكاء والفطنة:** كما ذكر ياقوت عن عمرو بن بحر وهو الجاحظ أنه كان من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره واستغنى عن الوصف[6].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١١، ص (٢٢٣).

(٢) المصدر السابق، ج ١٩، ص (١٩).

(٣) المصدر السابق، ج ١١، ص (٢٢٧).

(٤) المصدر السابق، ج ١٢، ص (٢١٩).

(٥) المصدر السابق، ج ١٦، ص (٥).

(٦) المصدر السابق، ج ١٦، ص (٧٥).

وذكر ياقوت في صفات العلماء عن الفضل بن اسماعيل التميمي أنه كان أديباً فاضلاً لبيباً، أحد أصحاب عبدالقاهر الجرجاني النحوي، وكان مليحاً صحيح الضبط رائق النظم فصيح النثر[1].

كما ذكر ياقوت عن محمد بن أحمد بن محمد أنه كان مذكوراً بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد، معروفاً ومشهوراً به[2].

٤. **التخصص في العلوم:**

ويشير هذا المبدأ إلى أن العلماء السابقين كان لهم اهتمام ببعض العلوم حتى ظهر ما يمكن أن نسميه التخصص في علم معين، ومن ذلك ما رواه ياقوت الحموي من أبا حليمة الكاتب كان أديباً شاعراً وكان يكثر في شعره من الرثاء حتى غلب على شعره الرثاء[3].

وقال ياقوت الحموي أيضاً: أما أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري الأندلسي فقد كتب الحديث الكثير عن علي بن عبدالعزيز ومحمد بن اسماعيل ورحل في طلب العلم وأما أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري فهو فقيه مالكي نشر علم الفقه في الاسكندرية وعليه تفقه أهلها ذكره القاضي عياض في مشايخه فقال محمد بن الوليد الإمام الورع المالكي المذهب[4].

وذكر ياقوت أن سلمان بن عبدالله بن محمد قدم بغداد وقرأ بها النحو واللغة على ابن الدهام وبرع في النحو وكان إماماً فيه، كما أنه كان إماماً في اللغة، تجول في بغداد واستوطن أصبهان وبهما نشر النحو[5].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١٦، ص (١٩٣).

(٢) المصدر السابق، ج ١٧، ص (١٤٣).

(٣) المصدر السابق، ج ١١، ص (١٢٢).

(٤) المصدر السابق، ج ١٥، ص (١٠٣).

(٥) المصدر السابق، ج ١١، ص (٢٣٥).

كما ذكر ياقوت أن أبا عمر أحمد بن محمد بن عبدالله المعاقري كان من المجّودين في القراءة وله فيها تصانيف[1].

كما أنّ عبدالله بن فرج الطولطاني كان نحوياً مشهوراً روى عن أبي علي القالي وأبي عبدالله الرياحي وتحقق بالأدب واللغة وألف كتاباً ممتعاً اختصر فيه المدوّنة[2].

وكان من المتأخرين أبو المعالي طغر لشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري الواعظ، وكان فاضلاً، سمع الحديث الكثير وطلب الأدب والتفسير، وأبو عبدالله الحسين بن علي بن خلف بن جبرائيل بن الخليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري، كان شيخاً فاضلاً واعظاً وله تصانيف كثيرة وغلب على حديثه المناكير، سمع الحافظ أبا عبدالله بن علي الصوري وأبا طالب بن غيلان وغيرهما، روى عنه أبو نصر محمد بن محود السرمدي الشجاعي وغيره، وصنف من الحديث زائداً على مائة وعشرين مصنفاً، وتوفي ببغداد سنة ٤٨٤[3].

وقد ذكر ياقوت أنّ الفقيه أبو عبدالله قد تخصص في الفقه حيث صحب أبا يوسف صاحب أبو حنيفة وتقدم في الفقه وصار مدرساً بجامع قلعة دمشق[4].

أحمد بن عصفور القنبي، قال السلفي: هو شاعر أندلسي فيه مُجون، وقال: قال لي أبو الحسن الأوزبكي بالاسكندرية أنشدني من شعره في حمص الأندلس وقنبة من قراها، وله خطب ولجدّه أيضاً رواية وأدب، وهم بيت مشهور بالعلم، قلت: وحمص الأندلس هي مدينة إشبيلية بالأندلس[5].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١١، ص (٢١١).

(٢) المصدر السابق، ج ١٧، ص (٢٢٠).

(٣) المصدر السابق، ج ١٩، ص (١١).

(٤) المصدر السابق، ج ١٤، ص (١٢٥).

(٥) المصدر السابق، ج ١٤، ص (١٤٣).

محمد بن أحمد بن مسعود بن مفرج بن مسعود بن صنعون بن سفيان من أهل مدينة "شلب" ويعرف باب القنطري منسوب إلى قنطرة السيف لسكنى أبائه فيها، وهو كبير المفتين بها يكنى أبا عبدالله، روى عن أبيه أحمد بن مسعود وتفقه عليه ورحل إلى ابن جعفر بن رزق الله وتفقه عليه بقرطبة، وكان حافظاً لفقه مالك جيد الفهم بصيراً بالفتوى عارفاً بالشروط، وله مسائل كتب بها إلى أبي الوليد الباجي فأجابه عنها، سمع الناس منه وشرع في كتاب الوثائق ولم يتمه[1].

وأبو عبدالله محمد بن عبدالبرّ القنباني المعروف بالكشكيناني، كان من الثقات في الرواية والمجوّدين في الفتاوى وله حظوة عند الحكم المستنصر أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، ودخل المشرق وكتب عنه عبدالرحمن بن عمر بن النحّاس عن عبدالله بن يحيى الليثي[2].

٥. **الشجاعة:**

كان أبو يوسف بن درناسي الفندلاوي فقيهاً مالكياً قدم دمشق ودرس بها كتاب الموطأ وكان متعصباً للسنة ولما هاجم الافرنج دمشق يوم الاربعاء ٥٤٣هـ، خرج لقتالهم أهل الشام الشام فخرج معهم الفندلاي فقال له الأمير: "أيها الشيخ أرجع فأنت معذور فقال له: لا أرجع فقد بعنا واشتري منا، فما انسلخ النهار حتى حصل له ما تمنى له من الشهادة[3].

وكان أبو عبدالله محمد بن خلف بن مسعود المعروف بابن السقاط قاضي الفونكة (بلد في الأندلس)، سمع صحيح البخاري من أبي ذر الهروي وكان حسن الخط سريع الكتابة أمتحن آخر أيامه وذهبت أمواله وكتبه بقي صابراً ثابتاً[4].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١٤، ص (٦٧).
(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١٥، ص (٨٩).
(٣) المصدر السابق، ج ١٤، ص (٢٧٨).
(٤) المصدر السابق، ج ١٥، ص (٢٨٠).

٦- الورع والزهد:

اتـصف العلمـاء بالـورع والزهد في مغريات الدنيا، وتفرغوا للعلم وطلب العلم مـع مـا كانوا يعانون من الأهوال والمشاق، حيث كانوا يؤثرون العمل ورضا الله علـى غـيره، وقـد أخـبر ياقـوت أن من صفات العلماء أن يكون سخياً، لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوالا لا يـبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العي، حليماً لا يبلغ الذل، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش[١].

كـان إمام المحدثين بالأندلس القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن ميرت الصدفي السرقـسطي إمامـاً فقيهاً ورعاً، قلّده أمير المؤمنين على بن يوسف القضاء وألزمه بـه فـتقلده علـى كـره مـنه سنة ٥٠٥هـ، ثم استعفى من القضاء فلم يعفه فاختبأ لـذلك مـدة حتـى أعفـاه الأمير منه وهو غاضب عليه، ثم عرض عليه أن يقلده الخـراج بمـصر فـرد علـيه قـائلاً مالي بالخراج بمصر وما لي قوة عليه، ثم إن أمير المؤمنين رضي منه أن يكون معلماً ناشراً للعلم[٢].

وذكـر ياقـوت عـن علي بن عبدالله أنه قد بلغ من العلم كثيراً فلا فضل إلا وهو منـسوب إليه ورست بالفصاحة قواعده واشتد بالزهد ساعده، ولعمري إنه فاتق رتـوق المعضلات وكشف عن العلوم نقابها ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عـصره فاضـل إلا وقـد اغـترف مـن بحاره واقتبس من أنواره وتصانيفه كثيرة وسعيه مشهور، ومن تصانيفه "مفتاح البلاغة وكتاب البسملة"[٣].

وكـان أبـو الحـسن اللغوي النحوي جيد المعرفة بفنون علم العربية صحيح الخط غاية في اتقان الضبط، وكان ثقة في روايته[٤].

---

(١) معجم الأدباء، ج ١٦، ص (١١١).

(٢) المصدر السابق، ج ١٤، ص (٢١٠).

(٣) المصدر السابق، ج ١٣، ص (٢٧٧).

(٤) المصدر السابق، ج ١٤، ص (٥٩).

## الصفات الخلقية والعلميّة:

لقد كان العلماء يتحلون بصفات ساعدتهم على تنمية قدراتهم العلمية ومنها:

١- الذكاء، فقد كان أحمد بن رياش على قدر عال من الذكاء وسرعة الحفظ وحسن المذاكرة والسعي الجاد في طلب العلوم فكان مما ورد عنه أنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة وعشرين ألف بيت شعر[١].

٢- قوة الشخصية والصدق، فقد كان أحمد الخزاز على قدر عال من الفهم والمرونة والصدق والأدب فقد كان مليح المجلس حسن الترسل ممكناً من نفسه[٢].

٣- الحرص على السماع من أفواه العلماء، فعند سماع العلم من أصحابه يكون أكثر وقعاً وتأثيرا في النفس وخاصة إذا كان معه أسلوب حوار ومناقشة واستفسار، فعندما أهدى الزبير كتاب النسب إلى أحمد الطوسي قال له أحب أن تقرأه عليه، واسمع ابنه معه[٣].

٤- تفضيل العلم وتقديمه على المال، دليل على أن العلم هو الأصل والمال هو الفرع كما ورد في ترجمة ابراهيم الصولي عندما نقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها وهو يكتب بكمه فعجب أبو الغييث فقال: لا تعجب فالمال فرع والقلم أصل ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع[٤].

٥- اندماج أفراد المجتمع الواحد على اختلاف عقائدهم، فالمجتمع الإسلامي يتكون من أفراد مسلمين وغير مسلمين تجمع بينهم علاقة تعاون واندماج دون تعرض لهم بأي أذى وهذا مما يزيد من رفعة المجتمع وتماسكه وتلاحم أفراده فعن

---

(١) معجم الأدباء، ج ٢، ص (١٥).

(٢) المرجع السابق، ياقوت الحموي، ج ٣، ص (٥-٨).

(٣) المرجع السابق، ياقوت الحموي، ج ٣، ص (٥٤).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (١٨١).

إبـراهيم بـن هـلال الصابي وكان غير مسلم، حسن المعاشرة وكان يصوم شهر رمضان مسايرة وموافقة للمسلمين ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه بدليل رسائله وما كتب فيها[1].

٦- الاهـتمام بالقـرآن وبالـسنة الـنبوية الـشريفة، لقـد اهـتم العلمـاء مـع علمهم وبراعتهم باللغة والأدب بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة سواء من حيث الحفـظ أم التمسك والتأسي بسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أو التفسير والتألـيف فيما يخدم المسلمين، فقد كان أبو الحسن البستي حافظاً للقرآن تالياً له وكـان لا يتعـرض لحلـق شـعره جرياً على السنة السالفة[2]، وقد ألفَ أحمد بن سهل البلخي كتاباً في نظم القرآن وكتاب البحث عن التأويلات وكان من أنفع الكـتب للمسلمين[3]، وجمع أحمد بن الحسين بديع الزمان بين الأدب والاهتمام بالحـديث وكـان متعصباً لأهل الحديث والسنة وكان يعرف الرجال والمتون[4].

ومـن شـدة اهـتمامهم وتمكـنهم من القرآن الكريم كانوا يستعينون به في تفسير كلام العرب والشعر وإعرابه، فعندما سأل أبو مدلف أبو سعيد عن بيت امرئ القـيس كبكر المقاناة البياض بصفرة) فقال بسؤاله له هي المقاناة أم غيرها، قال: قلـت هي قال أفيضاف الشيء إلى صفته قلت: نعم، قال وأين قال: قد قال الله تعالى ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فأضاف الدار إلى الآخرة وهي بعينها[5].

٧- الاهـتمام بأيـام العـرب وأنسابهم، فقد كان العرب شديدي الافتخار بأنسابهم ومـا ورد عنها من أشعار لذلك برعوا في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٢، ص (٢٨).

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٥٥).

(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص (٨٠).

(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٦٢).

(٥) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٥).

مع إعراها وممن برع في ذلك أحمد الخزّاز وأحمد بن زهير وأحمد أبو رياش حيث كـان الأخـير باقعـة ألذكي الذي لا يفوته شيء) في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشـعارها غايـة بـل آيـة في هـدّ دواويـنها وسـرد أخـبارها مـع فصاحة وبيان وإعراب وإتقان[1].

٨- تولـي الأدبـاء مناصـب قـيادية ووظائف عديدة، حيث لم يعتكف العلماء فقط علـى الدراسة وطلب العلم والتأليف بل كانوا حريصين على السعي في العمل طلـباً للرزق، وتأكيداً على قدرتهم في الجمع بين العلم والعمل فتولوا مناصب للقـضاء مثل أحمد ابن بختيار، فقد كان فقيهاً وليّ القضاء بواسط[2]، ومنهم من كـان معلمـاً ومـؤدباً، فكـان أحمـد بن إبراهيم يقيم في منزل أبي أسحق المزكي سـنتين لـتأديب أولاده وحفـظ سماعـاتهم علـيهم، وكـان والد أحمد بن سهل البلخـي معلماً للصبيان[3]، ومنهم من كان كاتباً كأحمد البلخي فقد عرض عليه أن يصبح وزيراً لكنه رفض خوفاً وورعاً، فعين كاتباً[4].

٩- حرصـهم علـى إتقـان اللغـة العـربية والـبراعة فيها، فاللغة العربية لغة القرآن ومعـتمد كـل العلـوم لـذلك حـرص العلمـاء على اتقانها مع شغفهم وحبهم الـشديد لهـا وممن برع فيها أحمد بن اسحق بن بهلول فقد كان تام العلم باللغة، حـسن القـيام بالنحو، تام الحفظ للشعر القديم[5]، وممن برع أيضاً فيها أحمد أبو ريـاش وأحمـد بـن بـشر وأحمد بن الحسن فقد كان الأخير عالماً بالأدب والنحو العروض[6]، وغيرهم كثير.

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٢، ص (١٢٥).

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص (٢٦٢).

(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص (٦٩).

(٤) المرجع السابق، ج ٣، ص (٧٥).

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٣٨).

(٦) المرجع السابق، ج ٣، ص (٩).

١٠- استثمار الوقت، لا بد من مراعاة الوقت واستغلاله بالعلم والعمل على طول فترة حياة الإنسان ولآخر لحظة من عمره، فقد ورد عن أحمد بن باكير أن له كثيراً من المصنفات وشرع في أشياء لم تمهله المنية ليتمها[١]، فهذا دليل قوي على حرص هذا العالم على استثمار وقته حتى آخر للحظة من عمره.

## طرائق التّعليم:

لقد اعتمد العلماء عدداً كبيراً من الطرائق في تلقي العلم ومنها:

١. الملازمة، فملازمة التلاميذ للشيوخ ومجالسهم من أهم الطرق التي اعتمدها العلماء ففي هذه الطريقة تقوية وإغناء للمعلومات وزيادة في علاقة المعلم بتلاميذه ومحبته لهم، فقد لازم أبو اسحق الزجاج للمبرد وكان يقول "فلزمته وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وينصحني في العلم حتى استقللت"[٢]، وكان أحمد بن إبراهيم الؤلؤي كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي[٣].

٢. العرض والسماع، اهتم العلماء بالعرض والسماع على الشيوخ حتى يتأكدوا من حفظهم، فقد كان أبو سعيد الضرير يعرض على ابن الأعرابي أصول الشعر أصلاً أصلا ومن فائدة هذه الطريقة مشاركة وسماع التلاميذ جميعهم لما يعرض فيحفظون ويتقنون لمجرد سماعهم، كما أنه دليل على قوة حفظهم وذكائهم وجدهم في طلب العلوم، فكان مما حفظه أبو سعيد الضرير أثناء حضوره عرض أحد التلاميذ، شعر الكميت فقال حفظته بعرضه وحفظت

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٣، ص (٢٨٣).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (١٣١).

(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢١٣).

النكت التي أفاد فيها[1]، ومن الأمثلة الأخرى استخدام هذه الطريقة بين العلماء قراءة أحمد الدينوري على المبرد عندما دخل بغداد[2].

٣. المناظرة، وهي الجادلة الكلامية العلمية التي فيها الفائدة من نقل للمعلومات والثقافات بين العلماء مع اثبات الروح الرياضية فيها من عدم الغضب والصّخ والانزعاج بل كان التنافس في العلم هدفاً لهم مثل المناظرة التي تمت بين أبي الخوارزمي مع الهمداني[3].

٤. المذاكرة، تعتبر من الطرق المهمة لتأكيد العلوم والحفظ بين العلماء، فكان يجلس العلماء مع بعضهم لمذاكرة ومدارسة علومهم والاستفسار عن الإشكالات التي تمر معهم، وهي مهمة لتركيز وزيادة الحفظ، فقد حصل أن اجتمع أحمد أبو رياش مع أبي محمد المافروخي بالبصرة فتذاكرا أشعار الجاهلية وأخذا يتذاكران القصائد ويتناشدان إلى آخر القصيدة[4].

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٢، ص (٢٥).
(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٤٨).
(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٦١).
(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٢٣).

# عيون الأنباء في طبقات الأطباء

قيل فيه:

هـذا الكـتاب لـو يـباع بمثله ذهـباً لكـان الـبايع المغـبونا

## أولاً:- المؤلف:

ورد في كتاب عيون الأنباء أن اسمه "موفق الدين أبي العباسي أحمد بن القاسم بـن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ ابن أبي أصيبعة" حيث ينتسب إلى الصحابي الشهير سعد بن عبادة[1].

## مولده ونشأته:

ولد في مدينة دمشق عام ٦٠٠هـ مع اختلاف في التاريخ ويرى البعض التعرف علـى تـاريخ تقـريبي لـسنة مـولده مـن خلال تقديمه لترجمة عمه "رشيد الدين علي بن خلـيفة" ومعظـم الـدلائل تشير إلى أنه ولد في دمشق في أواخر القرن السادس الهجري "نحو ٥٩٨هـ". ورغم الجهود التي بذلها ابن أبي اصيبعة في ترجمة حياة الأطباء فإنّه لم يهتم بتدوين سيرته الشخصية ولا سيرة أبيه على الرغم من أنهم من اشهر الأطباء.

نـشأ في بـيت علـم وأدب فقـد كـان أبوه طبيباً ذا أهمية عالية ومحبة للفضائل وأهلـه. وكـذلك كـان جـده. وأبوه "سديد الدين القاسم بن خليفة كان طبيباً مشهوراً. وكحـالاً مـرموقاً في زمانـه. تلقـى تعلـيمه بمصر، وخدم بطبه الملك العادل أخ صلاح الدين الأيوبي[2].

---

[1] وهب، قاسم، من عيون الأنباء في طبقات الأطباء وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م، ص (١١).

[2] المرجع السابق، ص (١٣).

وعمـه رشـيد الـدين علـي بن خليفة فكان من الأطباء المعدودين في زمانه لمع نجمه في سن مبكرة، فصار "شيخاً يقتدى به في صناعة الطب، ويشتغل عليه بها وله من العمر دون الخمس وعشرين سنة وكان أيضاً يشعر ويترسّل"[1].

فقـد تعلـم صناعة الطب "طب العيون" على يد أبيه حيث أتاح له المناخ العلمي الـذي كـان سـائداً العـناية والتوجـيه الـذي يـسدد خطاه ويمكنه من الالتقاء بالعلماء والاجـتماع بهـم. حـيث تلقـى حفظ القرآن الكريم ومعرفة اللغة والحساب والتفسير والحـديث والآداب[2] وقـد تـرك ذكـرا خالـدا ومؤلفا ضخما ألفه لأمين الدولة وزير الملك الصالح وهو أحسن كتاب في التراجم[3].

وأمـا شـيوخه: فقـد قـرأ علم النحو على شيخه تقي الدين خزعل بن عسكر الـذي كـان أوحد زمانه في هذا العلم وقرأ الطب على موفق الدين يعقوب الذي كان أعلم أهل زمانه في كتب جالنيوس. ومعرفتها[4] ومن الأطباء الذين درس وتعلم منهم ومـارس مهنة الطب معهم "مهذب الدين عبدالرحيم بن علي" حيث قال "ولازمته أيضاً في وقـت معالجـته للمرضـى في البيمارستان فقد تدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب"[5].

وقـرأ ابـن اصـيبعة كتب ابقراط في الطب. وتتلمذ في علم الأدوية على ضياء الـدين ابـن البـيطار المالقـي النباتي المشهور. حيث يقول: "ولقد شاهدت معه في ظاهر دمـشق كـثيراً مـن النـبات في مواضـعه، وقـرأت علـيه أيـضاً تفـسيره لأسمـاء أدويـة

---

[1] ابـن أبـي اصـيبعة، عـيون الأنـباء في طـبقات الأطـباء، تحقـيق نـزار رضـا، مكتـبة الحـياة بـيروت، ١٩٩٥م، ص (٧٣٦).

[2] وهب، قاسم، مرجع سابق، ص (١٤).

[3] المرجع السابق، ص (٥).

[4] المرجع السابق، ص (٥-٩) بتصرف.

[5] المرجع السابق، ص (٢٨).

ديسقوريدس فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً[1]. ومن شيوخه رضي الدين الرحبي ت (٦٣١هـ)، وشمس الدين الخوئي ت (٦٣٧هـ)[2].

وعمل ابن أبي اصيبعة في البيمارستان الذي أنشأه نور الدين زنكي في دمشق. ثم انتقل إلى مصر وعمل في البيمارستان الناصري وقد تجاوز الثلاثين من العمر والتقى بها بالشيخ السديد ابن أبي البيان الإسرائيلي. عالم الأدوية وعاد من القاهرة إلى دمشق ثم انتقل إلى صرخد[3] لخدمة صاحبها وقضى فيها نحو من أربع وثلاثين سنة من عمره وبقي فيها حتى الوفاة.

## ثقافته:

الذي يطالع كتابه "عيون الأنباء" يدرك مدى ثقافته وسعة إطلاعه فقد عاش في مصر الموسوعات التي سعت إلى الإمام بجوانب الثقافة العربية الإسلامية كافة، وتقييدها في مصنفات كبرى كما يشهد الكتاب لمؤلفة بمتانة الخلق. ونزاهة الملك. وهي من آداب المهنة في الإسلام.

ومما يدلك على ذلك أنه كثيراً ما انتقد الأطباء في أقوالهم وأفعالهم مما يدل على التزامه بالأدب والمروءة وأخلاق المهنة. وكان طبيباً مطلقاً شاعراً يتحرى الدقة في القول والعمل.

عاش بن أبي اصيبعة في القرن السادس الهجري وقد شهد نهاية هذا القرن تحول الدولة الأيوبية من طور التماسك والقوة إلى طور التفتت والانقسام. فعندما توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٩هـ) انقسمت الدولة الموحدة إلى

---

(١) وهب، قاسم، مرجع سابق، ص (٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) صرخد، بلد ملاصق لبلاد حوران وتسمى صلخد مركز المنطقة الجنوبية من محافظة السويداء.

دويلات متناحرة. وفي هذا الوقت كان الفرنجة يشنون الغارات لاسترداد ما خسروه في حروبهم مع صلاح الدين. واستمر تدهول الدولة الإسلامية في الشام.

وشـهدت مـصر في ذلك الوقت صوراً مروعة للمجاعات والأوبئة والنكبات. وفي زمـن ابـن أبـي اصـيبعة دخـل المغـول بغداد ثم دمشق. وفي هذا الزمن ازدهرت دراسة الطب وخاصة في الشام ومصر. فأنشئت البيمارستانات لعلاج المرضى والعناية بهـم وزودت بالمكتبات وقاعات الدرس. مما اثر في شخصية ابن أبي اصيبعة ابعد تأثير وقد اجمع القدماء على أن وفاته كانت حوالي (٦٦٨هـ).

## أهم صفاته:

ذكـر ابـن أبـي اصيبعة في كتابه أنه ألف أربعة كتب ما عدا كتابه عيون الأنباء وهذه الكتب هي:

١. إصابات المنجمين.
٢. حكايات الأطباء في معالجة الأدواء.
٣. التجارب والفوائد.
٤. معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم.

## لماذا صناعة الطب؟

بـين المؤلف سبب اتجاهه للطب واتخاذه مهنة في قوله: "ولما كانت صناعة الطب من أشهر الصنائع، وقد ورد تفضيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية، حتى أصبح علـم الأبـدان قريباً لعلم الأديان .... وإذا كانت صناعة الطب من الشرف بهذا المكان وعمـوم الحاجـة إليه داعية من كل وقت وزمان، أن يكون الاعتناء به أشد والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد"[1].

---

[1] ابن أبي اصيبعة، طبقات الأطباء مقدمة الكتاب، ص (٧).

## ثانياً:- الكتاب:

عرف كتاب عيون الأنباء بعدة أسماء منها "تاريخ الأطباء" ومنها "عيون الأنباء في تاريخ الأطباء". ولكن أشهر الأسماء وهو الاسم الذي أراده صاحبه هو "عيون الأنباء في طبقات الأطباء".

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في مقدمة كتابه السبب الذي دعاه إلى تاليف كتابه حيث أنه لم يجد كتاباً جامعاً يذكر فيه أحوال الأطباء. وقال في ذلك "وأنه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث أصولها وتطلبها، منذ أول ظهورها وإلى وقتنا هذا، وكان منهم جماعة من أكابر أهل الصناعة، أولى النظر فيها والبراعة، ممن توافرات الأخبار بفضلهم ونقلت الآثار بعلو قدرتهم ونبلهم أو شهدت لهم بذلك مصنفاتهم ودلت عليه مؤلفاتهم ...... ولم أجد لأحد من أربابها ولا ممن أنعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء، وفي ذكر احوالهم على الولاء رأيت أن اذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم"[1]. وإنه أودعه أيضاً نبذا من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم وذكر شيء من أسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم وحباهم به من جودة القريحة والفهم".

ويذكر المحققون أن ابن أبي اصيبعة قد ألف كتابه عام (٦٣٤هـ) عقب انتقاله إلى صرخد عام (٦٣٤هـ) بدعوة من صاحبها الأمير عز الدين ايبك المعظمي، الذي اختاره ليكون في خدمته.

كان ابن أبي اصيبعة قد وضع نصب عينه هدفاً نبيلاً عند العمل في تاليف كتابه حيث أنه ذكر أن ذلك واجب علينا في حق من علمنا حيث يقول بعد ذكر سبب التاليف "ليستدل بذلك ما خصهم الله تعالى من العلم "يقصد الأطباء" وحباهم به من

---

[1] ابن أبي اصيبعة، مرجع سابق، ص (٨).

جـودة القريحة والفهم .... فإن علينا من النعم فيما صنعوه والمن فيما جمعوه في كتبهم مـن علـم هـذه الـصناعة ووصـفه، ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن على من أحسن إليه .......".

ويعـد كـتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" من أشهر المصنفات التي تناولت تـاريخ الطب، وسير أعلامه، وآثارهم العلمية عند العرب في القرون الوسطى، لأن ما سبق مـن مـصنفات ألفها عدد من المعنيين بهذا الموضوع كابن النديم والبيهقي، وابن جلجـل الأندلـسي، والقفطـي، وغيرهم لم تكن على أهميتها لترقى إلى المستوى الذي بلغه صاحب عيون الأنباء من حيث:

١. الاستقصاء والشمول والإحاطة، والدقة في استخلاص النتائج.
٢. نقلـه معلـومات مفـصلة عـن تـاريخ الطـب وأعلامـه عـند اليونان ومن سبقهم وغيرهم من الأمم.
٣. ذكـره لكـثير مـن مـؤلفات الأطـباء ووصـاياهم وأشعارهم ونوادرهم وحكمهم وشروحهم.
٤. نقلـه تفاصيل طريفة عن الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية لعصر مـؤلفه والعـصور الـسابقة. فهـو مـصدر تربوي ثقافي فضلاً عن كونه مصدراً في تاريخ الأطباء.
٥. أوسع كتاب في الترجمة للأطباء يذكر به كل من سبقه أو جاء بعده.

وقـد ذكـر محقـق الكـتاب "نـزار رضـا" أن هـذا الكتاب لأهميته "استلفت انتباه الفـرنج فتتـبعوه وقـام المستشرق الألماني "مولر" بطبعه نقلاً نسختين خطيتين عثر عليهما عام (١٨٨٤م)"[1].

---

[1] النجار، عامر، تحقيق كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ج ١، ط، دار المعارف، القاهرة.

## مصادر الكتاب:

يمكننا القول بأن صاحب "عيون الأنباء" قد اعتمد عدة مصادر في تصنيف كتبه منها:

١. المراجع المدونة في الطب وتاريخه، وسير أعلامه، والعلوم المتصلة بصناعة الطب ثـم كـتب الأدب والتاريخ العام. وقد سمى بعض هذه الكتب والبعض ذكرها غير معرفة كقوله "وجدت في بعض الكتب" أو نقلت من خط بعض المشايخ".
٢. المشافهات التي سمعها من أعلام عصره في الطب والحكمة والأدب، وغير ذلك من ضروب المعرفة الأخرى.
٣. المشاهدات والمعاينات التي رآها وسجلها في أثناء دراسته، ومعاينته للمرضى.
٤. ومن أهم من نقل عنهم ابن أبي اصيبعة:

- ابـن الـنديم: حـيث كـان كتابه "الفهرست" عمدة ابن أبي أصيبعة في الكلام على المتطببين القدماء وأخبارهم.
- حنين بن اسحق: نقل عنه من كتابه "نوادر الفلاسفة والحكماء".
- ابن المطران في كتابه "بستان الأطباء".
- المبشر بن فاتك ت(٥٨٩هـ).
- تعاليق أبو سليمان المنطقي.
- ابن جلجل الأندلسي: صاحب كتاب "طبقات الأطباء والحكماء".
- ظهير الدين البيهقي صاحب كتاب "تاريخ حكماء الإسلام".
- أبو الريحان البيروني.
- الواقدي، والطبري، والحسن بن الهيثم.
- الفارابي، ابن سينا.

بالإضافة إلى غيرهم من الأطباء والحكماء.

## ثالثاً: المنهج:

قسم المؤلف كتابه إلى خمسة عشر بابا بينها في مقدمة كتابه، بدأها بالنظر في كيفية وجود صناعة الطب، وأول حدوثها والمبتدئين بها، ثم انتقل إلى ذكر طبقات الأطباء عند الأمم القديمة كاليونان، والعرب، والسريان، وافرد باباً لطبقات الأطباء الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ثم أعقب ذلك بذكر الأطباء المشهورين في مخلف الأقاليم الإسلامية، كالعراق والجزيرة وديار بكر وبلاد العجم والهند والمغرب ومصر والشام[1].

ويلاحظ على منهجه ما يلي:

١. ليست أبواب الكتاب في مستوى واحد من الاستيفاء والتنسيق، فحين عرض لتاريخ الطب وسير الأطباء عند اليونان كان العرض متقناً. وربما بسبب توافر المادة العلمية في ذلك، حيث أن الطب اليوناني حظي بدرجة كبيرة من العناية من قبل علماء المسلمين في العصور الوسطى، وعندما عرض لأطباء الهند والعجم، وكان في عرضه اختلال وسرعة وحلقات مفقودة، وربما لعدم توافر علمه بذلك، حيث نجده عند ذكره لأطباء الشام "وهو منهم"- كان عرضه واسعاً عرض الملم بالمادة العلمية[2].

٢. ابتدأ بالترجمة لأطباء اليونان وغيرهم.

٣. لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها حسب علمه حيث يقول: "رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكاتا وعيونا في مراتب المتميزين من الأطباء .... وأن أودعه أيضاً نبذاً من أقوالهم وحكاياتهم، ونوادرهم، ومحاوراتهم، وذكر شيء من أسماء كتبهم"[3].

---

[1] النجار، عامر، تحقيق كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١، ط، دار المعارف، القاهرة، ص (٨-٩).

[2] المصدر السابق، ص (٣٦).

[3] ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص (٧).

٤. عند تقديمه لأعلام الطب وتعريفه بهم، يذكر اسم المترجم، ونسبه، وفضله في صناعة الطب، والجهة التي خدمها بصناعته، والمكانة التي أحرزها، وما حققه من جاء، وثراء ومعتنيات بفضل مهنته، ثم يذكر أخبارا ونوادر من أعماله الطبية. فمثلاً عند ترجمة لموفق الدين البغدادي قال: "موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف الذي يعرف بابن العباد موصلي الأصل، بغدادي المولد، كان مشهوراً بالعلم، متحلياً بالفضائل، مليح العبارة كثير التصنيف، كان والده قد شغله بسماع الحديث في صباه على جماعة منهم أبو الفتح"[١] ثم يذكر بعضاً من أخبار الطبيب عن نفسه.

وهو لا يذكر سنة الولادة في الغالب، ويذكر سبب الوفاة إن عرفها، ثم يذكر الكتب التي ألفها، كما يترجم للأطباء في كل قطر على حده، فالطبقة تختص بأهل بلد أو قطر محدد.

يرسم الشخصيات بهيئاتها-وملامحها النفسية وأبرز الجوانب الإنسانية والخلقية فيها، ومما يدل على دقة منهجه أنه يحرص أن يلم بجوانب الشخصية كلها حتى أنه يذكر طرائف الأطباء وهزلهم وجدهم وما نظموا من شعر[٢].

## مفهوم الطبقة عند ابن أبي أصيبعة:

لم يكن مفهوم الطبقات واضحاً عند ابن أبي أصيبعة، فهو لم يرتب الأطباء حسب قيمتهم العلمية والعملية، فهو وإن اعتمد التاريخ أساساً للتصنيف إلا أنه لم يجر وفق خطة مرسومة، وكان يترجم للطبيب وابنه وابن ابنه وهكذا حتى يصل إلى الفرع الخامس أحياناً ولم يلتزم بعدد محدد من الأطباء في كل طبقة.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص (٣٧).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٧).

وقد التزم في منهجه بالموضوعية والأمانة العلمية حيث ترجم للكثير من اليهود والنصارى وغير المسلمين، وذكر فضائلهم بعيدا عن التعصب، وربما يذكر فضل طبيب معين وينتقده في أمر آخر كقوله بعد ذكر فضائله "لولا سوء طبع فيه لولا قلة مروءة، كما أنه يبدأ بذكر ايجابيات المترجم له، قبل ذكر سلبياته، ويبالغ في ذكر الايجابيات، وأن ذكر السلبيات يميل إلى الاختصار.

كما أن الذي يطالع كتابه يرى أنه غالباً ما يعرض الآراء المختلفة ويقلبها على وجوهها، ثم يصحح ما قد يعتريها من أوهام. وينتقد ما فيها من خلل أو خطأ باستخدام البراهيم والأدلة.

وهذا ما نلاحظه خاصة في الباب الأول عند كلامه عن الأدلة "وجود صناعة الطب وأول حدوثها" فهو يعرض الآراء المختلفة حول القضية ثم يخلص إلى النتيجة يذكرها[1].

طبع كتاب "عيون الأنباء" لأول مرة في المطبعة الوهبية بمصر سنة (١٨٨٢م) بعناية المستشرق الألماني اوغست مولر في جزأين. واستدرك على هذه النسخة بعض الأخطاء من قبل "مولر" سنة (١٨٨٤م).

كما طبع ثانية في بيروت سنة (١٩٦٥م) في مجلد واحد، شرح وتحقيق د. نزار رضا.

طبع ثالثة في بيروت بإشراف "سميح الزبن" في ثلاثة أجزاء والطبعة خالية من الهوامش[2].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص (١٧).

(٢) المرجع السابق، ص (٤٣).

# القضايا التربويّة

لقد تضمن كتاب عيون الأنباء الكثير من المضامين التربوية الواضحة وف الكتاب نوع من الشمول الذي يتناول طرق التدريس والمناهج وسن التعليم الطبي والعلاقة بين المعلم والمتعلم بالإضافة إلى اهتمام الدولة بـ التعليم، وبعض القضايا التي تتعلق بالنفقة على التعليم بالإضافة إلى النصائح والوصايا والحكم التي جرت على السنة العلماء والأطباء وما فيها من دلالات تربوية مهمة تتمثل في:

## ١. سن التعليم:

عند البحث في تاريخ التربية الإسلامية عبر العصور، نجد أن سن التعليم في الغالب كان يقارب السبع سنوات لقول الرسول ﷺ: "علموا أولادكم الصلاة أبناء سبع"[١]. ولكن قد يبدأ سن التعلم قبل ذلك أو بعد. فإذا كان الطفل مستعداً للتعلم في سن مبكرة فلا بأس في ذلك، والتعليم الطبي شأنه شأن غيره من العلوم فالطالب لا يبدأ بتعلم الطب مباشرة بل لا بد أن يكون هناك مرحلة تأسيسية قبل دراسة الطب، ومن ذلك ما ورد في ترجمة الطبيب علي بن رضوان من طبقة أطباء مصر، قال عن نفسه: "فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى وأجهدت نفسي في التعلم، ولما أتممت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال أنفق منه فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة"[٢] كذلك كان تحصيل أهم ما يتعلق بالعلم يتم في سن مبكرة، حيث يقول ابن سينا عن نفسه: "وأحضرت معلم

---

[١] ابن أبي اصيبعة، ص (٥٦١).

[٢] المرجع السابق، ص (٥٦١).

القرآن ومعلم الآداب، وأكملت عشرا من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب[1]. وقال أيضاً ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدّة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب، وتعهدت المرضى فانفتح عليّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، وأنا مع ذلك اختلف إلى الفقه وأناظر فيه وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة[2]. ويذكر أنه بدأ بالمعالجة وهو ابن سبعة عشر سنة عندما عالج سلطان بخارى[3].

## ٢. الاهتمام بالعلم والعلماء:

يعد اهتمام الدولة بالتعليم من أول المسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام، وقد كان الخلفاء والأمراء يهتمون بالتعليم وينفقون عليه الأموال الطائلة، ويجلون أصحابه، ويقدرون أعمالهم ويكرمونهم حتى لو كانوا غير مسلمين، ومن الامثلة على ذلك:

- اهتمام هارون الرشيد بـ"جبرائيل بن بخت يشوع بن جورجي" حيث كان له حظوة عظيمة ومما قاله هارون الرشيد للناس في حقه" من كان له أي حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأني أفضل كل ما يسألني فيه، ويطلبه مني"[4]، وقد مات جبرائيل ويملك من الأموال ما لا تحصى.
- ما قاله المعتصم في طبيبه "سلمويه بن بنان": "سلمويه طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة، لأن هذا يحكم في نفسي، ونفسي أعرف من ما لي وملكي"[5].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٤٣٧).

(٢) المرجع السابق، ص (٤٣٨).

(٣) المرجع السابق، ص (٤٣٩).

(٤) المرجع السابق، ص (١٨٨).

(٥) المرجع السابق، ص (٢٣٤).

- ما كان يعطيه المأمون "لحنين بن إسحاق" المترجم حيث قيل: "إنه كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل"[1]. وهؤلاء جميعاً في طبقة الأطباء أول ظهور الإسلام.

٣. **تمويل التعليم:**

شهدت الحضارة الإسلامية اهتماماً بالتعليم، والإنفاق عليه سواء فيما يتعلق ببناء المدارس والمساجد ودور العلم والكتاتيب أم بالإنفاق على المتعلمين، والإضافة للمصادر الفردية ومصادر الدولة، في الإنفاق كان هناك ما يعرف بالوقف وما له من أثر رائد في التعليم والإنفاق عليه ومن ذلك:

- بناء المستشفيات (البيمارستانات) ووقفها ووقف الكتب بها في سبيل الله تعالى، كما فعل نور الدين زنكي في دمشق: "وكان نور الدين رحمه الله وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب والطبية وابتدأ بالصلاة في هذه المدرسة يوم الجمعة"[2].
- ما جاء في ترجمة بدر الدين بن قاضي بعلبك: "ولما وجدته قد صنعه من الآثار الحسنة التي تبقى مدى الأيام. ونال بها من المثوبة أوفر الأقسام أنه لم يزل مجتهدا حتى اشترى دورا كثيرة ملاصقة للبيمارستان الكبير الذي أنشأه ووقفه الملك العادل نور الدين زنكي، وتعب في ذلك تعباً كثيراً، واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشتراه إليه وجعلها من جملته، وكبر بها قاعات كانت صغيرة للمرضى، وبناها أحسن بناء، وشيدها وجعل الماء فيها جارياً، فتكمل بها البيمارستان، وأحسن فعل ذلك غاية "الإحسان" ولم يزل يدرس صناعة الطب"[3].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٢٦٠).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٢٨).

(٣) المرجع السابق، ص (٧٥١).

- جاء في ترجمة الطبيب "مهذب الدين عبدالرحيم بن علي": "ولما كان في سنة اثنين وعشرين وستمائة ..... وقف داره وهي بدمشق عند الصاغة العتيقة شرقي سوق المناضلين وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن يشتغل ما ينصرف في مصالحها، وأوصى أن يكون المدرس فيها شرف الدين علي بن الرحبي"[1].

وقد كانت الدولة تجري الجرايات الواسعة على الأطباء الذين يعملون في المستشفيات ويعملون بها.

**٤. الاهتمام بالمواهب وتوجيهها لحاجة المجتمع ومما ورد في ذلك:**

جاء في ترجمة "فخر الدين محمد بن العمر بن الحسين الرازي المعروف بـ ابن خطيب الري من طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم" أنه كان له ولدان أحدهما يقال له "شمس الدين" كان ذكياً حتى انه أوصى به أحد تلامذته المشهورين قال: "وأوصيه ثم أوصيه بأن يبالغ في تربية ولدي أبي بكر فإن أثار الفطنة والذكاء ظاهرة عليه ولعل الله تعالى يوصله إلى الخير"[2].

ومما ورد أن الملك العادل ملك مصر كان يهتم بأبناء الأطباء الموهوبين ويوجههم بما فيه الفائدة حسب حاجة المجتمع والدولة حيث أعجب بذكاء وفطنة ابن الطبيب "رشيد الدين أبو خليقة" قال: "فحمله الملك العادل ووضعه بين يديه فمسك بيده وتحدث معه حديثاً طويلاً، ثم التفت إلى والده، وكان قائماً في خدمته وقال له: "ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالأجناد عندنا كثيرون، وأنتم

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٧٣٣).

(٢) المرجع السابق، ص (٤٦٨).

بيت مبارك، وقد استبركنا بطبكم، تسيره إلى الحكم أبي سعيد إلى دمشق ليقرئه الطب، فامتثل والده الأمر وجهزه وسيره إلى دمشق"[1].

### ٥. العلاقة بين الطبيب المعلم وتلامذته:

تتسم هذه العلاقة بالشفقة والرحمة والإخلاص من جانب المعلم والتلميذ أو الطبيب ويضاف إلى ذلك أحياناً النفقة على الطلبة وشؤونهم، ومن جانب التلميذ يحظى الطبيب بالاحترام والتقدير ومثال ذلك:

- ما ورد في ترجمة "موفق الدين البغدادي" حيث يذكر رواية موفق الدين عن الوجيه الواسطي أحد العلماء الشيوخ: "وكان رجلاً أعمى من أهل الثروة والمروءة، فأخذني بكلتا يديه، وجعل يعلمني أول النهار وآخره بوجوه كثيرة من التلطف"[2]. وهذا يوضح أهمية التعامل بالطريقة الأحسن والأيسر مع المتعلمين.
- ومما ورد من إحسان المعلم إلى تلامذته ما ورد في ترجمة "موفق الدين مطران" من طبقة أطباء الشام أنه كان: "كثير المروءة كريم النفس يهب لتلامذته الكتب ويحسن إليهم"[3].
- ما ورد في "شمس الدين الخسروشاهي": قال عنه ابن أبي اصيبعة: "كان يجل العلماء وعندما يمسك أحد كتبهم كان يقبلها ويضعها على رأسه فيقول: "هذا خط شيخنا الإمام فخر الدين الخطيب رحمه الله تعالى"[4].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٥٩١).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٨٤).

(٣) المرجع السابق، ص (٦٥٥).

(٤) المرجع السابق، ص (٦٤٩).

## ٦. أماكن التعليم:

أ- المساجد: فقد كانت المساجد بالإضافة لكونها مراكز لتعليم الفقه واللغة كانت مراكز لتعليم الفلك والطب والرياضيات.

- فقد ذكر بن أبي اصيبعة أن موفق الدين البغدادي كان يدرس الطب في الجامع الأزهر طوال مدة إقامته في مصر حيث يقول: "وكانت سيرتي في هذه المدة أنني أقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة، ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون، وفي الليل اشتغل مع نفسي"[١].

- ما ورد في ترجمة موفق الدين البغدادي مما نقله عن الوجيه الواسطي أحد الأطباء الذين درس عليهم يقول موفق الدين: "فكنت أحضر حلقته بمسجد الظنونة، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها .... ثم خرج من المسجد"[٢].

ب- المدارس: ومن ذلك ما رواه ابن أبي اصيبعة عن سيف الدين الامدي: "وكان إذا نزل وجلس في المدرسة وألقى الدرس والفقهاء عنده يتعجب الناس من حسن كلامه من المناظرة والبحث وكنت اجتمعت به واشتغلت عليه في كتاب رموز الكنوز من تصنيفه"[٣].

- ومن ذلك ما سبق في ترجمة مهذب الدين عبدالرحيم بن علي بأنه جعل داره مدرسة يدرس فيها بعده صناعة الطب"[٤].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٦٨٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٨٤).

(٣) المرجع السابق، ص (٦٥١).

(٤) المرجع السابق، ص (٧٣٣).

ج- في المنازل والطرق، ومن ذلك ما ورد في ترجمة:

- مهذب الدين عبدالرحيم بن علي: "أنه كان إذا تفرغ من البيمارستان، وتفقده المرضى يأتي إلى داره ثم يشرع بالقراءة والدرس والمطالعة، وينسخ ما ينسخه، فإذا فرغ يأذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين".
- ما جاء في ترجمة الوجيه الواسطي كما يرويها موفق الدين البغدادي حيث يقول: "ثم يخرج من المسجد فيذكراني في الطريق، فإذا بلغنا منزله أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فأحفظ له وأحفظ معه ثم يذهب إلى الشيخ كمال الدين"[1].

د- وفي المستشفى حيث أن البمارستانات كانت تلحق بها المكتبات والدواوين للتعليم والمباحثة ومن ذلك:

- جاء في ترجمة "أبو المجد بن أبي الحكم" من أطباء الشام أنه كان: "داخل الديوان الملحق بالبيمارستان الذي وقفه نور الدين زنكي حيث يجلس هو والمتدربون والتلاميذ لتلقي العلوم الطبية"[2].

ومن ذلك أيضاً التدرب والتعلم من خلال متابعة ومعاينة المرض داخل البيمارستان وقد جاء في ترجمة مهذب الدين، يقول ابن أبي أصيبعة: "ولازمته أيضاً في وقت معالجته للمرض في البيمارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب"[3].

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٦٨٤).

(2) المرجع السابق، ص (٦٢٨).

(3) المرجع السابق، ص (٧٣١).

### ٧. المنهاج:

معظم المناهج الطبية كتبت أولاً في زمن اليونان، ويتكلم ابن أبي اصيبعة عن المنهج الذي كان يتعلمه التلميذ اليوناني للطب حيث ينقل كلام المترجم حنين بن إسحاق: "الآداب أول ما يعلمه الحكيم للتلميذ، في أول سنة مع الخط اليوناني، ثم يرفعه من ذلك إلى الشعر والنحو ثم الحساب، ثم إلى الهندسة، ثم إلى النجوم، ثم إلى الطب، ثم إلى الموسيقى، ثم بعد ذلك يرتقي إلى المنطق، ثم الفلسفة وهي علوم الآثار العلوية فهذه عشرة يتعلمها المتعلم في عشر سنين"[١].

وقد كانت كتب اليونان في الطب تدرس عند المسلمين مثل كتب أرسطو وابقراط وجالينوس وهو من اشهرهم، ولا بد لأي طبيب أن يطلع على هذه المناهج عند تعلمه الطب.

- أما عن تعلم الطالب المسلم للطب فلا بد أن يبدأ بمرحلة تأسيسية سابقه، وقد كان القرآن الكريم وحفظه والحديث الشريف وسماعه والشعر والنحو من أول ما يدرسه الطالب المسلم ويشهد لذلك ما رواه ابن أبي اصيبعة:
- إن موفق الدين البغدادي قد شغله والده بسماع الحديث في صباه على جماعة منهم ابن البطي يقول عن نفسه: تربيت في حجر الشيخ أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو، وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث، وأخذت أجازات من شيوخ في بغداد وخرسان والشام ومصر وكنت في أثناء ذلك أتعلم الخط، وأتحفظ القرآن العظيم والمقامات، وديوان المتنبي، ومختصرا في الفقه، ومختصرا في النحو ......"[٢].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٩٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٨٣).

- وعند الحديث عن ابن سينا قال عن نفسه: "إن أول عهدي كان بالقرن من بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت عشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب ...... وأخذ أبي يوجهني إلى رجل كان يبيع التصل بحساب الهند حتى أتعلمه ثم جاء أبو عبدالله النائلي المتفلسف وانزله أبي دارنا جاء تعلمي منه وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد .... ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه، ولا جرم أني برزت فيه في أقل مدة ... وأنا مع ذلك اختلف الفقه وأناظر فيه وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة"[1].
- وقد كان كثير من الأطباء يحرصون على تحصين طلابهم بالتربية الإسلامية قبل تعلم كتب الفلسفة والمنطق والطب ومن ذلك ما ورد في ترجمة أحد أطباء المغرب والأندلس وهو "أبو بكر بن زاهر" الذي ولد في اشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم وجاء في وصفه: "أنه كان ملازماً للأمور الشرعية، متين الدين، قوي النفس محباً للخير"[2]. وعن منهجه في تعليم التلاميذ كان يحرص على العلوم الشرعية أولاً ثم ينتقل إلى غيرها ومن ذلك أنه: "كان له طالبان أتيا إليه ليشتغلا عليه في صناعة الطب ولازماه مدة وقرا عليه شيئاً من كتب الطب ثم إنهما أتياه يوماً وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق،...... فلما نظر ابن زاهر إليه وعلم أنه في المنطق، رمى به ناحية ثم نهض إليهم ليضربهم فبقوا منقطعين عنه أياماً ثم إنهم توسلوا إليه ..... ولما كان بعد عدة مديدة أوهم أن يجيدوا حفظ القرآن وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه أولاً ........ ثم قال لهم الآن صلحتم لأن تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي"[3].

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٤٣٨).
(2) المرجع السابق، ص (٥٢١).
(3) المرجع السابق، ص (٥٢١).

- كان كثير من الأطباء يهتم وينظم الطب والنصائح الطبية في أبيات شعرية مما عزف بالرجز. وقد عرف منهم كثير ومن الذين ذكرهم ابن أبي اصيبعة: "سديد الدين ابن رقيقة" حيث يقول عنه: "فأما الرجز فإنني ما رأيت في دقته من الأطباء أحداً أسرع عملاً له منه، حتى إنه كان يأخذ أي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في أسرع وقت مع استيفائه للمعاني ومراعاته لحسن اللفظ"[1].
- وجاء في ترجمته أيضاً أنه "تعلم العربية وسمع شيئاً من الحديث"[2].
- وجاء في ترجمته مهذب الدين عبدالرحمن بن علي: "أنه اشتغل بالعربية على تاج الدين الكندي، ولازم موفق الدين بن المطران الطبيب ودرس القانون لابن سينا وكانت كتب جالينوس تعجبه كثيراً"[3].

ومما سبق يتضح أن هناك مرحلة تأسيسية يتعلم فيها الطالب العربية والحديث وحفظ القرآن والشعر والخط ثم ينتقل بعدها إلى كتب الطب والمنطق والفلسفة.

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٧٠٣).

(2) المرجع السابق، ص (٧٠٤).

(3) المرجع السابق، ص (٧٢٨).

## أساليب التعليم في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء

كانت عملية التعلم والتعليم تتم بين التلميذ ومعلمه الطبيب بعدة أساليب تتعدد بالموضوع الذي يدرس، ومن هذه الأساليب: القراءة والمذاكرة والحوار والمناقشة والرحلة والمناظرة والمباحثة والملازمة والمعاينة والمراسلات والتكرار وغيرها من الأساليب المتمثلة فيما يلي:

### أ- القراءة والقراءة الذاتية:

تعد القراءة من على الأستاذ من أكثر الأساليب وأشهرها، ولكن بسبب تعدد المؤلفات الطبية فإنه من الصعب قراءتها جميعها على الأستاذ، لذلك كان الطالب يلجأ إلى القراءة الذاتية أيضاً للتزود من العلوم الطبية[1]. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عبارات تدل على القراءة الذاتية والقراءة على الشيخ، والقراءة على الشيخ منها: "وكان سائر أوقاته لا يوجد إلاّ ومعه كتاب ينظر فيه" أو "وكان كثير المطالعة للكتب لا يغير عن ذلك في أكثر أوقاته أو فكان أبدا لا يفارق في كمه مجلدا يطالعه أين توجه"[2].

ومما ورد في ذلك:

- ذكر ابن أبي اصيبعة عن نفسه أنه قرأ على العديد من العلماء من أمثال رفيع الدين الجبلي: "وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكمية"[3]. وقال عن شمس الدين الخوبي "وكنت أتردد إليه، وقرأت عليه بالبصرة لابن سهلان"[4].

---

[1] ابن أبي اصيبعة، ص (٧٢٨).

[2] المرجع السابق، ص (٦٥٥).

[3] المرجع السابق، ص (٦٤٠).

[4] المرجع السابق، ص (٦٤٠).

- ما ذكره عن ابن سينا أنه قال: "ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا"[1].
- وما ورد في ترجمة الطبيب "مهذب الدين": "كان الشيخ مهذب الدين بعد أن فرغ من البيمارستان، وتفقده المرضى يأتي إلى داره ثم يشرع إلى القراءة والدرس والمطالعة. فإذا فرغ من يأذن للجماعة فيدخلون إليه ... وكان يقرأ كل واحد منهم درسه .... وكان لا يقرئ أحدا إلا بيده نسخة من الكتاب .... فإذا فرغ من القراءة يعود إلى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس والمطالعة"[2].

ب- الحوار والمناظرة والمباحثة:

كانت تجري بين الأطباء ومعلميهم وتلاميذهم الكثير من الحوارات والمباحثات الطبية، هذا وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على مقدار النضج في العملية التعليمية وحرية التعلم وإبداء الرأي. والبعد عن التعليم التلقيني. وقد أورد ابن ابي اصيبعة الكثير من الأمثلة على ذلك في تراجمه كذلك كان يصف الطبيب كثيرا بأنه حسن المناظرة أو يذم البعض لسوء مناظرته مما يأتي تفصيله عند الحديث عن صفات الطبيب ومن الأمثلة على المباحثات والمناظرات:

- ما ورد عن عمه "رشيد الدين علي بن خليفة: "شرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه وقرأ كتب جالينوس الستة عشر ... ثم باحث الأطباء ولازم مشاهدة المرضى بالبيمارستان"[3].

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٤٣٨).

(2) المرجع السابق، ص (٧٣٣).

(3) المرجع السابق، ص (٧٣٧).

- ما ذكره ابن سينا عن نفسه كما يرويه ابن أبي أصيبعه: "وقد ألفت طرق المطالعة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به"[1].

وما ورد في سيرة فخر الدين الرازي: "وكان إذا ركب ليمشي حوله ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وكان إذا جلس للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار مثل زين الدين الكشي والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم، فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثون أولئك التلاميذ الكبار، فإن جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه، وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف"[2].

وفي هذا إشارة إلى التعليم التعاوني وأهميته:

- وكانت المباحثات والمناظرات تتم داخل المستشفى ومن ذلك أن أبو المجد الباهلي "كان يجلس في الديوان الذي وقفه نور الدين زنكي "مكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه، ثم تجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ، ولا يزال منهم في اشتغال مباحثه"[3].

## ج- الملازمة:

ويستخدم ابن أبي اصيبعة هذا المصطلح للدلالة على مصاحبة الطالب للأستاذ لأوقات طويلة، سواء في دروسه أم في معالجته أم في منزله أم في سفره وحظره. ومن ذلك ما رواه عن الطبيب "رشيد الدين أبو سعيد" أنه اشتغل بعلم الطب على

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٤٣٨).

(2) المرجع السابق، ص (٤٦٢).

(3) المرجع السابق، ص (٦٢٨).

يـد عمـه رشـيد الـدين علي بن خليفة وقرأ عليه: "ولازمه حق الملازمة، وكان لا يفـارق في سفره وحضره، وأقام عنده في دمشق وهو دائم الأشتغال عليه"[1]. ومن ذلـك مـا حكـاه موفـق الدين البغدادي عن ملازمته لشيخه الوجيه الواسطي "ثم نخـرج مـن المـسجد فيذاكرني في الطريق ........ وأقمنا على ذلك مدة كلما جاء حفظـي كثر وجاد وفهمي قوي واستنار، وذهني احتد واستقام، وأنا ألازم الشيخ وشـيخ الـشيخ"[2] يروي ابن أبي اصيبعة عن نفسخ بأنه كان يلازم معلمه الطبيب "مهـذب الدين" أثناء معالجته للمرضى حيث يقول: "ولازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيمارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب"[3].

د- الرحلة في ظل الدولة الإسلامية المترامية الأطراف:

وفي أجـواء مـن الحـرية في الـسفر، كانـت الـرحلة تمثل وسيلة للتزود من المعرفة والالـتقاء بالأطـباء والعلمـاء. سـواء في دمشق، ومصر أم بغداد أم في بلاد الروم واليونان. ومن ذلك:

- مـا جـاء في سـيرة "ابـن مطران" أنه سافر إلى بلاد الروم لإتقان الأصول التي يعتمد عليها ثم عدل على العراق وبقي فيها إلى أن توفي دمشق"[4].

هـ- التعلم بالمعاينة:

ويقـصد بهـا معايـنة المرضـى وعلاجهـم والـتدرب علـى ذلك. ومما ورد في هذا الشأن:

---

(1) المرجع السابق نفسه، ص (٥٩٩).

(2) المرجع السابق نفسه، ص (٦٨٤).

(3) المرجع السابق نفسه، ص (٧٣١).

(4) المرجع السابق نفسه، ص (٦٥٢).

- ما ذكر ابن أبي اصيبعة عن نفسه: "فكنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان، وأنا معهم أجلس مع الشيخ الرحبي فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم. وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها"[1].

و- التعلم بالمراسلة:

ويقصد بذلك الرسائل الطبية التي كانت تتم بين المرضى والأطباء أو بين الأطباء بعضهم ببعض. وهي أشبه ما يكون بما يعرف حالياً بالتعلم عن بعد. إذ قد يتعذر التواصل المباشر بين الطبيب أو بين الطبيب وتلميذه أو معلمه.

ومع ذلك ما أرسله أحد الوزراء إلى ابن سينا يشكو من مرض أصبه قائلاً:

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه ... وغرس أنعامه بل شيء نعمته

يشكو إليه أدام الله مدته ... أثار بثر تبدّي فوق جبهته[2]

فأمنن عليه بحسن الداء مغتنما ... شكر النبي له مع شكر عشرته

فرد عليه ابن سينا:

واللحم يهجره إلا الخفيف ولا ... يدني إليه شرابا من مدامته

والوجه يطلى بماء الوجه مقتصرا ... فيه الخلاف خلافاً حين صحوته

هذا العلاج ومن يعمل به سيرى ... آثار خير ويكفي أمر علته[3]

---

(1) ابن أبي اصيبعة، ص (٧٣٢).

(2) المرجع السابق، ص (٤٥١).

(3) المرجع السابق، ص (٤٥١).

ز- **التعليم بالتجربة والتكرار:**

وهذا من خلال تجريب الأدوية وعلاجات المرضى. ومن ذلك يقول ابن سينا عن نفسه كما روى ذلك ابن أبي اصيبعة وتعهدت المرضى فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف وكان ابن سينا يكرر ويعيد ما يقرأه غالباً فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة[(١)]. ولا بد لطالب أن يكون ذكياً موهوباً راغباً في دراسة الطب ثم رغبت في دراسة على الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه[(٢)].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، ص (٤٣٨).

(٢) المرجع السابق، ص (٤٣٨).

# "وفيات الأعيان"

## المؤلف:

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الأربلي الشافعي، ولد باربل سنة ثمان وستمائة، وسمع بها صحيح البخاري[١]. قال عنه المزّي: "وكان فاضلاً بارعاً متفننا، عارفاً بالمذهب حسن الفتاوى، جيّد القريحة، بصيراً بالعربية، علامّة في الأدب والشعر وأيام الناس، كثير الإطلاع، حلو المذاكرة، وافر الحرمة فيه رياسة كبيرة له كتاب "وفيات الأعيان" وقد اشتهر كثيراً وله مجاميع أدبية[٢].

وابن خلكان ينتسب إلى بيت مشهور بالفقه والعلم، وربما كان يميز أفراد تلك الأسرة الفقه خاصة أكثر من غيرها من العلوم[٣]. وقد شهدوا له بالبراعة في الفقه والأصول والعربية وسعة إطلاعه في المذهب الشافعي، وكان دائم الإطلاع محباً للكتب ينفق على اقتنائها، ويطلع عليها في المكتبات الموقوفة على المدارس، ويكاد أن يكون كتابة مرآة تصوّر الإطلاع على تلك الكتب[٤].

## الكتاب:

كتاب ضخم واسع متشعب النواحي، وهو من أمهات الكتب العربية طبع مراراً وآخرها طبعة دار صادر بيروت بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس، وقد

---

(١) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ١، ص (٥).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٥).

(٣) إحسان عباس، دراسة في ابن خلكان وكتابة وفيات الأعيان، ص (٢٠)، بيروت: دار الثقافة.

(٤) المرجع السابق، ص (٥٤).

ذكر المؤلف أن سبب تأليف هذا الكتاب هو للتاريخ ورجال التاريخ، الأمر الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، الذي يقول في مقدمته: "هذا مختصر في التاريخ دعاني إلى جمعه أني كنت مولعاً بالإطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم ومواليدهم"[1].

وبين مؤلف أنّ اسم الكتاب هو "وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان مما يثبت بالنقل أو السماع أو أثبته الأعيان" وبين أنّ الغرض من هذه التسمية سهولة الاستدلال على مضمون الكتاب من العنوان[2].

## المنهج:

أ- رتب المؤلف الكتاب بحسب حروف المعجم، ولم يرتب بحسب السنين، "فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت إليه"[3]. والتزم بذلك التزاماً تاماً، فكان يقدم من كان في اسمه همزة ومن كان ثاني حرف من اسمه أقرب إلى الهمزة، وهذا الترتيب يقدم المتأخر ويؤخر المتقدم، فيذكر الحفيد قبل الأب والجد، ويدخل ما ليس من الجنس بين المتجانسين "فقدمت إبراهيم على احمد لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء وكذلك فعلت إلى آخره ليكون أسهل للتداول"[4].

ب- لم يذكر أحداً من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، إلا جماعة يسيرة تدعو الحاجة إلى معرفة أحوالهم، وذلك اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب فيقول: "ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا من

---

(1) إحسان عباس، دراسة في ابن خلكان وكتابة وفيات الأعيان، ج ١، ص (١٩).

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (١٩).

(3) إحسان عباس، مقدمة وفيات الأعيان، ج ١، ص (٢١).

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٢٠).

التابعين رضي الله عنهم، إلا جماعة يسيرة تدعوا حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء: لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب........"[1].

ج- ذكر من الكتاب جماعة من الأفاضل الذين شاهدهم ونقل عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم يرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدي" ولم يقتصر الكتاب على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه. فيقول: "ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ....."[2].

د- يذكر اسم الشخص ونسبه وبعض أحواله بحسب المعلومات المتوافرة مع الإيجاز كي لا يطول الكتاب، ويثبت تاريخ الوفاة والمولد ما أمكنه ذلك ويتعدى إلى ذكر محاسن الشخص بما يتعلق به سواء أكان مكرمة أو نادرة أم شعراً أم رسالة.

هـ- يحرص على التنويع في أسلوب عرض الترجمة، فيذكر عن الأشخاص ما عرفوا به من المكارم أو النوادر أو الشعر حتى يتفكه القارئ، ولا يلتزم في الكتاب أسلوباً واحداً، وذلك من أجل حثّ الناس على القراءة في الكتاب. فيقول: "والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مقنناً"[3].

و- قيد المؤلف الألفاظ وقام تشكيلها حتى لا يقع القارئ في الخطأ والوهم فيقول: "وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيحه"[4].

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٢٠).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٢١).

(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠).

(4) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠).

ز- يضع المؤلف اسم الشهرة عنواناً للترجمة، ثم الاسم الأصلي للعلم المترجم له مرتباً على حروف المعجم، ومثال ذلك ترجمة الخطيب العراقي في حرف الهمزة واسمه إبراهيم بن منصور وعنوان الترجمة كان الخطيب العراقي[1]. وابن عسكر الموصلي في حرف الهمزة واسمه إبراهيم بن نصر، وعنوان الترجمة ابن عسكر الموصلي[2].

حـ- يذكر المؤلف سنة الوفاة والولادة في آخر الترجمة ولم يترجم إلا لمن عرف تاريخ وفاته وقد أكد هذا في كتابه عدة مرات فلم يترجم لكلثوم بن عمرو العتّابي والحسن بن وهب[3] وهو يتوخى في ذلك كله الإيجاز ويحاول إثبات المولد- إن وجد[4].

ط- ذكر أنّ كتابه موثق لأنه تحرى الدقة ولم يتساهل في نقل معلومة ممن لا يوثق به.

ي- يطلب من المتخصصين نقد الكتاب وإصلاح الخلل فيه بعد التثبت فيه[5].

## المبادئ التربوية في الوفيات:

١. **التلقي من معلم**: ويقول عن القشيري ذُهب إلى مجلس الاسفرابيني وسمع درسه أياما فقال له الأستاذ هذا العلم لا يحصل بالسماح ولا بد من الضبط وبالكتابة[6]. يقول عن ابن السمعان لُقي العلماء وأخذ عنهم وبالسهم وروى عنهم واقتدى بأفعالهم وآثارهم الحميدة[7].

---

(1) إحسان عباس، دراسة في ابن خلكان وكتابة وفيات الأعيان، ج ١، ص (٣٣).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٧).

(3) المرجع السابق، ص (٧١-٧٣).

(4) المرجع السابق، ص (٧٣).

(5) المصدر السابق، ص (٢١).

(6) المصدر السابق، ج ٣، ص (٢٠٦).

(7) المصدر السابق، ج ٣، ص (٢٠٢).

٢. مبدأ التعزيز:

استخدام هذا المبدأ، له أثر فعّال في شحذ همة الطالب، ودفعه إلى الإمام، وقد ورد هذا المبدأ في التراجم: وذلك أن الملك المعظم ابن العادل شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري (١٠٠ دينار)، وقال ابن خلكان: ورأيت بعضهم بدمشق والناس يقولون إن سبب حفظهم له كان هذا[١].

٣. التكرار:

إحدى أساليب التعليم التي يحتاج المعلم إلى استخدامها، حتى يسهل الحفظ لدى المتعلم، فقد ورد في ترجمة ابن السماك: أنه قد تكلم يوماً وجاريته تسمع كلامه، فقال لها: كيف سمعت كلامي؟ فقالت: هو حسن لولا أنك تردده

فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه.

فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه[٢].

يستنبط من هذا النص عدم المبالغة في التكرار، لأنه يؤدي إلى الملل، والتكرار على قدر متوسط، لا هو بالملل ولا هو بالمخل يكون مفيداً.

٤. الكناية:

تعني استعمال اللفظ المجازي للدلالة على المعنى المراد، فقد أورد ابن خلكان في ترجمته أن ابن سمعون وحيد دهره في الكلام وحسن الوعظ وحلاوة الإشارة..... قال في مجلس وعظه يوماً: سبحان من أنطق باللحم، وبصر بالشحم، وأسمع بالعظم، إشارة إلى اللسان والعين والأذن وهذه من لطائف الإشارة[٣].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص (٤٩٥).

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص (٣).

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص (٣٠٣).

فيلاحظ أنه كنى عن كل من هذه الحواس بأسلوب مجازي لطيف، يُسهل على السامع أن يفهم المراد ويحفظه، لأن مثل هذه الألفاظ قريبة من النفس.

٥. **الأمانة العلمية:**

أشار ابن خلكان في كتابة بنقل المادة العلمية المتاحة عن المترجم له مع الإشارة إلى مصادرها الأصلية.

فقد ذكر "أبا يعلى الخليلي" في كتابه "الإرشاد" وذكر "القضاعي" في كتابه "الخطط"[١]. وذكر "عبدالفاخر بن إسماعيل الفارسي" في كتابه "تاريخ نيسابور"[٢]. وذكر ابن رشيق في كتابه "العمدة".

فقد ورد في ترجمة "أبو يعلى" ما يشير إلى هذه القيمة التربوية، فقد ذكر الخليلي في كتاب الإرشاد في ترجمة "المزني" أن الطحاوي كان ابن أخت المزني، وأن "محمد بن أحمد الشروطي" قال: للطحاوي: "لم خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة؟ فقال: لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه"[٣].

٦. **الابداع في التخصص:**

أشار المؤلف إلى مجالات إبداع المترجم لهم أو ما سماه بماذا اشتهروا بين الناس، والإنسان الذي يشهر بشيء غالبا ما يكون مبدعا فيه[٤].

فورد أن إبراهيم النديم الموصلي لم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان[٥] وان أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي كان أوحد زمانه في

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٧١).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٧٧).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٧١).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٤).

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٢).

التفسير وصنف "التفسير الكبير" الذي فاق غيره من التفاسير[1].

وان العراقي الخطيب كان فقيها فاضلاً شرح كتاب المهذب[2] وكان المؤلف يشير أحياناً إلى وظائف المترجم لهم ومهنهم المختلفة.

٧. **مراعاة الفروق الفردية:**

وهو مبدأ تربوية عظيم من مبادئ التربية الحديثة، وهي تعني اختلاف أفراد مجموعة فيما بينهم بصفة من الصفات كما هو معروف وقد عمل المؤلف على مراعاة الفروق الفردية في جانبين، الأول: انه كان ينوع بين الحكم والشعر والقصص والثاني: عمله على تشكيل الألفاظ حتى لا يقع فيها تصحيف أو خطأ في القراءة فليس جميع الناس عندهم القدرة على القراءة بشكل سليم دون تشكيل مثل قوله: والمسلّم بضم الميم وتشديد اللام[3] وأرّجان: بتشديد الرّاء المهملة[4] والطحاوي نسبة إلى طحا بفتح الطّاء والحاء المهملتين وبعدها ألف[5].

٨. **زيّ طلبة العلم:**

كان هناك زي موحد للطلبة في ذلك الوقت، فقد وصف أبو داود هذا الزّي فقال: كان لطلبة العلم كم واسع وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ فقال: الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه[6].

فبقي الطلبة على هذا الحال حتى جاد أبو يوسف صاحب أبو حنيفة وغيّر زي الطلبة إلى الهيئة التي هم عليها الآن- في زمن ابن خلكان- فقد كان ملبوس

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٧٩).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٧).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٦٦).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٧).

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص (٧٢).

(٦) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٠٥).

الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد بلباسه، فكان أول من غير لباس العلماء[1].

٩. **تعليم البنات:**

لم يكن التعليم في ذلك العصر مقتصراً على تعليم الذكور دون الاناث، فقد مارست الأنثى وظيفتها كالذكر في التعلّم وتعليم الآخرين، فقد روى ابن خلكان أن "شهدة بنت الإبري" كانت من العلماء، فقد سمّع عليها خلق كثير، وكان لها السماع العالي، وسمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد"[2].

وكذلك قول "زينب بنت الشعري": "أدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم وأجازوني"[3].

١٠. **تعظيم العلماء:**

اهتم الإسلام بالمعلم اهتماماً كبيراً، ومنحه مكانة عالية، فهو وارث الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد وردت آيات وأحاديث نبوية عديدة تبين فضل العلم ومكانته في الدنيا والآخرة، ومما يدل على مكانة وتعظيم المعلم بين الناس قول الإمام "أحمد بن حنبل": "ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو "للشافعي وأستغفر له"[4].

١١. **الإنفاق على التعليم:**

لم يكن التعليم في ذلك العصر تعليماً مركزياً "يتم في مؤسسات تعليمية مختلفة تابعة للسلطة الحاكمة". وإنما كان أهلياً خاصاً وقفياً، وهذا ما نلحظه في تراجم ابن خلكان من أن مصادر الإنفاق على التعليم كانت متعددة.

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٦، ص (٢٧٩).

[2] المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٧٧).

[3] المرجع السابق، ج ٢، ص (٣٤٤). وانظر أيضاً من الكتاب: (ج ٢، ص ٧٢).

[4] المرجع السابق، ج ٤، ص (١٦٤). وانظر أيضاً من الكتاب: (ج ١، ص ٩٣)، (ج ٣، ص ٩٠).

فقـد كـان أبو منصور البغدادي ذا مال وثروة أنفقه على أهل العلم والحديث، ولم يكتسب بعلمه مالاً[1].

وورد أنّ عـبدالله بـن مالك ورث من أبيه ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفق جميع المال حتى لم يبق له نعل يلبسه[2].

## ١٢. تحصيل الكتاب:

ينبغـي لطالـب العلـم أن يعـتني في تحـصيل الكـتاب المحـتاج إليه، فقد كان ابن العـباس القاضـي مثابـراً حريـصاً علـى تحـصيل الكتب[3]، وقد تعددت طرق تحصيل الكتاب في ذلك الزمان[4]. مثل بيع الكتب واستعارتها ونسخها.

فقـد روى ابن صورة أنه كان يجتمع بأعيان الرؤساء والفضلاء، ويعرض عليهم الكتب التي تباع، ولا يزالون عنده إلى انقضاء وقت السوق[5].

وقد استعار ابن مرار الشيباني من كتب أبو عبيدة[6].

كمـا كـان فخـر الكتاب الجويني ينسخ الكتب لجودة خطه، ورغبة الناس فيها، ويبيعها بأوفر الأثمان[7].

## ١٣. أدوات الكتابة:

ورد في تـراجم ابـن خلكـان إشارة للأدوات المستخدمة في الكتابة آنذاك ومنها المحبرة أو الدواة إذ يقول: الزعفراني الشافعي "ما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منّة"[8].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص (٢٠٣).

(٢) المرجع السابق، ج ٦، ص (١٣٩).

(٣) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٦٣).

(٤) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص (١٤٧- ١٤٨).

(٥) ابن خلكان وفيات الأعيان، ج ١، ص (١٩٧).

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠١).

(٧) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٣١)، وانظر أيضاً من الكتاب: (ج ٢، ص ٣٦).

(٨) المرجع السابق، ج ٢، ص (٧٣).

ومنها استخدام الجلود والعظام والخزف في الكتابة فقد روى أن من عاداتهم في ذلك الزمان الكتابة على الجلود والعظام والخزف وما شاكل ذلك[1].

١٤. **أماكن التعليم:**

وقد ذكر المؤلف -في تراجم مختلفة- أماكن التعليم التي كانت معروفة في عصره، مثل: المساجد، والكتاب، ومجالس الحكام، وبيوت الكبراء، فمن ذلك ما ورد في ترجمة "المتنبي" قال: "وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته....."[2].

وقال "المزني": كنا نأتي "الشافعي" نسمع منه ونجلس على باب داره، ويأتي "محمد بن عبداله بن عبدالحكيم" فيصعد إليه ويطيل المكث، وربما تغذى معه، ثم نزل فيقرأ الشافعي ....."[3].

١٥. **أيام الدراسة:**

كان التعليم في ذلك العصر تعليماً منظماً، ولم يكن عشوائياً، بدليل أن هناك أياماً مخصصة للدراسة وأيام للإجازة، منها ما ورد في تراجم ابن خلكان: أن "أبا الحسن الأشعري" كان يجلس أيام الجمع في حلقة "أبي إسحاق المروزي" الشافعي في جامع المنصورة ببغداد[4].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص (٢٤١).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (١٢٢). وانظر أيضاً من الكتاب: (ج ٢، ص ١٨٠)، (ج ٧، ص ٢٩).

(٣) المرجع السابق، ج ٤، ص (١٩٣).

(٤) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٨٤)، وانظر أيضاً من الكتاب: (ج ١، ص ١٩٧)، (ج ٥، ص ٣٤٣).

## طرائق التدريس:

أورد ابن خلكان خلال التراجم بعض طرق التدريس التي كانت منتشرة في ذلك العصر مثل: المناظرة، والسماع، والقراءة، والإستملاء، والرحلة، وأسلوب التمثيل، والقصة، والسؤال والجواب وغيرها، وفيما يلي بيان هذه الطرق.

### ١. طريقة المناظرة:

تكون المناظرة بين شخصين يتناقشان في موضوع معين علانية، من ذلك ما ظهر في ترجماته مثل: "وكان "بديع الزمان" ينشد القصيدة لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً- فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرج حرفاً ..... وكانت بينه وبين الخوارزمي مناظرة ومناكرة، ومناظرة بكته البديع فيها وأسكته"[١]. وذكر عن ابن سريج أنّه كان يناظر أبا بكر محمد بن داود الظاهري" وقوله: "وكان "الخوارزمي" انظر أهل زمانه، وكان مشهوراً بين العلماء بحسن المناظرة وإقحام الخصوم"[٢].

وقوله في ترجمة أحد الفقهاء المصريين: "قال الإمام الشافعي: ما رأيت أفقه من أشعب لولا طيش فيه وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم وانتهت الرياسة إليه بمصر بعد ابن القاسم"[٣].

"قال الشافعي: ما ناظرت أحداً من المصريين مثله لولا طيش فيه"[٤].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٤٠٢).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٩٧).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٣٨).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٣٩).

## ٢. طريقة السماع:

السماع طريقة قديمة من طرق التدريس، وكيفيتها: أن يقرأ الطالب على الشيخ أو أن يسمع الطالب القراءة من شيخه، وقد ورد في ترجمة ابن خلكان للإمام النسائي: "قال محمد بن إسحاق الأصفهاني: سمعت مشايخنا بمصر يقولون........"[1]، وفي ترجمة ابن أبي داود قال: قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: "سمعت ابن أبي داود في مجلس المعتصم ........"[2]، وفي ترجمة أبو الطيب المتنبي قال: "قال أبو الفتح ابن جني النحوي: كنت قرأت ديواني أبي الطيب المتنبي عليه، فقرأت عليه قول كافور ........"[3].

وفي ترجمة أخرى يقول ابن خلكان: "أبو القاسم القشيري: تفرس في النجابة ثم تردد إلى الاسفراييني، وقعد يسمع درسه أياماً، فقال الاسفراييني: هذا العلم لا يحصل بالسماع ولا بد من الضبط بالكتابة، فأعاد عليه ما سمعه منه تلك الأيام، فعجب منه وعرف محله فأكرمه، وقال له: ما تحتاج إلى درس بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي"[4].

## ٣. طريقة المكاتبة:

ومن طرق التدريس التي ذكرها ابن خلكان في الكتاب ما يسمى "المكاتبة" وهي: أن يكتب شخص إلى آخر يسأله عن أمور، فيجيبه عليها كتابة، مثل: ما ورد في ترجمة ابن العريف أنه كانت بينه وبين القاضي عياض بن موسى مكاتبات حسنه[5].

---

[1] ابن خلكان وفيات الأعيان، ج ١، ص (٧٧).

[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٨١).

[3] المرجع السابق، ج ١، ص (١٢٢).

[4] المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٠٦).

[5] المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٨).

وكان بين ابن بسام وابن حزم الظاهري مكاتبات[1].

كان فتح الدين سيد الناس حافظاً بارعاً أديباً بليغاً مرسلاً، حسن المحاورة لطيف العبارة، فصيح الألفاظ، كامل الأدوات لا تمثل محاضرته، كريم الأخلاق زائد الحياء، حسن الشكل والعمة، وهو من بيت رياسة وعلم، سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدّث وأجاز له عبداللطيف وكناه بأبي الفتح[2].

٤. **طريقة العرض:**

ومن طرق التدريس التي ذكرها ابن خلكان في الكتاب ما يسمى بالعرض وهو: أن يقرأ الطالب من كتاب شيخه أو من ذاكرته بحضرة شيخه وطلابه، ثم يعلق الشيخ عليه، وقد ورد ذلك بشكل كبير من ترجمة ابن خلكان: فقد قرأ الحلاج على الوزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر، وقد قرأ عليه رفعة بخطه[3].

٥. **جمع الروايات:**

هو أسلوب يعتمد على الشخص، حيث يقوم بجمع الروايات المختلفة والمقارنة بينها، فورد في ترجمة ابن العريف: أنه كان له عناية بالقراءات وجمع الروايات والاهتمام بطرقها وحملها[4].

٦. **الرحلة في طلب العلم:**

تعني أن ينتقل الطالب من البلدة المقيم فيها إلى بلدة أخرى لتلقي العلم من منابعه، وتعد الرحلة أحد الأساليب العلمية المهمة في التعليم الدالة على جهود

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (١١٦).

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٨٧).

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٤٣).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (١٦٩).

المسلمين الفذة في طلب العلم، فقد ورد في ترجمة ابن إسحاق الشيرازي: أنه رحل إلى شيراز لطلب العلم[1].

وقال أيضاً: شرع أبو علاء المعري في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة في الآفاق[2].

٧. **الإملاء والاستملاء:**

بدا هذا الأسلوب التعليمي منذ العصور الأولى في الإسلام عندما قام التابعين بإملاء الحديث على شيوخهم وتدوينها، فقد ورد هذا الأسلوب في ترجمة ابن سهل أن الحاكي حضر مجلس الحسن بن سهل وهو يملي كتاب شفاعة[3].

٨. **ضرب المثل:**

يستخدم هذا الأسلوب وسيلة من وسائل الإيضاح، لتقريب البعيد أو لتوضيح معنى مبهم، فقد ورد في ترجمة أبي حنيفة: أنه جاء رجل إليه فقال: إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري أطلقت امرأتي أم لا، قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أمر الماء، وقال لك شريك: اذهب فبل عليه ثم اغسله وقال لك سفيان: اغسله فإن يكن نجساً فقد طهر، وإن يك طاهراً زاد نظافة، فقد أحسن زفر فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما ضربه لسائله من الأمثلة[4].

٩. **القصة:**

تعتبر القصة من الأساليب المهمة في التعليم، لكونها تساعد على جذب انتباه المستمعين وإكسابهم العديد من المعلومات وفق أسلوب قصصي، فقد ورد في

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص (٣١).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٣١).

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٢١).

(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص (٣١٨).

ترجمة القويشيري: أنه استخدم هذا الأسلوب فيما رواه الخطيب في تاريخه: أن أبا القاسم القوشيري ببغداد كان يقص القصص، وكان حسن الوعظ مليح الإشارة[1].

10. **الممارسة (التمثيل):**

ويمكن هذا في ممارسة الوضوء والصلاة ومناسك الحج تمثيلاً. حكي عن وكيع أنه قال: قال لي أبو حنيفة النعمان أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام ........ فقال للحجام: من أين لك هذا؟ قال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا[2].

11. **السؤال والجواب:**

أسلوب قديم قدم التربية نفسها، يقوم فيه المدرس بإلقاء الأسئلة على الطلاب، إثارة للدافعية، وتنشيط ذاكرة الطلاب، ولجعلهم أكثر فهماً وتجاوباً وتفاعلاً.

فقد ورد في ترجمة الفقيه المالكي أسد بن الفرات: أنه كان أول من شرع في تصنيف المدونة، وأصلها أسئلة سأل عنها ابن القاسم فأجابه عنها وكانت تسمى الأسدية[3].

ومن أهم الآداب التي يجب مراعاتها عند استخدام هذا الأسلوب حسب ما ورد في ترجمة ابن خلكان:

1. أن على المسؤول ألا يعجل بالجواب، وإن كان عالماً به، فقد كان أبا القاسم الداركي "إذا جاءته مسألة تفكر طويلاً ثم يفتي بها[4].

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص (٢٠٧).

(2) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٦٢).

(3) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٨١).

(4) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٨٩).

٢. أن علـى المسؤول إذا سئل أن يجيب إجابـة واضـحة بعبارات مفهومة وشافعية فقد كان "الربيع بن يونس" إذا سأله المنصور أجابه بأحسن عبارة، وأجـود بيان، وأوفى معنى[١]، وكذلك كان "أبي حنيفة" إذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دوياً وجهارة في الكلام[٢].

٣. أن يكـون هـدف السائل متعلماً التعلّم لا من أجل إضحاك الجلوس أو الازدراء بالمسؤول، فقد روى "سليمان بن حرب" قال: حدثنا "حماد بن زيد" قـال: قال رجل "لابن شرمة": أسألك؟ قال: إذا كانت مسألتك لا تضحك الجلـوس ولا تزدري بالمسؤول فسل. وقال إياس بن معاوية: من المسائل مـا ينبغـي للسائل أن يسأل عنها، ولا للمجيب أن يجيب فيها، فإن كانت مسألة من غير هذا فليسأل، وان كانت من هذا فليمسك[٣].

٤. على المعلم إذا سئل عن مسألة لا يعلمه أن لا يتحرج من قول: لا أعلم، فقـد قـال "أبـو عمـر الزاهد المعروف بالمطرز": كنت في مجلس أبي العباس ثعلـب فـسأله سـائل عـن شيء فقال: لا ادري، فقال له: أتقول لا أدري وإلـيك تـضرب أكـباد الإبـل، وإلـيك الـرحلة في كـل بلد؟ فقال له "أبو العباس": لو كان لأمك بعدما لا أدري بعر لاسفتت[٤].

## ١٣. التنويع في أساليب العرض:

نوع المؤلف في أساليب العرض فكان يعرض القصص أو يذكر الحكم أو الشعر أو الـنوادر وهذا ما أشار إليه في مقدمته فمن القصص التي أوردها انه سئل ذو

---

[١] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص (٢٩٧).

[٢] المرجع السابق، ج ٥، ص (٤٠٩).

[٣] المرجع السابق، ج ٢، ص (٤١٩).

[٤] المرجع السابق، ج ١، ص (١٠٣).

الـنون المـصري عن سبب توبته فقال حزمت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطـريق في بعـض الصحارى ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض، فخرجت منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخـرى فـضة وفي إحـداهما سمـسم والأخـرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا فقلت حسبي قد تبت ولزمن الباب إلى أن قبلني[1].

وكـان يعـرض الـشعر في كـثير مـن الاحـيان لحكمة أو هدف، وأكثر ما يلفت الانتـباه انـه كـان يردّ الشعر إلى مصادره الأصلية التي اخذ منها. فورد في ترجمة الحكيم العراقي أن أحد أبنائه كان شاعرا واسمه أبو محمد عبدالحكم وكان هذا شـاعرا. فقـال ومن شعر عبدالحكم المذكور في رجل وجبت عليه القتل، فرماه القصاص بسهم فأصاب كبده فقتله، فقال عبدالحكم:

**أخرجت من كبد القوس ابنها فغدت ... تـئن والأم قـد تحـنو علـى الـولد**
**ومـا درت انـه لمـا رمـيت بـه ... مـا سـار مـن كـبد إلا إلى كـبد**

قلت: البيت الأول من هذين البيتين مأخوذ من قول المغاربة:

**لا غـرو مـن حزعـي لبيتهم ... يـوم الـنوى وأنـا أخـوالهمّ**
**فالقـوس مـن خشب تئن إذا ... مـا كلفـوها فـرقة الـسهم[2]**

---

[1] ابن خلكان، مرجع سابق، ص (٧١).

[2] المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤.



# تهذيب الكمال في أسماء الرّجال

## الحافظ جلال الدّين أبو الحجاج يوسف بن الزكي المِزّي ٦٥٤ - ٧٤٢هـ

تحقيق
بشّار عوّاد معروف

### المؤلف:

هـو الحـافظ جـلال الـدين أبـو الحجـاج يوسف بن الزكي المِزّي، ولد في ليلة العاشـر من شهر ربيع الأول لسنة (٦٥٤هـ)، بحلب من عائلة عربية الأصل تنتمي إلى قبـيلة كلـب القضاعية. قرأ يوسف القرآن الكريم وشيئاً من الفقه ولعل العائلة لم تكن معـروفة بـالعلم وطلـبه حـيث لم يكـن والـده عالمـاً لذلك كان اجتهاده من نفسه عند الحاديـة والعشرين قال عنه الحافظ بن حجر العسقلاني "ولو كان له من يسمّعه صغيرا لـسمع مـن ابـن عبدالدائم والكرماني وغيرهما، ولكنه طلب بنفسه في أول سنة خمس وسبعين"[1].

وهـو شيخ المحدثين وعمدة الحافظ، اعجوبة الزمان، الحلبي الدمشقي، ولي دار الحـديث الأشـرفية سنة (٧١٨هـ)، وقد بالغ في الثناء عليه أبو حيان وابن سيد الناس وغيرهم، وتوفي رحمة الله في صفر سنة (٧٤٢هـ)، ودفن في مقابر الصوفية، غربي تربة صـاحبه ابن تيمية، الذي كان رفيق حياته ومثله الأعلى. وكان ابن تيمية كثير الاعتماد علـيه في علمه ومعرفته. وهو صاحب تهذيب الكمال قال عنه تقي الدين السبكي: إنه ما دخل دار الحديث أعلم ولا أحفظ من جمال الدين المِزّي، ولا أروع من النووي ابن

[1] ابن حجر الدرر الكامنة، ج ٥، ص (٢٣٣).

الصلاح"[1]. وقال عنه ابن تيمية" لم يل هذه المدرسة من حيث بنائها إلى الآن أحق لشرط الواقف منه "وقد احتل المِزّي" مكانة عظيمة بين علماء القرن الثامن الهجري في الحديث وعلومه كما ألف أعظم كتابين قامت عليهما شهرته هما "تحفة الإشراف وتهذيب الكمال".

## الكتاب:

من أجلّ المصنفات في معرفة حملة الآثار وضعاً، وأعظم المؤلفات في بصائر ذوي الألباب وقعاً، وقد وفق المزي بين اسم الكتاب ومسماه، وألف بين لفظه ومعناه، بيد انه أطال وأطاب، ووجد مكان القول ذا سعة فقال وأصاب[2].

هذا ما قاله ابن حجر العسقلاني عن كتاب تهذيب الكمال، فقد أجاد في وصفه وذكر سماته وحسناته، لكنه بعد ذلك ذكر السبب في تأليفه كتاباً آخر سماه تهذيب التهذيب بقوله: ولكن الهمهم قصرت عن تحصيله لطوله فاقتصر بعض الناس على مختصره[3].

قرأ أول ما قرأ كتاب "حلية الأولياء" لابن نعيم الأصفهاني يقول عنه الإمام الذهبي امام المؤرخين "وقرأ عليه المِزّي شيخنا شيئاً كثيراً وسمع منه "حلية الأولياء" ورثاه بأبيات بعد موته" اتجه المزّي إلى سماع الحديث من علماء كبار وذكر أن مشيخته نحو الألف شيخ أورد الذهبي عدد كبيرا منهم وقد تنقلّ المزي ورحل في سبيل العلم في بلاد الشام والقدس والحرمين والبلاد المصرية القاهرة والإسكندرية التي قرأ فيها على صدر الدين سحنون.

---

(١) السبكي، طبقات الشافعية.

(٢) العسقلاني، أحمد بن حجر أبو الفضل، تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٤، ج ١، ص (١).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (٢).

واهتم المزّي بدراسة اللغة العربية فأتقنها لغة وتصريفا قال عنه الصلاح الصفدي ولم أر في أشياخي بعد شيخنا أثير الدين في العربية مثله خصوصا في التصريف واللغة[١] وأثير الدين هو أعظم علماء العربية في القرن الثامن الهجري وقد تأثر المزّي في فكره بعدد من العلماء وبخاصة ثلاثة منهم هم ابن تيمية والمؤرخ علم الدين البرزالي ومؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي. وكان المزّي أكبرهم سنا فهم أقران وشيوخ في الوقت نفسه والثلاثة قرأوا على المِزّي واعترفوا باستاذيته وافتخروا بها ومع أنه في شبابه اتصل بغلاة المتصوفة وتأثر بهم إلا أن صلته بابن تيمية ورفقته له أثرت في فكره واتجاهه يقول عنه الذهبي ترافق هو وابن تيمية كثيراً وسماع الحديث وفي النظر في العلم وكان يقرّر طريقة السلف في السّنة وبعض ذلك بمباحث نظرية وقواعد كلامية وما وراء ذلك بحمد الله إلا حسن إسلام وحسبه لله مع أني لم أعلم أنه ألف في ذلك شيئا[٢].

## آراء العلماء فيه:

ترجم له الذهبي فقاله عنه: في تذكرة الحفاظ شيخنا الامام العالم أكبر الحافظ الأوحد محدّث الشام .. وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها والقائم باعبائها لم تر العيون مثله. وأوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله .. وكان ثقة حجة، كثير العلم، حسن الأخلاق، كثير السكوت قليل الكلام جدا. صادق اللهجة لم تعرف له صبوة وكان يطالع وينقل الطباق إذا حدّث وهو في ذلك لا يكاد يخفى عليه شيء مما يقرأ بل يرد في المتن والإسناد ردا مفيدا يتعجب منه فضلاء الجماعة[٣].

---

(١) أعيان العصر، ج ١، ص (١٢٧).

(٢) تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص (١٤٩٩).

(٣) المرجع السابق، ج ٤، ص (١٤٩٨-١٤٩٩).

وقال عنه الصلاح الصفدي إمام المحدثين .. خاتمة الحفاظ، ناقد الأسانيد والألفاظ" وقال أيضاً "لم يسألني ابن دقيق العيد إلا عنه"[1] وقال عنه "السبكي" مع مخالفة المِزّي له "حافظ زماننا –حامل راية السّنة والجماعة والقائم بأعباء هذه الصناعة والمتدرع جلباب الطاعة إمام الحفاظ كلمة لا يجدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، واحد عصره بالاجماع وشيخ زمانه الذي تُصغى لما يقول الأسماع"[2] وقال عنه شمس الدين الحسيني "وكان مع تبحره في علم الحديث رأسا في اللغة العربية والتصريف، له مشاركة جيّدة في الفقه وغيره، ذا حظ من زهد وتعفّف، ويقنع باليسير، وقد شهد له بالإمامة جميع الطوائف[3]، وأثنى عليه الموافق والمخالف" وقال عنه العلامة فتح الدين بن سيّد النّاس "ووجدت بدمشق من أهل العلم الإمام المقدّم والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدّم ابا الحجاج المِزّي، بحر هذا العلم الزّاخر وحبره القائل من رآه: كم ترك الأوائل للأواخر، حفظ الناس للتراجم وأعلم الناس بالرواة من أعارب وأعاجم. لا يخص بمعرفته مصرا دون مصر ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر، وهو في اللغة إمام أيضا"[4].

قال عنه الصلاح الصفدي "كشف به الكتب المتقدمة في هذا الشأن، وسارت به المركبات واستقر في حياته" وقال تاج الدين السبكي "وصنف تهذيب الكمال المجمع على أنه لم يصنف مثله"[5]. ولعظم هذا الكتاب في فنه تناوله عدد من العلماء الحفاظ فألفوا الكتب أو تلخيصاً أو تعقيباً أو أساساً لكتب أخرى ومن هذه الكتب:

---

(1) أعيان العصر، ج ١، ص (٣٩٥).

(2) طبقات الشافعية، ج ١، ص (٣٩٥).

(3) الذيل على ذيل العبر، (٢٢٩).

(4) الصفدي في أعيان العصر، ج ١٢، ص (١٢٧).

(5) السبكي، طبقات الشافعية، ج ١، ص (٤٠١).

١. الكمـال في أسمـاء الرجال وقد ألفه الحافظ الكبير أبو محمد بن عبد الواحد بن سرور المقدسي.
٢. تهـذيب الكمـال للمـزي[1]، حـذف بعـض تـراجم الكمال، ورتب كتابه على حروف المعجم.
٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، مختصر لكتاب تهذيب الكمـال وكـتاب "المجرد في تهذيب الكمال" وكتاب المغتصب من تهذيب الكمال للذهبي.
٤. تهذيب التهذيب للذهبي.
٥. تهـذيب الـتهذيب لابـن حجر العسقلاني، حيث استخار الله تعالى في اختصار الـتهذيب فاقتـصر على ما يفيد الجرح والتعديل، وحذف من التهذيب ما أطال فيه[2]، واختصره إلى ثلثه مع إبداء ملاحظات على الكتاب في مقدمته.

ولـه كـتاب عظـيم ثـان هـو "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" من أعظم الكتب المؤلفة في أطراف الكتب السّتة وبعض لواحقها، قال عنه ابن حجر "قد حصل الانتفاع بهـذا الكتاب شرقاً وغرباً، وتنافس العلماء في تحصيله بعدا وقربا" لذلك تناوله العلماء بالاستدراك والتلخيص والتعليق لأنه الكتاب المعتمد في هذا الفن[3].

تـرافق المـزّي -كمـا ذكرنا- مع ابن تيمية وكان معجبا به وبفكره بحيث لازمه طوال عمره وأخلص له ولآرائه التجديدية كما أن ابن تيمية اعتمد كثيراً على المزي في علمه ومعرفته فعندما ولِي المِزّي دار الحديث الاشرفية بدمشق عام ٧١٨هـ قال عنه ابن تيمية "لم يل هذه المدرسة من حيث بنائها إلى الآن أحق بشرط الواقف منه".

---

[1] المـزي: يوسـف بن الزكي، تهذيب الكمال، تحقيق بشار معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
[2] العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج ١، ص (٤).
[3] مقدمة الكتاب، ص (٢٥).

عندما توفي ابن تيمية في سجنه بقلعة دمشق لم يسمح لأحد بالدخول إلا خواص أصحابه قال عنه ابن كثير "وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ ابن الحجاج المِزّي -رحمه الله- وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى المسجد هناك ولم يدعو عنده إلا من ساعد في غسله منهم شيخنا الحافظ المِزّي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار أهل العلم والايمان"[1] ولما مات المِزّي بعد ابن تيمية بأربعة عشر عاما دفن غربي قبر رفيقه وصديقه ابن تيمية"[2].

أ- **لغة الخطاب:** تعد اللغة أداة التفاهم بين أطراف العملية التعليميّة فينبغي على المعلم مراعاة لغة الخطاب، بحيث تكون مفهومة ومقبولة لتؤثر على سرعة الفهم والإنجاز، كما تؤثر على إتقان العمل والإبداع إلى غيرها من الآثار. ومما نقله المزي في ذلك قول إياس بن معاوية لأبي هند: "أنا أكلم الناس بنصف عقلي فإذا اختصم إلي الاثنان جمعت عقلي كله"[3].

وكلامه هذا دال على تسهيل لغة الخطاب للعوام، فيكلمهم بلغة تناسب إفهامهم، هذا في مجالس العلم، أما في مجالس الحكم والقضاء فالواجب يحتم عليه استجماع العقل بكامل طاقته لإصدار حكم صحيح لتحقيق العدل بين الناس، فلكل مقام مقال.

ب- **الاستعدادات:**

الاستعداد هو قابلية الفرد أو قدرته الكامنة على التعلم بسرعة وسهولة، فاستعدادات المتعلمين متفاوتة، تبعاً للعوامل الفطرية، وللبيئات الاجتماعية والثقافية، وقد اهتم العلماء بهذا الجانب.

---

[1] البداية والنهاية، ج ١٤، ص (١٣٨).

[2] المصدر نفسه، ج ١٤، ص (١٩٢).

[3] المزي، تهذيب الكمال، ج ٣، ص (٤٣٥).

حيث روى المزي عن شرحبيل بن سعد قال: دعا الحسن بن علي بنيه وبني أخيه، فقال: يا بني وبني أخي، إنكم صغار قوم توشكوا أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته[1].

وقول الحسن يؤكد على عدة أمور هي:

1. تفاوت الناس في استعداداتهم العلمية، فمنهم من يستطيع الحفظ أي لديه حافظة قوية تمكنه من رواية الحديث، ومنهم من لا يمتلك الاستعدادات الكافية، فيترتب عليه عمل آخر ألا وهو الكتابة، بالإضافة إلى الاحتفاظ بكل ما يكتبه.
2. تختلف الاستعدادات باختلاف العوامل الفطرية أو البيئات، فحتى في العائلة الواحدة نجد الفروق الفردية في امتلاك بعضهم استعدادات تختلف عن البعض الآخر.
3. لكل متعلم وظيفة مهمة، ينبغي عليه إتقانها مهما كان صغيراً، لأن متعلم اليوم قد يكون عالم الغد، فالمحافظة على المادة العلمية من الضياع مهم، لأنه إن لم يفد الطالب منها، فغيره يستطيع.
4. يظهر من كلامه صفة مهمة وضرورية للمعلم، وهي تنبيه المتعلمين إلى ضرورة إتقان أعمالهم مهما كانت صغيرة وتشجيعهم على ذلك، فكل فرد يمتلك استعدادات ينبغي الوصول بها إلى درجة الإتقان، وهذا من الحوافز المعنوية، لأن إتقان المهمات الصغيرة قد يساعد غيرهم في الوصول إلى الإبداع والابتكار. كما يروي المزي عن أبي زرعة أنه قال: حميد بن قيس من الثقات وهو أخو عمر بن قيس، ثم قال: أنظر ما أبعد ما بين الأخوين،

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص (٢٤٢).

أنظر على حميد من أي درجة من العلو، وانظر إلى عمر في أي درجة من الوهاء[1].

وهذه الرواية تؤكد على وجود استعدادات متفاوتة حتى بين الأخوة، فعلى المعلم إدراك هذا التفاوت، ومراعاة الفروق الفردية، حيث يأخذها بعين الاعتبار للوصول إلى رفع صاحب الاستعدادات المرتفعة إلى العلو، وزيادة الاستعدادات المتوسطة والقليلة عند طلبته.

ج- القدرات:

ينبغي للمعلم مراعاة قدرات كل فرد من عملية التعليم، مخافة أن يكون سبباً في صرفهم عن العلم.

وقد جاء عن مالك بن يحيى بن سعيد بن كاتب الحجاج، يقال له يعلى، قال: مالك هو أخ لأبي سلمة، قال كنت أكتب للحجاج، وأنا يومئذ غلام حديث السن يستخفي ويستحسن كتابي، وأدخل عليه بغير إذن[2].

فرغم صغره كانت قدراته مميزة لذلك نال مرتبة عظيمة هي دخوله على الحجاج بغير إذن، وهي دلالة على علو المنزلة. كما أن هذا دليل مهم على مراعاة الفروق الفردية عندهم.

وأيضاً قول أبو زرعة لرحيم: أيّ الرجلين عندك أعلم أبو إدريس الخولاني أو جبير بن نفير؟ فقال: أبو إدريس عندي المقدم، ورفع من شأن جبير بن نفير[3].

فنلحظ من قوله هذا أمرين:

أ- الفروق الفردية في قدرات المتعلمين، وبحسب ذلك يتفاضلون عند المعلم.

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ٧، ص (٣٧٨).

(2) المرجع السابق، ج ١٠، ص (٣٧٣-٣٧٤).

(3) المرجع السابق، ج ٤، ص (٥١١).

ب- حكمة المعلم، حيث قدم أحد المتعلمين، ولم يهمل الآخر، بل رفع من شأنه وفي ذلك رفع لمعنويات المتعلم وزيادة نشاطه، وله الكثير من الأثر الطيب على نفسيتهما.

وهذه الحكمة المطلوبة لكل معلم، وعن ذلك ذكر المزّي ما يقابلها في قول أبو حنيفة: "قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس"[1].

ومعنى هذا أنّ أفضل المعلمين من يراعي الفروق الفردية بين الطلاب فالبشر يتفاوتون ويتفاضلون حسب أعمالهم وقدراتهم، فينبغي معرفة هذه الفروق أولاً، ومراعاتها وذلك بحسن التصرف مع كل فرد متعلم حسب قدراته واستعداداته الفطرية والمكتسبة، ولا يخفى على أحد الآثار والثمرات التي يجنيها المتعلمون من تطبيق مبدأ الفروق الفردية.

## التدرج:

يعد هذا المبدأ منهجاً ربانياً، وخير مثال لذلك تدرج نزول القرآن الكريم، فالتربية الإسلامية تقوم على مبدأ التدرج في عملية التعليم والتعلم، ولذلك صور عديدة من أهمها: التدرج من الأهم إلى المهم، ومن البسيط إلى الأكثر تعقيداً، ومن المعلوم إلى المجهول، ومن الحس إلى المجرد.

وقد روى المزّي بعض الحوادث التي تعد أمثلة على هذه الصور، من أهمها:

### أ- التّدرج من الأهم إلى المهم:

روى عن جريج أنه قال: "أتيت عطاء وأنا أريد هذا الشأن، فقال لي: قرأت القرآن؟ قلت: لا. قال: فاذهب فاقرأ القرآن، ثم أطلب العلم. فذهب فغبت زماناً حتى قرأت القرآن، ثم جئت إلى عطاء وعنده عبدالله، فقال: تعلمت القرآن

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ٥، ص (٧٩٠).

وقرأت القرآن؟ قلت: نعم، قال: تعلمت الفريضة؟ قلت: لا. قال فتعلم الفريضة ثم أطلب القرآن[1].

وفي هذه الحادثة دلالة على ما يلي:

أ- أنّ العلـوم والمعارف تتفاوت من حيث الشرف والأهمية، فالعلوم الدينية في مجملها هي أشرف العلوم وأحقها بالتعلم والمثابرة، وهذه العلوم أيضاً تـتفاوت في الأهـمـية فمـنها مـا هو أهم، ومنها ما هو مهم. لذلك طلب عطاء (المعلم) تعلم الأهم أولاً، فالقرآن هو أول ما يبدأ به المتعلم.

ب- تظهر منهجية السلف في التدرج، حيث كانوا لا يعلمون الحديث أو الفقه إلا بعد حفظ القرآن الكريم، فهو أولى وأهم، وإتمام حفظه يسهل ما بعده ويوضحه، وبعد ذلك يأتي أمر الأقل أهمية وهكذا.

ج- يأتـي تركيـز المعلـم علـى المنهجية بسبب: سهولة حفظ العلوم بوجود الركائـز الأساسية عـند المتعلم والمعينة على غيرها من العلوم، كذلك التدرج في بناء المعارف الجديدة فمن أخذه جملة ذهب منه جملة.

## ب- التدرج من البسيط إلى الأكثر تعقيداً:

هـذا مـا يسمى في عصرنا الحاضر ترتيب المحتوى الدراسي فنقل المعرفة والخبرة إلى المـتعلمين يحـتاج إلى هـذا المبدأ، لتـتم عملـية التعليم في أقصر وقت وبأقل تكلفـة. ويظهر ذلك فيما رواه المزّي في كتابه: كان سليمان بن موسى يأخذ كل يـوم في بـاب مـن العلم فلا يقطعه حتى يخلو منه، ثم يأخذ في باب غيره، فقيل له: يا أبا الربيع، جزاك الله خيراً، فإنك تحدثنا بما نريد وما لا نعقله، وفي رواية: بما نعلم وما لا نعلم[2].

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ١٨، ص (٣٤٦).

[2] المرجع السابق، ج ١٢، ص (٩٥).

ومعنى ذلك التزام سليمان بن موسى (المعلم) بترتيب معين لمحتوى دروسه، يبدأ بموضوع ويبقى فيه حتى يكمله، وفي هذه الدروس ما يعرفه التلاميذ وما لا يعرفونه، فإذا ما انتهى منه انتقل إلى موضوع آخر وهكذا.

والمعلم الحذق يأخذ بهذا المبدأ حتى يضمن إمتاع المتعلمين بدروسه، وحسن الاستماع، والبعد عن النفور فعدم التدرج يبدد الذهن ويفرق الفهم.

ومن ذلك أيضاً ما روى سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبدالله قال: تعلموا الصمت ثم تعلموا الحكم ثم تعلموا العلم ثم تعلموا العمل بالتعليم ثم انشروا[1].

فهذه المراحل متعاقبة متتالية، تبدأ بالصمت وتنتهي بالعمل، ولو قمنا بتحليل عبارة جابر بن عبدالله لعرفنا أنها تدل على أن:

١. كل مرحلة تستلزم المرحلة التس تسبقها وتعتمد عليها اعتماداً كاملاً، فحتى نصل إلى العمل بالعلم لا بد من العلم وحتى نصل للعلم لا بد من تعلم الحكم وحتى نصل للحكم لا بد من الاستماع والصمت للمعلم. وهذا ما يسمى في التربية الحديثة "التعلم القبلي" فهناك مجموعة من المفاهيم والمعارف القبلية لا بد أن تكون عند الطالب حتى يستطيع استقبال المعرفة الجديدة.
٢. عدم الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي، كما هو واضح فهذه سمة من سمات التربية الإسلامية وهدف من أهدافها.
٣. استمرارية التعليم ويكون ذلك بنشر العلم فهي المرحلة الأخيرة من التعلم والتي لا بد منها.

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ٤، ص (٤٥١).

ومما سبق نرى أنّ المزّي قد أظهر برواياته التزام المعلمين في عصره بهذا المبدأ التربوي المهم، الأمر الذي يدعونا إلى الرجوع للكتب التراثية وتأصيل المبادئ التربوية منها.

## استمرارية التعليم:

تقوم التربية الإسلامية على مبدأ استمرارية التعليم، حيث دعت إلى التعليم واستمراره، وحرصت عليه كل الحرص ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

ولهذا المبدأ ضمانات تؤثر على استمرار التعليم وإلزاميته مدى الحياة، وقد أورد المزي بعض الأمور التي تضمن استمرارية التعليم من أهمها:

أ. **الرحلة في طلب العلم:**

فمن يطلع على كتب التراث الإسلامي يجد روايات الارتحال والتجول تكثر إلى درجة كبيرة في تراجم العلماء، فقد جابوا الأرض وارتحلوا طالبين للعلم على اختلاف أعمارهم وأحوالهم، وهو دليل مهم على استمرارية التعليم الذي يمتاز بالصدق والثبات لكثرة تكراره، ومما أورده المزي في ذلك: "عن أبي اسحق أنه قال: ما سمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها"[2]. فقول أبو إسحاق دال على استمرارية التعلم والتعليم طيلة الحياة، لأنه لم يحدد عمراً معين أو فترة زمنية، وهذا حال معظم العلماء إذ حرصوا على التثبت من المعلومات التي تصل إليهم، خاصة فيما يتعلق بعلم الحديث بالإضافة إلى حرصهم على نشر العلم الذي حصله العالم.

---

(1) طه، آية (١١٤).

(2) المزي، تهذيب الكمال، ج ٢، ص (٣١٠).

وقد روى المزّي عن الفضل بن محمد بن المسيب أنه قال: لم يبق بلد إلا دخلته في طلب العلم[1]. إذ بالرحلة يتسع أفق الإنسان ويطلع على مسائل جديدة فيتمكن من مادته العلمية.

وبناءً عليه استطاع العلماء طل العلم في كل البقاع وملاقة أفاضل العلماء وخيارهم، ومن ذلك قول محمد بن اسحق عن مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب[2].

فطوافه للأرض دال على مداومته التعلم والتعليم واعتماد مبدأ استمرارية التعليم، الأمر الذي يدعو إلى انتشار العلم بين الناس، فلم يكن حكراً على طائفة معينة دون غيرهم، فالناس يتفاوتون في الفهم واستنباط الأحكام، فكان من الحكمة حمل العلم إلى حيث يحلون ويرتحلون.

ب- التعليم ضمان التعلّم الجيد

لمبدأ استمرارية التعليم فائدة كبيرة أيضاً، حيث يساعد في تثبيت العلم لدى العلماء والحفاظ عليه، فأفضل طريقة للتعلّيم هي التعليم، فكان العلماء- رحمهم الله- متعلمين معلمين، وهي ضمان أكيد لحفظ العلوم، وقد روى المزّي عن الأعمش أنه كان يجمع صبيان المكاتب ويحثهم حتى لا ينسى حديثه[3].

واقترن التعلم بالتعليم في قول رسول الله ﷺ: تعلّموا العلم وعلّموه للناس، وتعلّموا القرآن وعلّموه للناس، وتعلّموا الفرائض وعلّموها للناس، فإني أمرؤ مقبوض، وإنّ العلم سيقبض وتظهر الفتن. والحديث دال على أهمية هذا الضمان لاستمرارية التعليم.

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٢، ص (١٦٢).

(2) المرجع السابق، ج ١١، ص (٧١).

(3) المرجع السابق، ج ٣، ص (٩١).

ج- السؤال دليل المعلم:

وهو ضامن لاستمرارية التعليم، فنرى العلماء يصلون إلى أعلى المراتب ويحصلون أجل العلوم، ومع ذلك يتواضعون للسؤال، فالمسلم متعلم في كل أحواله وزمانه، وقد روى عمر بن دينار عن قتاده أنه قال: "ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد العلماء إلا وجدت له فضلاً، وأنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله". فمع فضله وعلمه ما زال يتعلم فيسأل غيره عما يشكل عليه.

د- الكتابة من ضمانات استمرارية التعلم

فما سطر بالقلم محفوظ على اختلاف الأزمان، وقد روى المزي حادثة تدلّ على ضمانه الكتابة لاستمرارية العلم، "فعن إسحاق بن راشد قال لي ابن شهاب: هل بقي أحد عنده علم؟ قلت: نعم، رجل من أهل الكوفة يقال له الأعمش، قال: فقال له هات حدثني، قال: فقلت لا أحفظ، ولكن إن شئت جئتك بكتاب عندي قال: هاته، قال: فجئته بكتاب فقرأه فقال: ويحك ما كنت أرى بقي أحد يحسن هذا"[1].

فالعلم الذي قدمه الأعمش لابن شهاب علم مكتوب، ولو لم يحفظ بالصورة التي رآها عليه ما كان ليعرفه في زمانه.

إن وجود مثل هذه الطريقة يضمن البقاء والمحافظة على العلوم، ولا يخفى على أحد أن طرق الحفظ تختلف حسب المكان والزمان، فما يناسب عصراً من العصور لا يناسب آخر، وعلى المعلم الأخذ بعين الاعتبار الطرق الحديثة في حفظ العلوم.

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ٢، ص (٤٢٢).

## الرفق بالمتعلّم:

من المبادئ المهمة التي ينبغي على المعلم العمل بها الرفق بالمتعلم والصبر عليه، لأن ذلك أساس نجاحه في التعليم فإنها من دلائل تفوق التلاميذ ونجاحهم وشعورهم نحوه بالاحترام والتقدير، ومن مظاهر الرفق كما جاء في تهذيب الكمال ما يلي:

أ. **الحلم والصبر على التلاميذ:** أكد المزي على ذلك بنقله عن عبادة بن الصامت قوله: "من الناس من أوتي علماً ولم يؤت حلماً، ومنهم من أوتي حلماً ولم يؤت علماً، ومنهم من أوتي حلماً وعلماً، وإن شداد من الذين أوتوا العلم والحلم"[1]. وهذه قيلت في سياق المدح لشداد فهو معلم حليم، ظهر ذلك في سيرة حياته العلمية، فالرفق والحلم مبدأ نهجه مع طلابه، يستلزم الصبر والحنو وكظم الغيظ وسعة الصدر والتعزيز.

ب. **الإشادة بالتلاميذ وذكر محاسنهم:** فمديح المعلمين للطلاب فيه إشاعة جو الألفة والود بين المعلمين والمتعلمين، وإشباع لحاجة التقدير وتنمية الثقة بالنفس لدى المتعلم، وقد روى المزي عن الشافعي قوله: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أعلم من أحمد بن حنبل"[2]. فأحمد بن حنبل تلميذ الشافعي، فمن حسن أخلاق المعلم ورفعته الإشادة بتلميذه وذكر محاسنه، ولا يخفى على أحد ما لهذا من آثار تربوية على المتعلم.

ج- **البذل والعطاء:** ويظهر رفق المعلم بالتلميذ من خلال بذله لكل ما يقدر عليه من أمور مادية ومعنوية، في سبيل تيسير حوائجه "فعن محمد بن إسحاق قال، قال لي أبي: ما رأى الشافعي مثل أحمد بن حنبل، وقال: سمعت أبي يقول: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها لذهب الإسلام"[3].

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٢، ص (٣١٩).
(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٥١).
(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٥٢).

## العمل بالعلم:

هـدفت التربية الإسلامية بما فيها من مبادئ وأساليب وأهداف وتشريعات إلى إيجـاد الواقـع التطبيقـي في الحياة اليومية، فهي تترجم الأهداف إلى سلوك عملي يحقق متطلبات الطبيعة البشرية ومقتضيات الشريعة الإلهية في وقت معاً: ويقصد بهذا المبدأ: الـربط المناسـب مـن الجانـب النظـري والجانـب التطبيقي في العلوم، فمن ترك العمل بـالعلم نـسيه أو نقـص مـنه شيء، ولذلك حض العلماء على ضرورة العمل بمقتضى العلـم، فهـو شـرط في صحة العلم وقبوله عند الله، لذا نجد الشواهد على ذلك كثيرة عند المزّي، فقد أوضح هذا المبدأ من خلال ثلاثة جوانب، وهي:

العمـل غايـة العلـم والهدف الأساسي له: فالعالم يعمل بما تعلمه وينتفع به في الدنـيا والآخـرة، فـإذا مـا غـاب هـذا الهدف فلا قيمة لعلمه، لذلك نجد الأثر المحصل ظاهـراً علـى سـلوك المعلـم والمتعلم بل على جميع جوارحه، ويدل على ذلك ما رواه المـزّي: "عـن هشام بن حسان قال الحسن كان إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في بصره وتخشعه ولسانه ويده وصلاته وحلته وزهده، قال: وكان الحسن يقول لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"[1].

فـانعكس علمه على سلوكه كاملاً، أي انتفع به وحقق الغاية من علمه، فليس العـالم مـن يعـرف فحـسب، بـل مـن يطـبق مـا عرفه، فهو قدوة بما يحمل من معارف وخـبرات وبمـا يتمـثل مـن أخلاق وسلوكيات. ومن ذلك ما نقله المزي عن أبو معمر الهذلـي عـن سـفيان بـن عيينـة أنه قال: "ليس العالم الذي يعرف الخير والشر إنما العالم يعـرف الخـير فيتـبعه ويعـرف الشر فيتجنبه، وقال أيضاً عن العلم: إن لم ينفعك ضرك وكان يقول إن العاقل إن لم ينتفع بقليل الموعظة لم يصلح على تقدير الله لم يصلح على تقديره لنفسه"[2].

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص (١١١).

(2) المرجع السابق، ج، ص.

## تبوء العالم العامل بعلمه أفضل منازل العلماء:

"فعن ابن عيينة قال: قال بعض الفقهاء كان يقال، العلماء ثلاثة عالم بالله وعالم بأمر الله وعالم بالله وبأمر الله وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة، وأما العالم بأمر الله فهو الذي لا يخاف الله ويعلم السنة، وأما العالم بأمر الله وبالله فهو الذي يعلم بالسنة ويخاف الله، فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات"[1].

ومعنى يعلم السنة ويخاف الله تعالى: أنه منتفع بعلمه عامل به، فهذه المنزلة لها أرفع الدرجات عند الله تعالى فينادي "بالتعظيم في السموات العلى"، فمع أنه عبد مخلوف لله نال تلك الرفعة بفضل علمه وتطبيقه له.

ويروي أيضاً: "عن أبي كبشة الأنماري سمعت رسول الله يقول: إن محدثكم أحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما أهل الدنيا أربعة نفر: عبد رزقه الله فيها مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه بحقه، فهذا أفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً عملت بعمل فلان فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يحتفظ في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً عملت بعمل فلان فهي نيته، فوزرهما سواء"[2].

فنلاحظ مما سبق أن الفئات السابقة صاحب المال والعلم، وصاحب العلم، وصاحب المال، ومن لم يملك المال ولا العلم، فازت برضا الله تعالى لاقتران أعمالها بالعمل أو نيته، فهم جميعاً أرادوا الانتفاع والنفع بتطبيق واقعي، كل على قدر استطاعته، فهم جميعاً في الجنة بإذن الله.

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ١١، ص (١٩٢).

[2] المرجع السابق، ج ١٤، ص (١٩٣).

## التحذير من ترك العمل وعدم الانتفاع بالعلم:

فترك العمل يورث المجتمع آفتين كما بين المزي وأوضح من خلال الشواهد في تهذيب الكمال وهما على النحو التالي:

أ- تذكر مجموعة من الأقوال أنّ عدم العمل بالعلم يؤدي إلى ذهاب العلم ونزعه من الدنيا، وعن ذلك يروي أن رسول الله -ﷺ- قال: ذاك عند أوان ذهاب العلم قال: قلنا يا رسول الله: فكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة! أو ليست هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والانجيل فلا ينتفعون بما فيها؟[1].

ب- عدم العمل بالعلم يؤدي إلى الحسرة يوم القيامة:

فعن سفيان بن عيينة قال: أشد الناس حسرة يوم القيامة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق به فمات وورثه غيره فتصدق به، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به[2].

وقد تكون الحسرة على أن هذا العالم قد ملك مفاتيح النجاة والفوز برضا الله تعالى، ومراكز العلو والرقي في الدنيا، ومع ذلك تغافل عنه، ولم يعمل أو ينتفع بعلمه، فهو يتحسر على ما فوته من فوز بجنات الله تعالى وعلى ما حصله من إثم، لأنه ترك مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

فهو آثم لا محالة لأنه أضر بالمجتمع وكتم أمراً أمره الله تعالى بنشره، وليس من طريقة لنشر العلم أفضل من العمل به لأنها تمتاز عن الطرق الأخرى بأنها سلسة وسريعة القبول عند أفراد المجتمع.

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ٩، ص (٥٠٧).

(2) المرجع السابق، ج ١١، ص (١٩٣).

ويروي أيضاً: "سئل داود الطائي عن مسألة فقال داود: أليس المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب، أليس يجمع له آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة يحارب؟ إن العلم آلة العمل فإذا أفنى عمره فمتى يعمل"[1].

ونرى أن هذه المواقف دالة على أن العلم دون عمل بلا فائدة، بينما أن غايته قد ذهبت فلا قيمة تذكر له، فالندم والحسرة من النتائج المؤلمة لترك العمل بالعلم.

## التنوع وسعة الثقافة:

وحتى يؤدي المعلم وظيفته لا بد من الاهتمام بهذا المبدأ، فقد رأينا العلماء قديماً يركزون على التنوع في المحتوى الدراسي ويظهر ذلك من خلال:

### أ- تقسيم المحتوى الدراسي إلى علم محمود وعلم مذموم

فالعلم المذموم: هو كل علم لا ينفع، ويؤكد المزي ذلك برواية حديث رسول الله -ﷺ- حيث قال: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع"[2].

كذلك في روايته "عن محمد بن حميد عن إبراهيم عن أبي عبلة: قال من حمل شاذ العلم حمل شراً كبيراً"[3]. فمن خلال ما ذكر نرى أنه:

١. للعلوم شواذ لا تنفع بل تضر وهي شر بحد ذاتها، لذا حذر العلماء منها ونستطيع القول من خلال القراءة في كتب التراث، إن العلوم غير المرغوب فيها هي علوم السحر والشعوذة وما شابه ذلك.

---

(1) المزّي، تهذيب الكمال، ج ٨، ص (٤٥٧).

(2) المرجع السابق، ج ١٤، ص (١٢٤).

(3) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٤٤).

٢. العلـم المحمود هو كل علم نافع للبشرية، وهي إما علوم شرعية مصدره الـدين والوحـي، أو غـير شـرعية وكلـها مـرتبط بمـصالح الدنيا كالطب والهندسة.

ب- تأكيد العلماء على ضرورة تعلم أصناف كثيرة من العلوم

والروايات في ذلك كثيرة منها:

- روى المزّي أن جماعة قالوا: تعالوا حتى نعد صفات ابن المبارك من أبواب الخير قالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو والشعر والفصاحة والزهد والـورع والإنصاف والشجاعة والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لا يعنيه وقلة الخلاف على أصحابه[1].
- أرسـل معاويـة إلى دغفل مسألة عن أنساب العرب وعن النجوم والعربية وعـن أنساب قريش فأخبره، فإذا برجل عالم فقال: من أين حفظت ذلك يـا دغفل قال: بلسان سؤول، وقلب عقول، وإن آفة العلم النسيان. قال: فأمـره أن يـذهب إلى يـزيد ابـن معاويـة فـيعلمه العـربية وأنساب قريش وانساب العرب[2].

فـنال دغفل المرتبة المميزة وهذه الدرجة العالية، حيث نصبه معاوية مؤدباً لابنه يزيد، وهذا كله بفضل تنوع علومه وسعة ثقافته.

إن مـبدأ التنويع في العلوم وسعة المعارف يقودنا إلى قضية الاختصاص ببعض العلـوم، وهـي من القضايا التي ذكرها العلماء وبينوا رأيهم فيها، والحاصل أن التنويع في المعـارف صـفة محمـودة يشاد بالمعلم إذا اتصف بها، ولكن إتقان الفن الذي يمتاز به

---

[1] المزي تهذيب الكمال، ج ٨، ص (٤٥٧).

[2] المرجع السابق، ج ٨، ص (٤٥٧).

المعلم صفة محمودة أيضاً، فلا يعاب المعلم إذا أتقن فنه وجهل غيره، وقد بين المزي هذه النظرة للتخصص حيث روى مجموعة من الشواهد، منها:

- سأل أحمد بن معين عن الأصمعي فقال: لم يكن ممن يكذب وكان من أعلم الناس في فنه[1]. فهي جملة قيلت في سياق المدح لتدل على أنه لا يعاب التخصص بفن من فنون العلم.
- عن أبي خليد عتبة بن حماد سألني سعيد بن عبدالعزيز قال ما الغالب على علم سعد بن بشير قلت له التفسير قال خذ عنه التفسير ودع ما سوى ذلك[2].

وفي هذا الشاهد دلالة على أن سعد بن بشير قد تخصص في علم التفسير وأتقنه، ولكنه على غير هذا في باقي العلوم، كما أن فيه دلالة على أن طالب العلم يجب أن يعرف تخصصات المعلمين، ويرجع لأهل الاختصاص. وهذا النظام يجري الآن في المؤسسات التعليمية سواء المدارس أم الجامعات، فالطالب يختار المادة الدراسية التي يريد ويعين لها معلماً متخصصاً، متقناً لهذا الفن.

- قال أبو العباس سمعته يقول: قرأت كتاب سيبويه على الاخفش مرتين وكان حسن العلم بالعروض وإخراج المعني، ويقول الشعر الجيد، ويصيب المعنى، ولم يكن بالحاذق بالنحو[3].

ويمتاز العلماء بالنقد، فهنا يظهر التمحيص الدقيق للعلوم التي يتقنها الاخفش إذ يتقن النحو كما يجب، فهو بارع فيه، لكن ليس بالدرجة التي يتقن فيها غيره من العلوم، وهذا الأمر يفيد طلاب العلم حيث يعرفون موضع العلوم ودرجات إتقانها من خلال المقارنة بين العلماء، كما يظهر ذلك التفاضل بين المعلمين.

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ١٨، ص (٣٨٨).

(2) المرجع السابق، ج ١٠، ص (٣٥٣).

(3) المرجع السابق، ج ١٢، ص (٢٠٤).

- جاء رجل إلى أبي بن المهدي، فقال: يا أبا سعيد إنك تقول هذا ضعيف وهذا قوي وهذا يصح، فعم تقول ذلك؟ فقال عبدالرحمن: لو آتيت الناقد فأريته دراهم فقال هذا جيد وهذا ستوق، وهذا بنهرج، أكنت أسلم الأمر إليه، فقال عبدالرحمن: هذا كذلك. هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة العلم به، قال فذكرته لبعض أصحابنا فقال أجاب جواب رجل عالم[1].

فمثل المقارنة بين العلماء والمعلمين وإبراز التفاضل والتمايز بينهم كمثل الصائغ أو الناقد، يعرف فنون مهنته، فيفاضل بين الأهم فالمهم، وكذلك العلم الذي يميز أصناف العلوم وأنواع التخصصات التي قد تميز بها المعلم، لهذا نجد علماء الحديث وعلماء الفقه يهتمون بعلم اللغة، كالنحو والشعر وغيرها حتى تدعم مادة التخصص وتساندها.

## الأساليب التربوية:

* المناظرة والحوار:

جرت العادة عند العلماء أن يجتمعوا فيتناظروا، ولهذا الأسلوب أثر طيب في إظهار الإبداع عند بعضهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تظهر إفادة العلماء من بعضهم، وإفادة التلاميذ من معلومات المناظرة وشخصية المتناظرين.

وقد روى المزّي أن إياس بن معاوية وغيلان اجتمعا عند عمر بن عبدالعزيز فقال عمر أنتما مختلفان وقد اجتمعتما فتناظرا تتفقا. فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل، فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله تعالى؟ قال: العقل، قال: فأخبرني عن العقل مقسوم أو مقسم؟

---

[1] المزي، تهذيب الكمال، ج ١٧، ص (٤٣٩).

فأمسك غيلان، فقال له: أجب. فقال: لا جواب عندي. قال إياس: قد تبين لك يا أمير المؤمنين إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئاً ذاده عن المعصية ومن تركه تهور"[1].

ومما سبق نرى أن فوائد المناظرة كثيرة منها:

أ- فوائد خاصة بالمعلم، مثل اكتشاف الإبداع ونقاط القوة عند المعلم، وفهم وجهات النظر عند الآخرين، واكتساب المعارف والخبرات الجديدة.

ب- فوائد خاصة بالمتعلم، مثل تعلم الخبرات والمعارف، وإثارة الدافعية والحماس للحق، وتحري الصواب، واكتساب قوة الشخصية، وزرع الثقة بالنفس، كذلك يربي العقل على التفكير السليم والوصول إلى الحقائق بأسلوب صحيح، إلى غيرها من فوائد.

* السؤال:

يعد أسلوب السؤال من طرق التعليم المهمة، وكانت متبعة عند المعلمين فقد روى المزّي: "أن علياً سأل ابنه الحسن عن أشياء عن المروءة فقال: يا بني ما السداد، فقال: يا أبت، السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء حاله. قال: وما الجبن؟ قال: الجرأة على الصدق. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما يعنيك. قال: فما المجد؟ قال: أنّ تعطي في العزم وأن تعفو عن الجرم. قال: فما العقل؟ قال حفظ القلب كل ما استرعيته. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك أمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة. قال: فما السفه؟ قال: إتباع الدناءة ومصاحبة الغواة. قال: فما

[1] المزّي، تهذيب الكمال، ج ٣، ص (٤١٦).

الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد. فقال: ألا سمعت رسول الله يقول: "لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق، ولا إيمان كالحياء وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان"[1].

ولهذا الأسلوب جملة من الفوائد كما يظهر من خلال أسئلة علي -رضي الله عنه- منها: أنه يساعد على زيادة درجة التركيز عند المتعلم، واكتشاف مواطن القوة والضعف عنده، فهو مثير يحتاج إلى استجابة والاستجابة أما سريعة أو متوسطة أو بطيئة، فيحكم المعلم على تلميذه من خلال قدرته على الإجابة.

* القدوة:

إن شخصية الرسول -ﷺ- قدوة لجميع المعلمين، فالإنسان في حاجة دائمة إلى وجود المثل الأعلى، وهذا الأمر ناتج عن وجود غريزة تكمن في نفوس البشر فالرغبة التي تدفع الإنسان إلى التقليد ومحاكاتهم ملحة في داخله، وقد أثبت ذلك علم النفس الحديث.

فالمعلم في حياته قدوة أمام طلابه، لهذا يسارع إلى التضحية والدعوة وترفع عن الصغائر، وهذا ما يظهر من رواية المزي عن العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا جعفر الدمغ يقول: لما حمل أحمد بن حنبل يداويه المأمون أخبرت فغبرت العبرات إليه، فإذا هو في الخان، فسلمت عليه فقال: يا أبا جعفر تعنيت فقال: ليس هذا عناء. قال فقلت له: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فو الله إن أحببت إلى خلق القرآن ليجيبن سلطاً خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتذ من خلق منّ الناس كثير[2].

---

(1) المزي، تهذيب الكمال، ج ٦، ص (٢٤٠).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٦١).

فالتأثير الواقع على التلميذ تأثير قوي، لأن المعلم يقصد إلى تعليم طلابه بأفعاله ويلفت نظرهم إلى الاقتداء به في كل ما يقول به، فإذا ما قام بالخير فعلوا مثله وكذلك الأمر في أفعال الشر.

* **ضرب الأمثلة:**

إن استخدام أسلوب الأمثال شائع عند العرب وكذلك في القرآن الكريم والحديث النبوي. وقد أورد المزّي أمثلة منها ما جاء فعن إياس بن معاوية قال: جاءه دهقان فسأله عن السكر أحرام هو أم حلال؟ قال: هو حرام، قال: كيف يكون حراماً؟ أخبرني عن التمر أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال. قال: أخبرني عن الكشوت أحلال هو أم حرام؟ قال: فاخبرني عن الماء أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال. قال: فما خالفت بينهما وإنما هو من التمر والكشوت والماء. فقال: لا، فقال إياس للدهقان: لو أخذت كفاً من تراب وضربتك به أكان يوجعك؟ فقال: لا، فقال: لو أخذت كفاً ماء فضربتك أكان يوجعك؟ قال: لا، قال: فإذا أخذت هذا الطين فعجنته بالتبن ظاهراً ثم جعلته كتلاً ثم تركته حتى يجف ثم ضربتك به أيوجعك؟ قال: نعم ويقتلني، قال: فكذلك هذا التمر ظاهراً والكشوت إذا اجتمع ثم عتق حرم[1].

والهدف التربوي من هذه الأمثلة:

- تقريب المعنى إلى الإفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهمها.
- تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

---

[1] المزّي، تهذيب الكمال، ج ٣، ص (٤١٤).

* **الترغيب والترهيب:**

تحت هذا الأسلوب عدة وسائل فرعية هي:

- تحفيز المتعلم الجيد وذلك بذكر أفضليته ومنحه كما مر معنا ساقاً في مدح الشافعي لأحمد بن حنبل[1]، فهو أسلوب ترغيبي نافع.
- قبول المعلم بملازمة تلميذه، فهذا بالنسبة للتلميذ ثروة وركيزة محفزة لا مثيل لها، فالملازمة تعني التعلم عن طريق جميع الأساليب التربوية من قدوة وأسئلة وضرب الأمثلة .... والحوادث في ذلك كثير منها:

"قال الصلت بن مسعود عن إبراهيم بن سعد: سمعت خالد بن صنوان وسألوه ألك علم بالحسن قال: أنا أهل خبرة به كانت داره ملعبي صغيراً ومجلسه مجلسي كبيراً، قالوا: فما عندك فيه؟ قال: كان أحد الناس وما رأيته زاحم على شيء من الدنيا قط"[2].

فالملازمة هنا مستمرة منذ الصغر، فحكم المعلم على التلميذ والتلميذ على المعلم من أصدق الآراء هنا لطول الفترة الزمنية التي قضياها معاً.

ليس هذا فحسب بل إن الملازمة مقياس للحكم بشكل عام، فكل قرين بالمقارنة يقتدي، وهذا ما يؤكده المزي في روايته أن يحيى بن بكير يقول في أبي صالح كاتب الليث شيئاً، فقال: قل له هل جئنا الليث قط إلا وأبو صالح عنده، فرجل كان يخرج معه في الأسفار وإلى الريف"[3]. فقد تم رفض الرأي في أبي صالح بأن به شيئاً، لأنه ملازم لعالم له درجة كبيرة من العلم والفقه.

وما تم ذكره سابقاً من قبيل الترغيب وهو يدل على إتباع المعلمين لهذا الأسلوب التربوي، الأمر الذي يبعث في أنفسهم دافعية عالية للتعلم، فالثواب

---

[1] سبق ذكر الحادثة في مبدأ الرفق بالمتعلم، ص (٤٨).

[2] المزي، تهذيب الكمال، ص (١١١).

[3] المرجع السابق، ج ١٥، ص (١٠٤).

يكـون بمـا يناسـب الاسـتجابات المتميـزة، وكـذلك ما جاء في الترهيب فيكون متدرجاً تبعاً لدرجة الاستجابة غير المرغوبة، ومن ذلك:

**تقريع الطلبة بالكلام:**

فمـن الحـوادث الدالة على ذلك أن داود الطائي ممن علم وفقه، وكان يختلف إلى أبـي حنـيفة، حتـى نفـذ في ذلك، قال: فأخذ حصاة فحذف بها إنساناً، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك. قال فاختلف بعد.



# سير أعلام النّبلاء

## الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي

## ٦٧٣ - ٧٨٣هـ

تحقيق وتخريج

شعيب الأرناؤوطي، حسين الأسد

**المؤلّف:**

هـو الإمـام الجليـل الحـافظ شمـس الـدين محمـد بـن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة ٧٨٤هـ) الذي يعتبر من النماذج التي تستحق الاهتمام بها في مجال التربية الإسـلامية –تأصـيلا ودراسـة وتاريخـا. يمكـن دراسـة فكـره التربـوي من خلال أهم مؤلفاته، والموسوم بـ سير أعلام النبلاء، لاكتشاف البعد التربوي في هذا المصنف حيث نجـد فـيه مساهمة جادة في إغناء الفكر التربوي، جمعا بين الأصالة والمعاصرة. ومحاولة لربط قضايا الفكر التربوي، بجوانب العقيدة الإسلامية لأهمية العقيدة في قضايا الفكر، وتحديد وجهتها، دون انفلات أو انحراف.

المؤلـف هـو الإمـام الجلـيل شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

ولد في مدينة دمشق في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ ويرجع نسبه إلى أسرة تركمانية الأصل[١].

[١] الصفدي، صلاح الدين خليل، كتاب الوافي بالوفيات، ج ٢، ص (١٦٤).

نشأ الإمام الذهبي على حب طلب العلم والحرص عليه منذ الطفولة وتأثر بالمحيط الأسري الذي عاشه والذي كان له أثر كبير في صياغة شخصيته العلمية، فوالده قد سمع صحيح البخاري، وبرع في صناعة الذهب فعرف بالذهبي.

وعمته التي أرضعته كانت طالبة علم وحصلت على إجازة في الرواية من مجموعة من العلماء، وكان خاله وزوج خالته قد سمعا الحديث وحدثا به، ومنذ صغره التحق بالكتّاب، ومكث فيه أربع سنوات حتى أتقن الخط فكان من أحسن الناس خطاً، ثم انتقل إلى قراءة القرآن الكريم وختم على يد شيخه أربعين ختمة[1].

ويتجلى اهتمام الإمام الذهبي بطلب العلم بعد بلوغه الثامنة عشر من عمره، ويشكل خاص في الحديث والقراءات، ولم يقتصر على علماء بلده دمشق في طلب العلم بل رحل إلى العلماء داخل بلاد الشام وخارجها. وكان لهذه الرحلة أثر واضح في تكوين فكرة التربوي واتساع موارده العلمية. ففي بلاد الشام رحل إلى بعلبك وحمص وحماه وطرابلس والكرك والمعرة وبصرى ونابلس والقدس. وأما رحلاته الخارجية فكانت إلى بلاد مص، ثم على مكة والمدينة في رحلة الحج، حتى بلغ عدد شيوخه ما يزيد على ألف شخ[2].

دَرس الإمام الذهبي الحديث بالمدرسة النفسية، وولى عدداً من دور الحديث، منها دار الحديث بتربة أم الصالح، ودار الحديث الظاهرية، ودار الحديث والقرآن التنكزية، ودار الحديث الفاضلية[3].

ولمكانته العلمية بين أعلام عصره، فقد أثنى عليه علماء أجلاء، فوصفوه بما يليق وعلو شأنه، ورفعة مقامه، فقيل في وصفه: لم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة

---

[1] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق روحية عبدالرحمن السيوفي، ص ٥٧، (أحمد بن عبدالغني)، معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ص (٧٨-٤٨٢) مقدمة تحقيق السير، ج ١، ص (١٥-١٩).

[2] المرجع السابق، ص (١٦٤).

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص (١٦٦).

الـنقلة، بـل هـو فقـيه النظـر لـه بأقـوال الـناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات، وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يعتمد حديثاً يورده حتى يبين ما فـيه مـن ضـعف متن، أو ظلام إسناد، أو طعن في رواته، وهذا ما لم أرى غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده"[1].

وقـيل أيـضاً "كـان آيـة في نقـد الرجال عمدة في الجرح والتعديل عالماً بالتفريع والتأصـيل، إمامـاً في القراءات فقيهاً في النظريات، له دربة في مذاهب السلف وأرباب المقالات، قائماً بين الخلف بنشر السنة ومذهب السلف"[2].

وقـيل عـنه أيـضاً: "حـافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظـر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجسم الغفير، وأكثر من التصنيف"[3].

وقيل عنه أيضاً: "إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنىً ولفظاً، وشيخ الجرح والـتعديل، ورجـل الرجال في كل سبيل، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، وكان محط المعنت، ومنتهى رغبات من تعنت، تعمل المطـية إلى جـواره، وتـضرب البـزل المهـارى أكبادها فلا تبرح أو تقبل نحو داره، وهو الـذي خرَجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة، جزاه الله عنا أفضل الجزاء، وجعل حظه من غرفات الجنان"[4].

وقـد عـرفنا مـن دراسـتنا لـسيرة الـذهبي أنه كان عالماً، واسع الاطلاع، غزير المعارف ولا سيما في التراجم، وهو الحقل الذي ألف فيه مجموعة من الكتب وبرع فيه الـبراعة الـتي جعلـت العلمـاء يجمعـون علـى أنه "مؤرخ الإسلام"، وألف كتابه العظيم

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص (١٦٣).

(٢) المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ج ٥، ص (٢٢٥).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

تاريخ الإسلام الذي احتوى على قرابة أربعين ألف ترجمة، وبذلك كانت لديه حصيلة ضخمة من التراجم كان عليه أن ينتقي منها ما يراه مناسباً لكتابه السير، فهل كانت لديه خطة معينة سار عليها في ذلك؟

والجواب: ان دراستنا للكتاب تُبين أنه سار وفق خطة مرسومة في الانتقاء، سواء أكان ذلك في انتقاء التراجم أم في انتقاء المادة المذكورة في كل ترجمة، وقد انطلق في كل ذلك مِن ميزانه الذي وزن به المترجم من جهة، والأخبار التي تجمعت لديه عنه من جهة أخرى، وهو في كُل ذلك إنما يَصْدر عن مفهومه المعيَّن لفائدة كتاب من مثل السير[1].

## الكتاب:

تظهر أهمية كتاب سير أعلام النبلاء في استقصائه لسيرة الأعلام والمشهورين من أعلام الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية خلال فترة زمنية بدأت من صدر الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري.

والكتاب رصد للحياة الفكرية والاجتماعية من خلال الأعلام وإبراز سيرتهم والإفادة من خبراتهم قصد فيه المؤلف الترجمة لهم وقد تميزت تراجم الذهبي بما يأتي:

١. المادة العلمية من تراجمه تدل على توسعه في العرض وغزارة المعلومات عنده وحسن تنظيم لهذه المعلومات وتقديم لها حيث ترجم لأربعين ألفاً.
٢. إن كتاب السير ليس تلخيصاً لكتابه تاريخ الإسلام لاختلاف التراجم في السير عرضاً وكمية وبخاصة ما يتعلق بترجمة الصدر الأول من الأعلام وإذا ذكر من ترجم لهم في تاريخ الإسلام زاد من المعلومات التي يكتبها عنهم وصوَب بعض الآراء ونظم تصنيفها.

---

[1] المرجع السابق، ص (١٠٩).

٣. زاد الذهبي في تراجم السير "قضايا لم يعنَ بها في كتاب "التاريخ" مثل: الإشارة إلى مقدار ما خرّج أصحاب السنة المشهورة للمترجم في كتبهم مثل "قوله في ترجمة" أبي عبيدة بن الجراح "أخرج له مسلم حديثاً وأخرج له الترمذي حديثاً بينما أخرج له "بقي بن مخلد" خمس عشرة حديثاً في مسنده، وهذه الزيادة لها قيمتها عند المشتغلين بعلوم الحديث.

٤. كتاب السير من أعظم الكتب الشاملة لصورة الحياة الفكرية، زماناً ومكاناً ونوعاً حيث امتد زمنياً ليستوعب أعلام الفكر والسياسة والاجتماع في أنحاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، ملوكاً وشعراء وقادة وعلماء باختلاف اتجاهاتهم الفكرية مما جعل هذا الكتاب مصدراً أساسياً لمعرفة تطور الحياة العلمية والفكرية ومعرفة العوامل التي أثرت فيها إيجاباً وسلباً.

٥. انتفت النظرة الانتقائية الطبقية لأهل العلم فقد ترجم لطبقات المجتمع كله حيث كان الغالب ممن ترجم لهم من المتفوقين علمياً وفكرياً من أبناء العمل والصناع، ظهر ذلك من خلال ألقابهم مثل: فلان العطّار أو الحداد أو غير ذلك مما جعل معيار الترجمة المكانة العلمية والفكرية دون النظر إلى أي شيء آخر، فقد كان أحياناً يثني على فقير معدم لعلمه، ويذم غنياً لجهله وفسقه.

٦. كل من ترجم له الذهبي ذكر له اختصاصه فإذا كان شاعراً مثلاً ذكر بعض شعره وإن كان حاكماً بيّن جوانب من صفات الحاكم وإن كان من علماء الحديث ذكر أحواله ومارس عملية "الجرح والتعديل" لرواياته كما باشر النقد للسند والمتن بأسلوب علمي دقيق.

٧. يذكر المؤلف مصادره مثل "إشارته لابن عساكر والبغدادي" وغيرهم ممن أخذ عنهم.

٨. قسم الذهبي كتابه في أربعين طبعة حسب مفهومه الخاص للطبقة التي تعنى عنده من يشتركون في اللقاء والسماع مع التقارب في العمر والتتلمذ على الشيوخ. وقد اقتصر فيه على الأعلام وليس على المشهورين فقط، كما أعاد صياغة بعض التراجم التي ذكرها في كتبه السابقة حيث زاد في ترجمة أمهات المؤمنين كثيراً على ما كتابه "تاريخ الإسلام".

٩. الجهود التعليمية في الكتاب تظهر في ذكره للمؤسسات التعليمية وطرائق التدريس عند العلماء وآدبهم في دروسهم وأخلاقهم وصفاتهم وطرق تحصيلهم للعلم كما ذكر أهداف التعليم والمناهج وطرق التدريس وآداب العالم والمتعلم مما يعتبر مصدراً غنياً في التربية والتعليم كما أشار كثيراً للمبادئ التعليمية مثل: الفروق الفردية، وشيوع التعليم والتدرج في التعليم، ووسائل تمويله وأهمية مساهمة الجهد الرسمي مع الجهد الشعبي.

## أسس انتقاء التراجم عن الذهبي[1]:

١- **العلميّة**: أورد الذهبي في كتابه "تاريخ الإسلام" جميع الأعلام والمشاهير ولم يورد المغمورين والمجهولين، يعُرف أهل الفن في كل عصر لا بعُرفنا نحن؛ إذ لا ريبَ في أن هناك آلافاً من التراجم التي ذكرها لم يسمع به كثيرٌ من المتخصصين في عصرنا. أما في "السير" فإنه اقتصر فيه على ذكر "الأعلام"، وأسقط المشهورين. وقد استعمل الذهبي لفظ "الأعلام" ليدل على المشهورين جداً بعُرفه هو لا بعرف غيره، ذلك أن مفهوم "العَلَم" يختلف عن مؤلف وآخر. استناداً إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو عمل من الأعمال، أو أي شيء آخر.

---

[1] بتصرف من المقدمة التي كتبها الدكتور بشار عواد معروف الذي قدم دراسة وافية لسير أعلام النبلاء في مقدمة الكتاب.

### ٢- الشمول النَّوعي:

ولم يقتصر الذهبي في "السِّيَر" على نوع معين من "الأعلام" بل تنوعت تراجمه فشملت كثيراً من فئات الناس، من الخلفاء، والملوك، والأمراء والسلاطين، والوزراء، والنقباء، والقضاة، والقراء، والمحدثين، والفقهاء، والأدباء، واللغويين، والنحاة، والشعراء، وأرباب الملل والنحل والمتكلمين والفلاسفة، ومجموعة من المعنيين بالعلوم الصرفة.

ومع أن المؤلف قصد أن يكون "السِّيَر" شاملاً لجميع "أعلام" الناس، إلا أننا وجدناه يُؤثر المحدثين على غيرهم، لذلك جاءت الغالبية العظمى من المترجمين من أهل العناية بالحديث النبوي الشريف رواية ودراية، وهي- فيما نرى- ظاهرة طبيعية لما عرفنا من تربية الذهبي ونشأته الحديثية، وحبه لرواية الحديث وشغفه به.

### ٣- الشمول المكاني:

وقد عمل المؤلف أن يكون كتابه شاملاً لتراجم الأعلام من كافة أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس غرباً إلى أقصى المشرق، وهو شمول قَلَّ وجودُه في كثير من الكتب العامة التي تناولت تراجم المسلمين، إذ كثيراً ما كانت مثل تلك الكتب تُعنى بايراد تراجم أعلام بلدها أو منطقتها، بينما نجد نوعا جيدا من التّوازن في كتاب "السِّيَر" يَقِلُّ نظيره في الكتب التي من بابته، وهو منهج سار عليه الذهبي في كثير من كتبه ولا سيما في كتابه الكبير "تاريخ الإسلام" مما يشير إلى شُمول نظرته، واتساع اطلاعه على المؤلفات في هذا الفن في كل منطقة، من مناطق العالم الإسلامي وصلته بها.

### ٤- التوازن الزماني:

حاول الذهبي في هذا الكتاب أن يُوازِن في عدد الأعلام الذين يذكرهم على امتداد المدة الزمنية الطويلة التي استغرقها الكتاب والبالغة سبعة قرون، فلم نجد عنده تفضيلاً لعصر على آخر في هذا المجال. ومع أننا نجد تفاوتاً في عدد المترجَمين بين طبقة وأخرى، لكننا لو نظمنا الكتاب على وفيات المترجمين ونظرنا إلى عدد المذكورين في كل سنة لوجدنا نوعاً من التناسق في عدد المذكورين في كل سنة.

### ٥- طول التراجم وقصرها:

وجد الذهبي، بسبب سعة اطلاعه وتمكنه العظيم في الرجال، مادة وفيرة احتوتها مئاتُ الموارد التراجمية، يساعده على ذلك سعة النطاق الزماني لكتابه الذي يمتد من أول تاريخ الإسلام حتى نهاية المئة السابعة، والنطاق المكاني الذي يشمل العالم الإسلامي كله.

اجتهد الذهبي أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة في الوقت نفسه لا تؤثر فيها كمية المعلومات التي تتوفر لديه وقد تمكن التخلص من المادة الضخمة عنده وآحال القارئ إلى مصادر أوسع تناولت ذلك العلم ينتهل اكثر مما ذكر.

## المنهج:

يعد كتاب سير أعلام النبلاء من أهم كتب الإمام الذهبي، وقد رتبه على الطبقات، حيث جعله في أربعين طبقة تقريباً، ولم يراع في محتوى الطبقات عدد من ترجم لهم ولا الوحدة الزمنية الثابتة، فقد يختلف عدد المترجم لهم في السير من طبقة لأخرى وكذا الفترة الزمنية لتلك الطبقة عند الإمام الذهبي.

والطبقة في عرف الإمام الذهبي هم فئة من الناس يجتمعون في الأخذ من الشيوخ، وكذا السن من حيث المولد والوفاة، دون أن يتناقض ذلك مع اللقاء، وقد انعكس ذلك على عدد المترجم لهم في الطبقات فكانت متفاوته، وغالباً ما يجمع الإمام الذهبي تراجم الأقارب في نفس الطبقة، مثل الآباء والأبناء والأخوة، مراعياً الوحدة التاريخية.

وقد كان اختيار الذهبي لمن ترجم لهم في السير وفق خطة دقيقة في تحديدهم، وكذا العبارات التي ضمنها التراجم، فقد كانت دقيقة تعكس عمق فهم الإمام الذهبي وسعة إطلاعه، في ضوء ما تجمَع لديه من أخبار عمّن ترجم لهم، وقد ركز الذهبي على الأعلام المشهورين جداً بمفهومه الخاص به، ولم يقتصر على أهل فن معين بل تنوعت التراجم فشملت كثيراً من فئات الناس، من الخلفاء، والملوك، والأمراء والسلاطين، والوزراء، والنقباء، والقضاة، والقراء، والمحدثين والفقهاء، والأدباء، واللغويين، والنحاة، والشعراء، وأرباب الملل والنحل والمتكلمين والفلاسفة.

وقد حرص الإمام الذهبي على أن يشمل كتابه جميع الأعلام في أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس غرباً إلى أقصى الشرق، في المدة التي تعرض لها والبالغة ٧٠٠ عام تقريباً، وحرص الإمام الذهبي على الموازنة في التراجم، وحاول أن لا يؤثر أهل عصر على غيرهم، إلا أنه من الملاحظ التباين في عدد المترجم لهم في الطبقات، ولعل السبب في ذلك هو الحروب والأمراض التي تكون في تلك السنة.

وحرص الإمام الذهبي على تقديم ترجمة كاملة ومختصرة لكل من ترجم لهم، حيث أنه يذكر اسمه، ونسبه ولقبه، وكنيته، ومولده أو ما يدل على عمره، ونشأته، ودراسته، وشيوخه الذين التقى بهم وروى عنهم، وتلاميذه الذين أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه، وما خلَف من آثار علمية أو أدبية أو اجتماعية، ثم يبين منزلته العلمية وقيدته، ويورد أقوال العلماء فيه من حيث الجرح والتعديل، ثم يختم ترجمته بذكر سنة وفاته في

الغالب وكانت عباراته دقيقة وقوية بعيدة عن التنطع وتزويق الالفاظ عند استعانته بقول غيره فإنه يشير إلى ذلك بدقة علمية.

وكان الإمام الذهبي حريصاً على التوازن في طول التراجم وقصرها إلا أن التفاوت في ذلك كان واضحاً. وفي عرض الذهبي للتراجم فإنه يعتني بما ورد ويثني على ما يستحق الثناء وينتقد من كان بحاجة إلى نقد، حتى وإن كان أقرب الناس إليه كابن تيمية، دون تعصب أو ميل وتحيز. وإضافة لما سبق، فقد حوى كتاب السير علوماً أخرى تناثرت أجزاؤها في ثنايا تراجمه للعلماء، تتيح الاستفادة في مجال الحديث والتفسير، والعقيدة، والفقه، والوعظ، إلى جانب التربية الإسلامية.

ومكن تحديد ملامح منهجه فيما يلي:

١. في كثير من المواقف التي تشكل على القارئ، لتضمنها التوجهات غير الواضحة، أو أنها تلبس على القارئ من حيث الحكم الشرعي، يأتي تعليق الإمام الذهبي لتوجيه النص وإزالة الأشكال عند القارئ، ومثال ذلك: قال بشر الحافي[1]، صاحب دنيا واسعة وضياع كثيرة، قال مرة رجل: ما أشد البرد اليوم، فالتفت إليه المعافى، وقال: استدفأت الآن، لو سكت، لكان خيراً لك، قال الإمام الذهبي قول مثل هذا جائز، لكنهم كانوا يكرهون فضول الكلام، واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه الملكان، أم لا يكتبان إلا المحتسب الذي فيه أجر أو المذموم الذي فيه تبعة؟ والصحيح كتابه الجميع لعموم النص في قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]، ثم ليس إلى الملكين إطلاع على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائر الباعثة للنطق، فالله يتولاها[3].

---

[1] بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد، توفي سنة ٢٢٧هـ، السير ج ١، ص (٤٦٩).

[2] سورة ق، (١٨).

[3] السير، ج ٩، ص (٨٤).

وفي مـواطن آخـر أورد الإمـام الـذهبي رواية عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عـثمان رضـي الله عـنه، فـأذن لـه، وبـيده عـصا. فقـال عـثمان: يا كعب، أن عبدالـرحمن تـوفي، وتـرك مـالاً، فما ترى؟ قال: أن كان فضل فيه حق الله، فلا بـأس عليه. فـرفع أبـي ذر عـصاه، وضـرب كعباً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: "مـا أحـب أن لـي هذا الجبل ذهباً أُنفقه ويتقبل مني، اذر خلفي منه ستة أواق، أنـشدك الله يا عثمان: أسمعته قال مراراً؟ قال: نعم. قال الإمام الذهبي: "هذا دال على فضل إنفاقه وكراهية جمعه لا يدل على تحريم"[1].

٢. يحـاول الإمام الذهبي معالجة بعض المواقف التي ينبغي الوقوف عندها لغرابتها، بطـريقة غـير مباشـرة، فمـثلاً عـندما تـولى عـبدالملك بـن مـروان[2]، الرئاسـة والمصحف بين يديه أطبقه وقال: "هذا آخر العهد بك". قال الإمام الذهبي: "اللهم لا تمكر بنا"[3]. ولكن في مواطن أخرى كان يبدي رأيه فيمن كان رأساً في الفتنة، بـصراحة، وبطريقة مباشرة، وذلك تجنباً لأن يقع الخلط في الحكم عليه. قال أبو بكـر بـن عـياش[4]: "رأيـت خالـد القـسري[5] حـين أتـى بـالمغيرة بـن سعد[6] وأصـحابه، وكـان يـريهم أنـه يحـي الموتـى، فقـتل خالـد واحداً منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه، فقال: أعتقه، فأبى، فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر:

---

(1) السير، ج ٢، ص (٦٦-٦٧).

(2) عـبدالملك بـن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الخلفية الفقية الأموي، توفي سنة ٨٦هـ، السير، ج ٤، ص (٢٤٦).

(3) السير، ج ٤، ص (٢٤٨).

(4) ابن سالم الأسدي، المقريء الفقيه المحدث، توفي سنة ١٩٢هـ، السير، ج ٨، ص (٤٨٩).

(5) خالـد بـن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري، الأمير الكبير، وكان جواداً معظماً، توفي ١٢٦هـ. السير، ج ٥، ص (٢٤٥).

(6) أبـو عـبدالله البجلـي الكـوفي الراضـي الكـذاب، قـتل في العـشرين ومائـة، الـذهبي. ميـزان الاعتدال، ج ٤، ص (١٦٠).

فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه، قال الإمام الذهبي: "كان رافضياً خبيثاً كذاباً ساحراً، ادعى النبوة وفضل علياً على الأنبياء، وكان مجسماً، سقت أخباره في ميزان الاعتدال"[1].

٣. في بعض النصوص التي تثير غرابة وتعجب، يتوقف عندها الإمام الذهبي ليوجهها مزيلاً عنها اللبس. نحو: قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: "ما غِرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله ﷺ يذكرها". قال الإمام الذهبي: وهذا أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي ﷺ بعائشة ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ، فهذا من الطاف الله بها وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما. ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي ﷺ وميله لها. فرضي الله عنها وأرضاها"[2].

٤. يعلق الإمام الذهبي في بعض المواطن، ليستدرك أخطاء العلماء في كلام بعضهم على بعض، كقول مغيرة: "ما أفسد حديث أهل الكوفة غير ابي اسحق"[3]. قال الإمام الذهبي: "لا يسمع قول الأقران في بعض، وحديث أبي إسحاق محتج به في دواوين الإسلام، ويقع لنا من عواليه"[4].

٥. بعض الروايات التي لم يترجح صحته عنده، وتحتاج إلى تعليق ضمن منهجيته في ذلك، يتوقف عندها الإمام الذهبي معلقاً عليها، مع الإشارة الدالة على

---

(١) السير، ج ٥، ص (٤٢٦).

(٢) السير، ج ٢، ص (١٦٥).

(٣) عمر بن عبدالله الهمداني الكوفي الحافظ، من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين، وفي ١٢٧هـ، السير، ج ٥، ص (٣٩٢).

(٤) السير، ج ٥، ص (٣٩٩).

احترازه. مثال ما ذكر لأبي الحسن العلوي[1]، إن العمري لا توطئ زرعنا، فوطئ بالحمار حتى وصل إليه، فنزل عنده وضاحكه. وقال: كم غرمت من زرعك هذا؟ قال: مئة دينار، قال فكم ترجو؟ قال: لا أعلم الغيب وأرجو أن يجيئني مئتا دينار، فأعطاه ثلاث مئة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله، فقام العمري فقبل رأسه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل يدعو له كل وقت، فقال أبو الحسن لخاصته الذين أرادوا قتل العمري: أيما هو خير؟ ما أردتم أو ما أردت أي أصلح أمره بهذا المقدار؟. قال الإمام الذهبي: "أن صحت فهذا غاية الحلم والسماحة"[2].

٦. يستخدم السجع في بعض تعليقاته، بما يتناسب ومقام النص، كقوله في المبتدع: "وأنى يوصف من قد اعتزل وابتدع، وبالكتاب والسنة فل ما انتقع؟ فهذه عبرة، والتوفيق فمن الله وحده"[3].

٧. ختم التعليق أحياناً بالدعاء كقوله "فنسأل الله التوفيق والإخلاص"[4]، وقوله "فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلب شيء من البدعة، اللهم احفظ علينا إيماننا"[5]، وارحم عبادك ووفقهم وأيد سلطانهم وأعنه بتوفيقك"[6].

---

(١) موسى الكاظم، الإمام القدوة، والد الإمام علي بن موسى الرضي، توفي سنة ١٨٣هـ، السير ج ٦، ص (٢٧٠).

(٢) السير، ج ٦، ص (٢٧١-٢٧٢).

(٣) المرجع السابق، ج ١٨، ص (٥٨).

(٤) المرجع السابق، ج ١٥، ص (٤٦٤).

(٥) المرجع السابق، ج ٢٠، ص (٨٥).

(٦) المرجع السابق، ج ٢٠، ص (٤١٨).

## المضامين التربوية في الكتاب:

### ١. أهمية العلم:

بين الإمام الذهبي قيمة العلم وأهميته من خلال آراء العلماء ممّن ترجم لهم مثل قوله تعالى قال عمرو بن عثمان: العلم قائد والخوف سائق والنفس بينهما حرون خداعة[١].

فإذا ما غاب القائد، انفردت النفس وخوفها بالإنسان، فيصل معها إلى طريق الضياع، فلا تكون له قيمة إلا بقيادة حكيمة تبنيها أسس العلم.

وكذلك روى الذهبي عن الخطيب قال أنشدني أبو يعلى بن الفراء أنشدنا عيسى بن علي لنفسه:

| | |
|---|---|
| ربَّ ميّت قد صار بالعلم حيا | ومبقى قد حاز جهلا وغيًا |
| فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودا | لا تعدَو الحياة في الجهل شيئا[٢] |

### ٢. تعظيم العلم:

ظهرت أهمية العلم من خلال تركيز المربّين على مكانته وتعظمهم له مثل ما روى الذهبي: عن الأصبهاني قال: كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي فاستند يساله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا ثم أعاد فعاد بمثل ذلك فقالوا: كأنك تستخف بأولاد الخليفة، قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيعوه، قال: فجثا ابن المهدي على ركبتيه ثم سأله فقال شريك: هكذا يُطلب العلم[٣].

---

[١] السير، ج ٤، ص (٥٨).

[٢] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص (٥٤٩).

[٣] المرجع السابق، ج ٨، ص (٢٠٧).

وفي الحادثة إشارات تربوية تتمثل في:

- تبيّن الحادثة مذهب السلف في رفع مكانة العلم والعلماء، حيث يرفع العلم شأن كل من يشتغل به، وما هذا إلا لمنزلته الكبيرة في نفوس أفراد المجتمع بشكل عام حتى علا شأن العلماء أكثر من الخلفاء والملوك.
- يزداد العلم رفعة إذا أعتز به أصحابه ووقّروه بأقوالهم وأعمالهم، فلو امتهن شريك علمه أمام ابن المهدي، لضاعت هيبة العلم وهيبة المعلم في نفوس الناس. يوضح الذهبي أهمية العلم من خلال مدحه أصحاب التراجم بسعة المعرفة، فكانت هذه الصفة الفيصل في سمعته ومكانته، ومثال ذلك: قوله إن "محمد بن جرير كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره"[1].

وقال الذهبي: "ابن العريف في سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ولا يصح وكان الناس قد ازدحموا عليه يسمعون كلامه ومواعظه"[2]، فتبوأ العلماء المنزلة الرفيعة والمكانة الاجتماعية العليا.

### ٣. استمرارية التعليم:

يعني مصطلح استمرارية التعليم: الاستزادة من طلب العلم بحيث لا يقف عند حدود زمان أو مكان، فالتعليم لا يقف صاحبه عند مرحلة معينة بل يمتد به من المهد إلى اللحد، ويظهر ذلك من خلال:

#### ١) محبة العلم والحرص عليه:

روى الذهبي "قال أبو الحسن: عن إبراهيم بن حماد ما جئته إلا وجدته يقرأ أو يصلي"[3].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص (٢٦٧).

(٢) المرجع السابق، ج ٢٠، ص (٩٣).

(٣) المرجع السابق، ج ١٤، ص (٣٦).

وكذلك قال: "وقال الخطيب: كان البرقاني لم يقطع التصنيف إلى حين وفاته ومات وهو يجمع حديث مسعر، وكان حريصاً على العلم منصرف الهمة إليه سمعته يقول يوماً لرجل من الفقهاء معروف بالصلاح أدع الله تعالى أن ينزع شهوة الحديث من قلبي فإن حبه قد غلب علي، فليس لي اهتمام إلا به"[1].

وهذه المحة هي أول ضمان لاستمرارية التعلم، فالسبب أو الحافز الذي يجمع همة العالم، ويجعله منكباً على طلب العلم وحريصاً عليه كل هذا الحرص هو حبه للمعرفة، وهذا واضح من كلام البرقاني عندما طلب أن يدعو الفقيه له بنزع شهوة علم الحديث من نفسه لكثرة حبه له.

٢) **التفرغ لطلب العلم في كل لحظة:**

قال الذهبي: "فسألت عبدالرحمن عن اتفاق كثرة السماع له ولسؤالاته لأبيه، فقال: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه"[2]. فالعلم يحتاج إلى التفرغ والانشغال به وترك الشواغر الدنيوية التي تصرف اهتمام المتعلم عن علمه فيندب لطالب العلم أن لا يزيد من عوالق الدنيا.

٣) **الرحلة في طلب العلم:**

وأيضاً نستطيع أن نعد الرحلة في طلب العلم مظهراً لاستمرارية التعلم، وهذا ما تكثر روايته في السير ومن ذلك:

قال عبدالغافر الأستاذ الصابوني شيخ الإسلام، المفسَر المحَدث الواعظ، وكان حافظاً كثير السماع والتصانيف، حريصاً على العلم، سمع بنيسابور وهراه وسرخس والحجاز والشام والجبال وحدث بخراسان

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص (٤٦٥).

[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٨٧).

والهند وجرجان والشام والثغور والحجاز والقدس"[1]. فمن يرحل إلى هذه البلاد يحتاج إلى زمان طويل لبلوغ مراده منها وهذا كان حال العلماء، يمضون حياتهم في طلب العلم.

كذلك ما ذكره صاحب السير: "عن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٢٧٧هـ) يقول: أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ولم أزل أحصي"[2].

روى الذهبي عن عمر بن عبدالعزيز الذي طلب من والده أن يرحل في طلب العلم قائلاً "يا أبت ذلك لعله أن يكون أنفع لي ولك، رحّلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها وأتأدب بآدابهم، فوجهه إلى المدينة فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سنه"[3].

٤) **العمل بالعلم:**

ومن الوسائل المهمة في استمرارية التعلم، العمل بالعلم، لأن التطبيق العملي أفضل وسيلة لنشر العلوم، وهي طريقة تربوية اهتمت بها التربية الحديثة، وتسمى "بالمنحنى العملي" ومن الشواهد التي ذكرها الذهبي:

"وعن وهب أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: أشدكم جزعاً على المصيبة أشدكم حباً للدنيا، وعن وهب قال: المؤمن يخالط ليعلم، ويسكت ليسلم، ويتكلم ليفهم، ويخلو ليغنم، وعنه قرأت في بعض الكتب ابن آدم لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما علمت، فإن مثل ذلك كرجل احتطب حطباً فحزم حزمة فذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى"[4].

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص (٤٠).

[2] المرجع السابق، ج ١٧، ص .

[3] المرجع السابق، ج ٥، ص (١١٧).

[4] المرجع السابق، ج ٤، ص (٥٥١).

فالعمل بالعلم قوة تبدأ في القلب وتنتهي بعمل الجوارح، وعمل القلب والجوارح من عناصر الطريقة العلمية التي تستلزم الإحاطة التامة بالعلوم ثم توفير فرص التطبيق العملي.

بيَن الذهبي النتيجة المترتبة عن ترك العمل بالعلم بوساطة تشبيه بليغ فمثل حامل العلم غير العامل كمثل من حزم حطباً ليحمله فلم يقدر، فترك الغاية من الاحتطاب، وانصرف إلى الجمع مرة أخرى، أي أنه يكرر الفعل دون غاية، ودون أن يحقق أية نتيجة، فيضيع عمله هباءً منثوراً.

### ٤. محفزات العمل

طلب العلم يحتاج إلى عزيمة وهمَة عاليتين، فهو ثقيل وشاق على النفس الإنسانية، ولكن هناك بعض المحفَزات التي تساعد الإنسان على حمله، وباستقراء بعض الروايات في سير أعلام النبلاء نلحظ بعض هذه الحوافز منها:

#### ١. الإيمان:

تعدَ رابطة العلم بالإيمان رابطة وثيقة، لا تنفك فكلما زاد العلم ازداد المرء أيماناً وطاعة الله، لأنه إذا عرف عمل وإذا عمل تقرَب لله تعالى، فيقوى العلم بقوَة الإيمان ويضعف بضعفه. وكذلك الحال بالنسبة للإيمان فهو يشجع على العلم ويحفز النفس لتلقي كل علم مفيد وهذا واضح في نصوص الشريعة، وكذلك في تراجم الذهبي وسيره، ومن ذلك:

قال الذهبي: لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة مع التقوى[١]، وأظن أن الذهبي يرى ذلك لأن الذكاء بلا إيمان خطير على الأمة لأنه يؤذي صاحبه ويؤذي المجتمع ككل، أما البلادة مع التقوى، فهي مضرَة في حق صاحبها فحسب.

---

[١] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص (٢٣).

وروى الـذهبي كـذلك عن الحافظ عثمان بن خرزاد (م سنة ٢٨٢هـ) رحمه الله تعالى قال يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عدمت واحدة، فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، حذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه.
قلت أي الذهبي: الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقياً، ذكياً، نحوياً، لغوياً، زكياً، حيياً، سلفياً يكفيه ما يكتب بيديه مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مائة مجلد وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنية خالصة وتواضع، وإلا فلا يتعَن[1]. وذلك يؤكد منهج السلف والمربين الأوائل في ربط العلم بالإيمان، وهو منهج منتشر وله الأولوية عندهم، فصاحب الدين يدفعه دينه إلى المزيد من التعلم ناهيك عن إتقان العلوم، فهو ناقل لها بهدف خير البشرية جمعاء.
يروى الذهبي عن سعد بن عامر حميد بن الأسود عن عيسى الخياط قال: قال الشعبي: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان العقل: والنَسك، فإن كان عاقلاً لم يكن ناسكاً. قال هذا أمر لا يناله إلا النساك فلن أطلبه. وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً قال هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلن أطلبه.
يقول الشعبي فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليومن من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك. قتل (أي الذهبي): أظنه أراد بالعقل الفهم والذكاء[2].
وكما روى عن يزيد بن عميرة قال: إن معاذاً لما وافته المنية قالوا له: أوصنا، قال: العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما[3]، وكما هو معروف أن الواو تفيد الجمع والمساواة، فأوصى معاذاً العلماء بطلب العلم والإيمان معاً،

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص (٣٨٠).
(٢) المرجع السابق، ج ٤، ص (٣٠٥).
(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٤٢).

فمـن حـرص علـى طلبهما فسوف يحصل عليهما، فمؤادهما واحد وطريقهما واحد.

٢. **القدوة الصالحة:**

فهـي خـير محفـز علـى طلب العلم، وعن ذلك يروي الذهبي عن أحد العلماء قوله: هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ في الصوم حتى نزل به الموت، فجلست ثم رأسه أبكيه، قلت يبكيني أني خـرجت مـن بـلادي أطلـب الخـير فـرزقني الله فـصحبتك فعلمـتني وأحسنت صحبتي فنزل بك الموت فلا أدري أين أذهب؟ قال لي أخ بالجزيرة مكان كذا.

وروى الذهبي عن عكرمة أنه قال: إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لي خمسون باباً من العلم[1].

وهـذا يـشير إلى أثـر المعلـم حيث يعلم الكلمة فيحفز تلميذه لفتح خمسين باباً، وقد يكون المعلم كذلك هو الموجه للتلميذ، وهو التوجيه حافز للإقبال، وذلك بالكشف عن المعدن السليم والطاقات الكامنة عند التلميذ وتوجيهها، وفي ذلك يروي الذهبي عن أبي علي النيسابوري: كان في أيام الحذاقة يتعلم في الصناعة، فنـصحه بعـض العلمـاء لمـا شـاهد فرط ذكائه وأشار عليه بطلب العلم، فهشّ لذلك وأقبل على الطلب[2].

٣. **الهمة العالية:**

وهذا التخلي خير المحفز على طلب العلم، ولقد كانت سيرة المربّين عند الذهبي خـير مـثال علـى ذلك حيث روى: كان ابن اللبان ثقة مع تدين، وعبادة وورع بـيَن، سمعـته يقـول: حفظـت القـرآن ولـي خمس سنين، واحضرت مجلس ابن

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص (١٨).

[2] المرجع السابق، ج ١٦، ص (٥٢).

المقرئ ولي أربع سنين، قال الخطيب: لم أر أحسن قراءة منه، أدرك رمضان ببغداد فصلى التراويح بالناس ثم يحيى بقية الليل صلاة. فسمعته يقول: لم أضع جنبي للنوم في هذا الشهر ليلاً ولا نهاراً"[1].

فهذه المهمّة العالية في طلب العلم، وهذه المرتبة الرفيعة نالها بسبب تخليه عن عوالق الدنيا.

٤. **الصدق والإخلاص:**

تحلى العالم بالسلوك الصحيح والصدق والإخلاص حافز قوي للإقبال على العالم. ويروي الذهبي الكثير من هذا القبيل، ومن ذلك؟ قال الذهبي في ترجمة أحد العلماء: "وكان إماماً مجتهداً صالحاً ربانياً صادقاً مخلصاً رأساً في العلم والعمل عديم المثل منقطع القرين"[2].

وقول أيضاً: "كان اللبيدي من العلماء الأبرار كبير الشأن رفيع الذكر عابداً مخلصاً متقناً شاعراً"[3].

٥. **المتعلّم وصفاته:**

امتلك العلماء مقومات أو أدوات ساعدتهم على تحصيل العلم والاستزادة منها، وقد ذكر الذهبي مجموعة من هذه الأدوات هي:

١. **الإخلاص والتواضع والتقوى:**

مثل الإخلاص والتواضع، فهي تجعل المتعلم أكثر إقبالاً على طلب العلم، كما تجعله متيقظاً لكل جديد، لأنه يرى أن ما عنده قليل وعليه تحصيل المزيد.

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص (٣٦).

[2] المرجع السابق ج ١٣، ص (١٠٠).

[3] المرجع السابق، ج ١٧، ص (٢١٢).

وقد عدَ الإمام الذهبي الإخلاص والتواضع شرطين مهمين في طلب العلم، فقال: "الذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً، نحوياً لغوياً، زكياً حيياً، سلفياً يكفيه أن يكتب بيده مئتي مجلد، ويُحصل من الدواوين المعتبرة خمس مئة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات، بنية خالصة، وتواضع، وإلا فلا يتعنَ"[1].

٢. **اتهام النفس بالجهل:**

فمن نسب إلى نفسه العلم كان مذموماً، لأن النية الصالحة تبعد هدف التكثر في العلم وحب الشهرة، ويفسر الذهبي هذه بقوله: "قال معمر الأزدي: كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير الله فيأتي عليه العلم حتى يكون لله".

وقد علق الإمام الذهبي على ما قاله مُبيناً السبب الذي يدفعهم إلى ذلك فقال "نعم يطلبه أولا، والحامل له حب العلم، وحب إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف ونحو ذلك. ولم يكن قد علَم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدق النية، فإذا علَم، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم. وعلامة ذلك أن يقصر من الدعاوي وحب المناظرة، ومن قصد التكثر بعلمه، ويزري على نفسه، فإن تكثر بعلمه أو قال: أنا أعلم من فلان فبعداً له"[2].

٣. **التعمق في مادة التخصص:**

الغزارة في المعرفة في مادة التخصص تعطي صاحبها ثقة بالنفس وإقبالاً كبيراً نحو الاستزادة من العلوم، وقد برع العلماء في أنواع معينة من العلوم،

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص (٣٨٠).

[2] المرجع السابق، ج ٧، ص (١٧).

ومدحهم الذهبي لما برعوا به ومن ذلك: روى الذهبي أن "الصبغي جمع وصف وبرع في الفقه وتميَز في العلم"[1].

وذكر الذهبي ذلك أيضاً فقال: "ابن سمعون وهو لسان الوقت والمرجوع إليه في آداب المعاملات يرجع إلى فنون من العلم وقال الخطيب كان أوحد دهره وفرد عصره في الكلام على علم الخواطر دون الناس حكمه وجمعوا كلامه"[2].

٤. **سعة المعرفة:**

أو ما يسمى "بالموسوعية" وهي لا تتعارض مع التخصص لأنها تخصص في عدة أمور أو تعمق في أصناف من العلوم. والإنجازات التي حققها المربَون الأوائل كانت بسبب كثرة علومهم وسعة معرفتهم، وكلما زاد الإنسان معرفة حفزَه ذلك للاستزادة أكثر. ومما ذكره الذهبي: "محمد بن زكريا كان واسع المعرفة، مكباً على الاشتغال"[3].

وروى عن "السليمني الكبار رحل إلى الآفاق ولم يكن له نظير في زمانه إسناداً وحفظاً ودراية وإتقاناً وكان يصنف في كل جمعة شيئاً ويدخل من بيكند إلى بخارى ويحدث بما صنَف حدث عنه"[4].

٥. **الصبر وتحمل المشاق في سبيل العلم:**

وذلك يولد الإصرار على نيل أعلى المراتب العلمية، وقد روى الذهبي "عن سليم الرازي أنه قال: قال كان أبو حامد في أول أمره يحرس في درب وكان يطالع على زيت الحرص وإنه أفتي وهو ابن سبع عشرة سنة"[5].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص (٤٨٤).

(2) المرجع السابق، ج ١٦، ص (٥٠٦).

(3) المرجع السابق، ج ١٤، ص (١٣٩).

(4) المرجع السابق، ج ١٧، ص (٩٧).

(5) المرجع السابق، ج ٧، ص (٩٦).

### ٦. التأهب:

وهـي مـن الأدوات ذات الفعالية العالية في تحصيل العلوم من ثلاثة أمور: النـية الصالحة وقد سبق الحديث عنها، والهمة العالية بحيث لا يبالي المتعلم بسهر ولا جوع في سبيل التحصيل، والتوكل على الله.

وروى الـذهبي قـائلاً: "سمعـت علـي بـن أحمـد الخوارزمـي يقـول سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة.

قـال: فاتيـنا يـوماً أنـا ورفـيق لي شيخاً فقالوا له هو عليل فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناه فلما صرنا إلى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكنا إصـلاحه، ومـضينا إلى المجلـس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكاد أن يـتغير فأكلـنا نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه. ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد"[1].

**إذا مـا عـلا المـرءُ رام العُـلا ويقـنعُ بالـدون مـن كان دونا**

### ٧. معرفة قدر نفسه:

قـال الـذهبي: "قيل لـسعيد بـن جبير: تعلـم أحـد أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة"[2].

وروى الـذهبي قـال: "قـال الأسـتاذ الأسـفراييني: أنا من جانب شيخنا أبي الحـسن الباهلـي كقطـرة في بحـر، وقـد سمعـته يقـول: أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب بحر"[3].

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص (٩٣).

(٢) السير، ج ٥، ص (١٦).

(٣) السير، ج ١٥، ص (٢٣٢).

### ٨. مغالبة الهوى والإنصاف:

البعد عن هوى النفس والإنصاف، مهمان للمتعلم وقد ذكر الذهبي في ذلك أن ابن المكي برع وفاق الأقران، وانتهت إليه معرفة المذهب وغوامضه مع الصلابة في الدين والبعد عن الهوى والإنصاف في النظر[١]، وقال الذهبي لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين: أبو نعيم الأصفهاني وأبو حازم العبدوي[٢]. ويقول: إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرفه صلاحه وورعه واتباعه يغفر له الله ولا نضلّله وتطرحه وننسى محاسنه ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك[٣].

### ٩. نبذ التعصب في كل صوره:

من ذلك ما روي عن حسين بن عامر: "ما كذب على أحد في هذه الأمة ما كذب على علي"[٤]، وروي في التعصب للمذهب عن القشيري "بلغ الأمر في التعصب له مبلغاً كاد أن يؤدي إلى الفتنة"[٥]، وروي عن الدمياطي قوله: "أما الدمياطي فهو على العكس من ذلك له من التحقيق في كتبه ما لا يقاربه فيه أخ، وهو في نهاية من التمكن من معرفة الحديث، وله اختبار فلا يتقيد في الاختبار بمذهب بعينه بل يدور مع ظهور الدليل"[٦].

وعلق الذهبي على ذلك بقوله: "قلت ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو في التمكن من العلم كأكثر علماء زماننا أو من هو متعصب وهذا الإمام من

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص (٥٠٦).
(٢) المرجع السابق، ج ١٧، ص (١٥٢).
(٣) المرجع السابق، ج ٥، ص (٢٧١).
(٤) المرجع السابق، ج ٤، ص (٣٠٥).
(٥) المرجع السابق، ج ١٩، ص (٤٢٦).
(٦) المرجع السابق، ج ١٤، ص (١٩٣).

حملة الحجة جارٍ في مضمار ابن جرير وابن سريج وتلك الحلبة رحمهم الله[1].

وفي رواية الذهبي: عن الوليد الموقري عن الزهري قال لي عبدالملك بن مروان: من أين قدمت؟ قلت: من مكة. قال: فمن خلفت يسودها؟ قلت: عطاء. قال: أمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فيم يسودها؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا. فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس. قال: فمن العرب أو الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران وهو من الموالي. قال: فمن يسود أهل خرسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم من الموالي. قال فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن من الموالي. قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب. قال: فرَجت عَني، والله ليسودنَ الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر[2].

لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، فالمهم في تولي القيادة حيازة الفرد للعناصر التي تؤهله لها، وقد استحق الموالي في هذه الحادثة القيادة نظراً لامتلاكهم الديانة والرواية، فالكيل بمكيال واحد للعرب والعجم، وهذه هي معايير النقد في الإسلام، فالمؤمن القوي يستحق القيادة مهما كان جنسه أو لونه.

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص (١٩٣).

(2) المرجع السابق، ج ٥، ص (٥٧).

### ٦. معوقات الاستزادة من العلم

وسمَاهـا العلمـاء آفات العلم" وهي التي تشغل الإنسان عن تحصيل العلم، وقد بينها الذهبي في تراجمه للعلماء، وهي:

#### أ- فساد النية في طلب العلم:

ووضـح الـذهبي أثـر فساد النية على طالب العلم، فقال: "وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نووا. قال عليه السلام: "من غزا ينوي عقالاً فله ما نوى". وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله"[١].

#### ب- العجب والشهرة:

والوصـول إلى هـذه الـصفة يعني قطع الطريق على المتعلم، فلو حصّل القليل من العلـم حـسبه كثيراً، وبالتالي يتوقف عن الطلب، كما أن عدم اعترافه بعلم غيره يجعلـه غي محصل لعلوم الآخرين، وقد ذم العلماء هذه الآفة ومن هؤلاء العلماء الـذهبي، حـيث روى عـن مطـرف بن عبدالله قال: "لأن أبيت قائماً وأصبح نادماً أحـب إلـي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً"[٢]، فهذه المراقبة للنفس والحذر من أن تـصاب بـشيء مـن العجـب ومما حرص عليه العلماء، وقد علّق الذهبي على هذه المقولة فقال: "لا أفلح من زكّى نفسه أو أعجبته".

كمـا عـدَ الذهبي المعجب بنفسه منافقاً لأنه لا يعترف بتقصيره وعكسه المخلص، فقـال في ذلـك: "علامة المخلص الذي يحب الشهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلـك، لا يحـرد ولا يـبرَيء نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إلى عيوبـي، ولا يكـن معجـباً بنفـسه لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داء مزمن"[٣].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص (١٥٣).
(٢) المرجع السابق، ج ٤، ص (١٩٠).
(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص (٩٣٩).

ج- كثرة عوائق الدنيا:

مـن أكـبر المعـيقات عن طلب العلم اهتمام العلماء بالدنيا بما فيها من أطماع من العلم، وقد قال الذهبي في ذلك مطولاً في الرواية التالية:

فقـال: "فليتـبع فـيها الحـق ولا يـسمع الـرخص، وليتوزع ولا يسعه فيها بعد قيام الحجـة علـيه تقلـيد، فـإن خاف ممن يشغب عليه من الفقهاء فليتكلم ولا يترا‌ءى بفعلـها، فـربما أعجبـته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب. ويدخل عليه الداخل من نفـسه، فكـم مـن رجـل نطـق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لـسوء قـصده، وحـبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفي سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنـه داء خفـي يـسري في نفـوس المـنفقين مـن الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخـرفة، وهـو داء خفـي يـسري في نفـوس الجـند والأمـراء والمجاهدين مخبات وكمـائن من الأختيال وإظهار الشجاعة ليقال، ولا عجب، ولبس القراقل المذهبة (نـوع مـن الثياب)، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، ويضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعبة، وشرب للمسكر، فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون.

اللـهم فانـصر ديـنك ووفـق عبادك، فمن طلب العلم للعمل كسره العلم وبكى علـى نفـسه، ومـن طلـب العلـم للمـدارس والاقتـناء والفخـر والـرياء، تحامق، واخـتال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾. أي دسها بالفجور والمعصية.

تحـدث الـذهبي عـن مجمـوعة مـن الأغـراض الدنيوية التي تعيق طالب العلم في تحصيله للمعرفة أو أي عمل يبتغي به وجه الله.

# الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة

## محي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي

## ٦٩٦ - ٧٧٥هـ

تحقيق

د. عبدالفتاح محمد الحلو

**المؤلف:**

عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصر الدين بن سلام القرشي المصري الحنفي، محي الدين أبو محمد بن أبي الوفا فقيه محدث أصولي، مؤرخ، لغوي، ولد بالقاهرة في العشرين من شعبان عام ٦٩٦هـ سنة (١٢٩٧م) وعاش حياته في ظل دولة المماليك البحرية حيث عاصر العديد من سلاطينها وقد كان للاضطراب السياسي الذي ساد بكل المرحلة التاريخية، اثر تفننه في العلوم، حيث كان الملاذ: الذي يخلص إليه العلماء لنقد الواقع في صورة خفية، وكان لأبيه وشيوخه أثر واضح في إقباله على الكثير من علوم عصره، وقال ابن حجر: خالف عنه بعد ذكر عنايته بطلب العلم ولم يكن ماهراً وعلق عليه حاجي خليفة بقوله إن الجواهر المضية فيه لحن كثير وتصحيف، لأنه أول تأليف، والرجل معذور[1]. مع أن المؤلف كما يقول المحقق قد بذلك جهده وما ذكره حاجى خليفة ليس صحيحا على الإطلاق.

توفي أبو محمد في ربيع الأول سنة ٧٧٥هـ- ١٣٧٣م بالقاهرة ومن مصنفاته: العناية في تخريج أحاديث الهداية المختصر في علم الحديث وغيرها.

---

[1] مقدمة التحقيق من الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو، ط (٢)، ١٤١٣- ١٩٩٣م، حجر للطباعة والنشر، ج ١، (٦، ٩، ١٠، ٣٩، ٧٨).

## الكتاب:

والجواهـر المضيّة يقف شامخا بين مؤلفات عبدالقادر وهو الذي أذاع صيته بين العلماء إذ هو أول مؤلف في طبقات الحنفية تداوله الناس وانتشر بينهم[1].

ذكـر محقـق الكـتاب ما يقارب مائة وسبعين كتاباً أفاد في ذلك معاصرته لعدد غـير قلـيل إنـه اسـتقى جملة من تراجم كتابه من الواقع، وأفاد في ذلك معاصرته لعدد غـير قليل من شيوخه وأقرانه، وتلاميذ أبي حنفية في عصره فاستقى منهم تراجمهم من مـشاهدته وصـحبته لهـم وتلقـيه الأخـبار وأخـذه مـن الـثقات ونقله من شيوخه من خطهم[2].

وقـد بـين عـبدالقادر بـن أبـي الوفا في افتتاحه كتاب الجواهر المضيّة دافعه إلى وضـع هـذا المؤلـف حيث رأى أنّ أرباب المذاهب المختلفة قد افردوا مصنفات جمعوا فيها أصحاب إمامهم ولم يكن من أتباع مدرسة الحنفية من فعل ذلك فقال:

"وقـد طلـبت العلـم، ونفـسي متشوقة إلى جمع كتاب أذكر فيه طبقات أصحابنا فيمـنعني من ذلك العجز عن الإحاطة ببعض هذا الجم الغفير وتتبع الكتب المصنفة في ذلك"[3]، وقد لقيت هذه الرغبة استحسانا من اساتذته الذين أمدّوه بالمصادر، وتعهدوه بالنـصح والتوجـيه والتسديد مثل الشيخ "تقي الدين السبكي الشافعي صاحب "طبقات الـشافعية" الـذي يقول عنه المؤلف "إنه من أعظمهم منة عليه وتلقى كتابا وأشياء حسنة شـعرية. وأعظمهـم مـنة أبـو الحـسن علـي المارديني وكان المؤلف يهتم بأمرين مهمين وضعهما نصب عينه هما:

---

(1) مقدمة التحقيق، ج ١، ص (٥٨).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٦١-٧٤).

(3) الجواهر المضيّة، ج ١، ص (٩).

١- الإحاطة بهذا الجمع الغفير من علماء الحنفية استخرجها من كتب التراجم والتواريخ والفقه وغيره. وقد ترجم لـ (٢١٢٤) عالما دون الاقتداء بأحد في ذلك والاستعانة بكتاب سابق.

٢- تتبع الكتب المصنّفة التي يأخذ منها مادته في التراجم حيث يشير إليها حين ينقل عنها وقد يكتفي بأسماء أصحابها ويغفل الأمرين أحيانا[1].

## لماذا تراجم العلماء؟

يقول المؤلف في ذكر التراجم فوائد كثيرة ومهمات جليلة منها:

١. "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" قيل هو ذكر أصحاب رسول الله ﷺ.

٢. معرفة مناقبهم وأحوالهم فنتأدب بآدابهم ونقتبس من محاسن آثارهم.

٣. انزالهم منازلهم من خلال معرفة مراتبهم وأعصارهم، "لا نقصر بالعالي في جلالة عن درجته، ولا نرفع غيره عن مرتبته".

٤. انهم ائمتنا وأسلافنا كالوالدين لنا وأجدى علينا في مصالح آخرتنا.

٥. العمل بقول أعلمهم وأورعهم إذا تعارضت أقوالهم.

٦. بيان مصنفاتهم وما لها من الجلالة[2].

## المنهج:

١- رتب المؤلف كتابه على الحروف وكذلك في أسماء الآباء والأجداد تيسيرا على كاشفه واتبعته بكتاب في الكنى ثم الذيل على الكني ثم كتاب النساء والأنساب والألقاب ثم بمن عرف بابن فلان ثم ختمه بكتاب الجامع على عادة علماء المدينة يذكر فيها فوائد ونفائيس جمة.

---

[1] مقدمة المحقق، ص (٦٠).

[2] الجواهر المضية، ج ١، ص (١١-١٢).

٢- قدم للكتاب بمقدمة شملت ثلاثة أبواب كل باب يشتمل على فصول وهي بيان عدد الاسماء الحسنى واسماء رسول الله ﷺ ثم مناقب الإمام أحمد ابن حنيفة.

### مفهوم الطبقة عنده:

لا بدّ أن يتبيّن لمطالع كتاب الجواهر أن المؤلف لم يرد بالطبقات مفهومها الزماني من حيث الترتيب على الشيوخ والصحبة وإنما المفهوم العام من حيث شمول أصحاب مدرسة الحنفية على مختلف العصور والأماكن حتى زمن المؤلف وتصنيفهم في جماعات يسهل البحث بينها للوقوع على المطلوب معرفته من الأصحاب وهذا من خلال نهجه طريقة الأبواب حيث جعل لكل جماعة توافقت مطالع أسمائهم باباً يجمعهم بترتيب حروف المعجم ومواقعها من أسمائهم الأولى والثانية، وقد أدى ذلك إلى ذكره بعض الأبواب فارغة من التراجم كما في باب حرف الذال المعجمة[١].

### الاستطرادات:

أدى المنهج الموسع الذي اتبعه المؤلف في استقصاء أصحاب المدرسة الحنفية من كافة كتب الحنفية وكتب الرجال والتاريخ، إلى وقوعه في بعض الاستطرادات كان بعضها مقصوداً لما لها من فوائد معتبرة في بيان سيرة المترجم له، كما كان في ترجمة بعض الأعلام عند ترجمة أبي العباس السروجي[٢].

وقعت في الكتاب استطرادات غير مرادة سببها شمول الترجمات بعض الفقهاء من المذاهب الأخرى بظن أنهم حنفية، مثل، أحمد بن محمد السرخسيّ الشافعي[٣]،

---

(١) الجواهر المضيّة، ج ٢، ص (١٩٨).

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٢٧-١٢٩.

(٣) المرجع السابق، حاشية الكتاب، ج ١، ص (٣٢٣).

عبدالملك بن إبراهيم الهمذانيّ الشافعي[1]، واسحاق بن الفرات بن الجعد التجيبيّ من المالكيّة[2]، ومن الحنابلة إسحاق بن البهلول[3].

## محتوى الترجمة:

توسع المؤلف في التفصيل في سيرة بعض المترجم لهم، حيث ضمنها عدداً من الصفحات كما في ترجمته أحمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي[4]، وترجمة علي بن محمد الرحبيّ أبو القاسم السمناني[5]، بينما نجده يقتصر في بعض الترجمات على ذكر اسم المترجم له وبعض أوصافه كما قال في ترجمة ربيعة بن أسد الهروي: قاضي الكرخ فاضل معروف، من هراة[6]، وفي ترجمة القاسم بن محمد الدهستاني: أبو غيّاث الفقيه وحدّث[7]، والظاهر من مطالعة كتاب الجواهر كثرة هذه الترجمات المقتضبة، ويرجع ذلك إلى توسع المؤلف في استقراء وشمول جميع من وقع على ذكرهم في كتب التاريخ قبله من الحنفية[8].

وقد اشتملت كل ترجمة على ما استطاع المؤلف جمعه عن صاحبها، حيث كان يضمنها ما يصل إليه من أخبار مستقرئاً: اسم المترجم له وكنيته ولقبه ونسبه ثم مكانته العلمية وشيوخه وأقوالهم فيه، ومن أخذ عنه، والوظائف التي شغلها، وجزءاً من سيرته التي شهدها أو التي يقصها صاحب الترجمة في شيء من مؤلفاته أو ما ذكره عنه الأصحاب[9].

---

(1) الجواهر المضيّة، حاشية الكتاب، ج ٢، ص (٤٦٩).
(2) المرجع السابق، حاشية الكتاب، ج ١، ص (٣٦٩).
(3) المرجع السابق، ج ٢، ص (٥٩٠).
(4) المرجع السابق، ١/ ٢٧١-٢٧٧.
(5) المرجع السابق، ٢/ ٦٠٥-٦١٠.
(6) المرجع السابق، ٢/ ١٩٩.
(7) المرجع السابق، ٢/ ٧٠٧.
(8) مقدمة التحقيق، ص (٧٦).
(9) الجواهر المضيّة، ٢/ ٦١٥.

وللمؤلف رؤية نقدية حيث لم يكتف بنقل النّصوص عن غيره بل كان يستدرك وينقد وتتفحص كما فعل مع السمعاني، ومع شيخه قطب الدّين عبدالكريم وعدّل بعض الأخطاء من مسموعاته[1].

## الصياغة:

يذكر حاجي خليفة أن الجواهر المضيّة فيه لحن كثير وتصحيف، لأنه أول تأليف والرجل معذور[2]، وبعدما أورد المحقق هذا القول ردّه بوصفه بعدم الصحة، ثم أنه بيّن ما في الكتاب من مواضع يستدرك فيها على المؤلف[3]، وذكر جهدي في تهذيب تلك التراجم وفرزها وترتيبها في صورة تمنع اختلاط بعضها ببعض، وإنما تحصل له ذلك بإعادة قراءة الكتاب مرّات عديدة، ثم ربط تراجمه بعضها ببعض وفهرسته قبل إتمام العمل فيه[4].

## الإحالة والاعتماد على مؤلفات من سبقه:

تقدّم ذكر نماذج لما اعتمده المؤلف من كتب سابقيه، وبيان استقصائه أصحاب الترجمات في كتب الفقه، وقد كان المؤلف يشير إلى ذلك كلّه أثناء الترجمات، ثمّ إنه صرّح بالأخذ عن بعض العلماء ممن سمع منهم ولم يكن لهم مؤلف في ذلك[5].

ومن منهج المؤلف أنه يحيل على الكتاب نفسه إذا ترجم للأقارب، فمن ذلك قوله في ترجمة عبدالملك بن عبدالسلام اللمغانيّ، أخوه عبدالرحمن تقدم، وعم محمد بن عبدالرحمن بن الحسن اللمغانيّ ويأتي[6].

---

(١) الجواهر المضيّة، ص (١٢٤-١٢٧).
(٢) كشف الظنون، ١/ ٦١٦-٦١٧.
(٣) مقدمة التحقيق، ١/ ٧٨-٧٩.
(٤) المرجع السابق، ١/ ٨٤.
(٥) الجواهر المضيّة، ٢/ ٣٤٠.
(٦) المرجع السابق، ٢/ ٩٨، ٢/ ٤٧٢-٤٧٣، ٥٦٣.

## المآخذ التي أخذت على المؤلف:

١- انه لم يتحر صحة ما ينقل في بعض المواضع كما في ترجمته لجمال الدين الحصيري وغيره.

٢- نسبه بعض الكتب مثل: "طلبة الطلبة" إلى مؤلفين مما نبّه له "حاجي خليفة".

٣- ينسب كتابا لمؤلف هو غير مؤلف الكتاب مثل نسبة كتاب "المحيط الكبير" للسرخسي وهو لابن مازة وكتاب "الفرائض" للعثماني وهو "للمرغياني".

٤- لا يذكر في الترجمة أحيانا الولادة والوفاة، مع وجود المصادر التي يمكن أن تسعفه.

٥- أحياناً يذكر أن شخصاً روى عن آخر لم يجتمعا في الحياة ولم يريا بعضهما وقد ذكر المحقق مثالاً لذلك في ص ٨١.

٦- أحيانا يترجم لشخص واحد باسمين كما فعل في ترجمة ابن الإبّري، ترجمة مرة باسم "محمد بن عبدالخالق" ومرة "محمد بن محمد بن عبدالخالق".

٧- يذكر أن بعض الأعلام ستأتي ترجمتهم أو أنها تقدمت ثم لا تجد لهم أثرا في الكتاب.

## القضايا التربوية في الكتاب:

### استمرارية التعليم:

أحب علماء الحنفية العلم والتعليم واشتغلوا بطلبه حتى وفاة كل منهم ومن ذلك قول المؤلف: "ومنذ طلبت العلم ونفسي متشوقة إلى جمع كتاب"[1]، "ولم يزل يفتي ويدرس"[2]، "ورحل وطلب العلم"[3].

---

[1] الطبقات المضيّة، ج ١، ص (٩).

[2] الطبقات السنية، ج ١، ص (٧٠).

[3] المرجع السابق، ج ١، ص (١١٢).

- روي عن أبي يوسف أنه قال: أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم أيما أفضل في رمي الجمار أن يرميها الرجل راجلاً أو راكباً فقلت: راكباً فقال لي: أخطأت ثم قال: أمّا ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راجلاً وأمّا ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه راكباً ثم قمت من عنده فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه وإذا هو قد مات[1].
- إن شهاب الدين أبو العباس حدث بصحيح البخاري أكثر من سبعين مرة وحدّث يوم موته[2].
- كان دائم الاشتغال والكتابة مع كبر سنه وغزارة علمه[3].
- ويبدوا أنه ظل يشتغل بالتدريس إلى أن تغيرّ وأضر قبل وفاته[4].
- وكان خطيب قلعة دمشق ومدرسها شيخاً كبيراً جاوز التسعين[5].
- قال الفضل بن ركين دخلت على زفر وقد اختصر وهو يقول في حالٍ لها مهر وفي حالٍ لها ثلث مهر[6].
- ولم يزل يرتفع حاله لاشتغاله بالعلم ونشره[7].
- كان منعكفاً على الاشتغال بالعلم[8].
- كان مشتغلاً بنشر العلم[9].

---

(1) أنظر طبقات الحنفية، ج ١، ص (٧٦).
(2) أنظر، ج ١، ص (١١).
(3) أنظر، ج ١، ص (٣٣).
(4) أنظر، ج ١، ص (٤١).
(5) أنظر، ج ١، ص (١٥١).
(6) أنظر، ج ٢، ص (٢٠٨).
(7) أنظر، ج ٢، ص (٣٨٩).
(8) أنظر، ج ٢، ص (٥٣٩).
(9) أنظر، ج ٢، ص (٥٦٣).

- قـال: وسمعت شداد بن صدقة التاجر يقول: كان يعقد في داره مستقبلاً الكعبة وكتبه بين يديه وهو في وسطها لا يلتذ بسواها[١].

## الرحلة في طلب العلم:

وقد أكثر علماء الحنفية من الرحلة في طلب العلم وذكر ذلك في مواطن كثيرة مثل قوله:

- وقد ذكر لي الثقة من أصحابنا فممن طاف البلاد[٢].
- وكان قد رحل إلى بخارى وتفقه بها ثم رجع إلى بلده[٣].
- جال في بلاد الهند واليمن والشام والعراق والروم[٤].
- ورحل وطلب العلم[٥].
- واستكثر من الشيوخ[٦].
- وتفقه عبدالقادر على اثني عشر شيخاً[٧].
- سمع الكثير وسافر على البلاد وكتب بخطه ورحل إلى خرسان[٨].
- رحل في طلب الحديث إلى بغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة[٩].
- ودرس أبـو سـعد علـى أبـي عـبدالله الـصيرمي ثم قاضي القضاة أبي عبدالله الدامغاني[١٠].

---

(١) أنظر، ج ٣، ص (١٠).
(٢) أنظر الجواهر المضيّة، ج ١، ص (٦).
(٣) أنظر المرجع السابق، ج ١، ص (٧٠).
(٤) أنظر ج ١، ص (٨٩).
(٥) أنظر ج ١، ص (١١٢).
(٦) أنظر ج ١، ص (١٧).
(٧) أنظر ج ١، ص (٣٨).
(٨) أنظر ج ١، ص (٢٨٩).
(٩) أنظر ج ١، ص (٣٦٦).
(١٠) أنظر ج ١، ص (٥٣).

### تعليم المرأة:

قد ورد في طبقات الحنفية ما يدل على أن للنساء نصيباً من التعليم وخاصة للقرآن الكريم والسنة النبوية، يتضح ذلك من خلال قوله:

- إنّ أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر المقدسية ثم الصالحية واحدة من شيوخ (شيخات الحنفية)[1].
- إن أم الحياء زاهدة بنت محمد بن عبدالله الظاهري أجاز لها الشيوخ وحدثت وخرجت لها مشيخة[2].
- إن ست الوزراء أم محمد الدمشقية واحدة من الشيخات[3].
- تفقهت عليها ابنة فاطمة العالمة الصالحة وكانت تحفظ التحفة[4].

## أساليب التربية وطرق التدريس:

### المناظرة:

ظهر أسلوب المناظرة عند الأحناف وكان الإمام أبو حنيفة يشجع طلابه على التناظر لذلك تميز الكثير من علماء الحنفية بالمناظرة وتبين ذلك من خلال ما يأتي:

- درس وأفاد وناظر[5].
- وكان أنظر أصحاب أبي حنيفة في زمانه[6].
- جمع بين داود بن علي الأصبهاني وبين محمد بن علي بن عمار الكريني ببغداد في مسجد الجامع يتناظران في خبر الواحد[7].

---

(1) أنظر الجواهر المضيّة، ج ١، ص (٢٥).
(2) المرجع السابق، ج ١، ص (١٤).
(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠).
(4) المرجع السابق، ج ١، ص (١٨).
(5) المرجع السابق، ج ١، ص (١٣).
(6) المرجع السابق، ج ١، ص (٩٦).
(7) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٩٢).

- وقيل إن الليث جاءه فجلس بين يديه فرفعه إسماعيل فقال الليث إنما جئت مخاصماً لك[1].
- وكان بينه وبين عصام بن يوسف البلخي الإمام مناظرات ومباحث وصحبه[2].
- وكانا يتناظران في الفقه[3].
- ثم ناظر أبو حنيفة[4].
- عالماً مناظراً[5].
- وكان وحيداً في مناظرته فريداً في محاورته[6].
- فدخلا المسجد نافذاً في المناظرة[7].
- وجرى له بمصر مناظرات مع جماعة من المتكلمين[8].
- وله مناظرات مع أبي أحمد العياضي[9].
- من كبار أصحابنا ومناظريهم[10].
- وكان يناظر أبا العباس بن سريح[11].

---

(1) انظر الجواهر المضيّة، ج ١، ص (٤٤٦).
(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٤).
(3) المرجع السابق، ج ٢، ص (٢٠٩).
(4) المرجع السابق، ج ٢، ص (٣٢١).
(5) المرجع السابق، ج ٢، ص (٣٧).
(6) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤٨٩).
(7) المرجع السابق، ج ٢، ص (٧٠٥).
(8) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٥).
(9) المرجع السابق، ، ج ٢، ص (٣٧).
(10) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٥٧).
(11) أنظر.

## المناقشة والمذاكرة (الأسئلة والأجوبة):

وقد ظهر هذا الأسلوب بكثرة عند علماء الحنفية فيما يأتي:

- قال ابن دحية: فإن قال قائل كيف تدعون زيادة أسمائه ﷺ إلى ثلاث مائة وفي الموطأ أن رسول الله قال: لي خمسة أسماء؛ كان الجواب: أما قوله ﷺ لي خمسة أسماء لا يدل على الحصر[1].
- سئل الشيخ الإمام عن من ضرب امرأته وقال داود طلاق، قال: لا تطلق[2].
- قال نصير بن يحيى سئل بشر بن يحيى المروزي عن ماء وقعت فيه نجاسة فارة ونحوها والماء قليل فعجب به وخبز فقال ........ الخ[3].
- وقد سئل أبو العلا بن نصر الكشاني عن الحلف بالقرآن، فقال: لا ينعقد، ينعقد الحالف[4].
- سئل الرسول ﷺ كيف نصلي عليك، فقال: قولوا اللهم صلّ على محمد[5].

## السماع:

وقد ظهر هذا الأسلوب عند الأحناف كثيراً مثل:

- وقد سمع محمد مع أخيه عبدالقادر صحيح البخاري على الحجار[6].
- سمع عليه المصنف صحيح البخاري لسماعه من ابن الزبيدي[7].
- وكان صبوراً على التسميع[8].

---

(1) أنظر الجواهر المضيّة، ج ٢، ص (٣٧).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٥٧).

(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٥٥).

(4) المرجع السابق، ج ٤، ص (١١١).

(5) المرجع السابق، ج ٤، ص (٦٠٣).

(6) المرجع السابق، المقدمة، ص (١٠٠).

(7) المرجع السابق، المقدمة، ص (١٣).

(8) المرجع السابق، المقدمة، ص (١٩).

- سمع وحدّث[1].
- وقرأت عليه بعضه لسماعه من ابن كليب[2].

## الإملاء:

وقـد اسـتخدم علمـاء الحنفـية أسلوب الإملاء وكان لديهم المفيد وظهر ذلك فيما يلي:

- وكان يملى ببخارى[3].
- وأعاد ببعض المدارس[4].
- ولما أملى مناقب أبي حنيفة وكان يستملي عليه أربعمائة مستمل[5].
- وعقد له مجلس الإملاء[6].
- واستملى على قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الحرمين أبي سعيد محمد بن أحمد في مجالس إملائه[7].
- وكان يستملي لأبي الفضل بكر بن محمد الزرنجري[8].
- وكان قد استملى على أبي سعيد عبدالرحمن بن الحسين[9].
- له مجلس إملاء الحديث بكره يوم الخميس[10].
- عقد له مجلس الإملاء وأملى سنين[11].

---

(1) أنظر الجواهر المضيّة، ج ٢، ص (٣٠).
(2) المرجع السابق، ج ٣، ص (٤٢٠).
(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٨٢).
(4) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٠٤).
(5) المرجع السابق، ج ٢، ص (٣٤٥).
(6) المرجع السابق، ج ٢، ص (٤١١).
(7) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٢٤).
(8) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٨٧).
(9) المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٠٣٠).
(10) المرجع السابق، ج ٣، ص (٤٣٤).
(11) المرجع السابق، ج ٣، ص (٥٩٤).

### القراءة:

وقد قرأ التلاميذ على شيوخ الحنفية وحفظوا كتباً عديدة وامتحنوا فيها ويظهر مثل:

- مناره يكون إمضاؤها حفظها ويشهد لهذا ما تقدم من قوله "قد حفظها"[1].
- وامتحن الباقين وكتب بجوابهم[2].
- وقيل حافظ يضرب بحفظه المثل[3].
- فامتحن الناس[4].
- وقرأت عليه بعضه لسماعه من ابن كليب[5].

### التفكير والتخيل:

وقد ظهر هنا الأسلوب قليلاً عند علماء الحنفية مثل:

- وكان إذا تكلم خيل إليك أن القرآن نزل بلغته[6].

### الوصف (التشبيه والتمثيل):

وقد ظهر هذا الأسلوب عند علماء الحنفية بكثرة ويكون مرة بالتشبيه ومرة برواية القصص ونلاحظ ذلك من خلال قوله:

- سأل عبدالله بن سلام رسول الله -ﷺ- عن لواء الحمد ما صفته؟ فقال: "طوله مسيرة ألف سنة وستمائة سنة من ياقوته حمراء ....... له ثلاث ذرائب ....... عليه مكتوب ثلاثة أسطر ....... طول كلّ سطر مسيرة ألف عام"[7].

---

(1) انظر الجواهر المضيّة، ج ١، ص (١٦).
(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٥٤).
(3) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٥٥).
(4) المرجع السابق، ج ٣، ص (١١٢).
(5) المرجع السابق، ج ٣، ص (٤٢).
(6) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٢٠).
(7) المرجع السابق، ج ١، ص (٣٧).

- فقال له بكار: صفها لي فوصفها[1].
- حكى عنه ابن عساكر حكاية عن والده تأتي في ترجمته[2].
- كان أبو يوسف يشبه الجمل حمّال أكثر ما يطيق[3].
- يقـول الرجل يسأل عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضياً! لأن يدخل الرجل إصبعه في عينه فيقتلعها ويرمي بها خير من أن يكون قاضياً[4].
- قال لأن العلم حاجة والعقل كالآلة للعلم[5].
- قيل أن النظر إلى الوجه الحسن كالنظر إلى البستان الحسن[6].
- ولم أزل اغترف من بحاره واقتبس من أنواره[7].
- حـدث عـن أحمد بن أبي عمران قال: سمعت الوليد يقول: قلت لعمّي الحسن ابـن زياد: ألست قد رأيت زمر بن الهذيل وأبا يوسف عن أبي حنيفة قال: نعم قلت، فكيف رأيتهما عنده؟ قال: كعصفورين أنقض عليهما باذيّ[8].

## أسلوب المحاضرة (الخطية):

وهـو أسلوب تعليمي قائم على إلقاء المحاضرة والخطاب لجميع المتعلمين على صورة وعظ وإرشاد.

وقد ظهر هذا الأسلوب عند علماء الحنفية في الطبقات نقل عن:

---

[1] أنظر الجواهر المضيّة، ج ١، ص (٤٦٠).

[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٤٣٥).

[3] المرجع السابق، ج ٢، ص (٩١).

[4] المرجع السابق، ج ٢، ص (١٤٠).

[5] المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٠٨).

[6] المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٢٣).

[7] المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٢٠).

[8] المرجع السابق، ج ٣، ص (٥٧٩).

- خطيب جامع الظاهر بالحسينية[1].
- درس بالمعظمية فأقيمت بها الخطبة فخطب بها[2].
- خطب يعني أبو بكر حاتم الرشداني بجر غينان مدة وكانت إقامة الجمعة إليه سنين كثيرة[3].

**التعليم بالإشارة والإيماء:**

وقد استخدمه الرسول -ﷺ- في الحديث النبوي أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وخرج بينهما وقد استخدم علماء الحنفية هذا الأسلوب قال ابن المبارك وما ألزمت سفيان حتى جعلت علم أبي حنيفة هكذا وأشار بقبضة يده[4]، قال: يعني أبو معاذ رأيت الثوري جاء فوضع عند صاحب الرمان فلساً وحمل رمانة ولم يتكلم ومضى[5].

---

(1) انظر الجواهر المضيّة، ج ٣، ص (٢٣٧).

(2) المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٣٨).

(3) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٠٦).

(4) المرجع السابق، ج ٣، ص (٢٩).

(5) المرجع السابق، ج ٣، ص (٨٩).

# طبقات الشّافعيّة

# تـاج الـديـن السّـبكـي

## ٧٢٧ – ٧٧١هـ

## دراسة تربويّة

**المؤلف:**

هـو تـاج الدين أبو نصير عبدالوهاب بن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن علـي بـن زيـن الدين أبي محمد عبدالكافي بن ضياء الدين أبي الحسن علي بن تمام بن يوسـف الـسبكي، ولـد بمـصر ٢٧٢هـ، مع اختلاف بعض المصادر التي ذكرت مولده ٧٢٨هـ كمـا ذكـر الـزّبيدي في تـاج العـروس أن مـولده كان ٧٢٩هـ. وتوفي شهيداً بالطاعون في منطقة الدهشة بدمشق، في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ٧٧١هـ ودفن بتربة السبكية بسفح قاسيون، عن أربع وأربعين سنة[١].

تُعـد أسـرة ابـن الـسبكي العـريقة بالعلم والتقوى والرياسة، فأبوه هو قاضي القـضاة تقـي الـدين الـسبكي المـتوفي سـنة ٧٥٦هـ، حيث ولي التدريس في المنصورة وجامـع ابن طولون والهكارية بمصر. والمسرورية بدمشق. وأخوه بهاء الدين أو حامد، الذي كانت له اليد الطولي علوم اللسان العربي والمعاني والبيان، وقد أسند إليه الكثير مـن المهـام العلمـية فهو مفتي دار العدل وقضاء العسكر وقضاء الشام وخطيب جامع ابن طولون.

---

(١) تـاج الـدين عـبدالوهاب بن تقي الدين الـسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د س، ج ١، ص (٥).

وأخـوه أيـضاً جمـال الـدين أبـو الطيب. الذي كان صاحب ذهن ثاقب وعلم بالعـروض والـشعر وهـو المـدرس الفـذ في المدرسـة الهكاريـة والـشامية الرانية، وقد أسـهمت أسـرة الـسبكي بنـصيب وافر في النهضة العلمية التي برزت في القرن الثامن الهجـري فكـيف لا يكون لهم بصمات واضحة في هذه النهضة العلمية وهم أهل بيت كله علم وصلاح وتقوى.

## طلبه للعلم:

لقـد صور الإمام السبكي كيفية طلبه للعلم منذ صغره، فقد اهتم والده بتربيته وحـرص على تثقيفه، على يد كبار العلماء، ممن يثق في علمهـم، ويطمئن إلى وسائلهم في الـدرس والـتلقين، فهو يقول عن نفسه: "وكنت أنا كثير الملازمة للذهبي، أمضي إليه في كـل يـوم مـرتين: بكـرة، والعـصر، أمـا المـزي فمـا كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسـبوع، وكـان سـبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة والمحبة في، بحيث يعرف من عـرف حالـي معـه أنـه لم يكـن يحب أحداً كمحبته فيّ، وكنت أنا شاباً، فيقع ذلك مني مـوقعاً عظـيماً، وأما المزي فكان رجلاً عبوساً مهيبا، وكان الوالد يحب أن الازم المزي أكثر من ملازمة الذهبي، لعظمة الزي عنده"[1].

وحـين تولى والده منصب قاضي قضاة دمشق، رحل معه إلى دمشق فقدمها في جمـادى الآخـرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وفي دمشق سمع من زينب بنت الكمال، وابـن أبـي اليسر، وابن تمام، وتخرج بتقي الدين بن رافع، وأخذ عن الشيخ أثير الدين أبـي حـيان، وأجـاز لـه الحجار، وخرج له ابن سعد مشيخة حدث بها، ولم يكتف ابن الـسبكي بتلقيه العلم والمعرفة على أيدي العلماء، وإنما اتجه إلى التحصيل بنفسه وأقبل على العلم بهمة فتية ونفس مشوقة[2].

---

(1) تـاج الـدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د س، ج ١، ص (٦).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٧).

## ثناء العلماء عليه:

قال عنه العماد الحنبلي: "طلب بنفسه ودأب" وقال ابن حجر العسقلاني: "أمعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء والطباق، مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مهر وهو شاب"[1]. وقال الحافظ شهاب الدين بن حجي: "حصل فنونا من العلم: من الفقه والأصول وكان ماهراً فيه، والحديث والأدب، وبرع وشارك في العربية، وكان له يد في النظم والنثر، جيد البديهة، ذا بلاغة وطلاقة لسان وجرأة جنان، وذكاء مفرط وذهن وقّاد"[2].

وانتبه الإمام الذهبي إلى ما تميز به تلميذه تاج الدين السبكي، فسجل في ترجمته فقال: "كتب عني أجزاء نسخها، وأرجو أن يتميز في العلم، درّس وأفتى، وعني بهذا الشأن"[3].

## اضطلاعه للتدريس:

لقد أجازه شمس الدين بن النقيب بالإفتاء والتدريس وعمره لم يتجاوز الثامنة عشر، ثم أخذ يدرس العلم في كثير من مواطن العلم والتعليم فكان مدرّساً في العزيزية، والعادلية الكبرى والغزالية، والعذراوية، والشاميين، والناصرية، والأمنية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، والتقوية، والدماغية، والمرورية[4].

---

(1) تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (٦).

(2) المرجع السابق، ج ١، ص (٧).

(3) المرجع السابق، ج ١، ص (٧).

(4) المرجع السابق، ج ١، ص (٧).

## شخصيته:

هـذه الحـياة العلمية التي عاشها تاج الدين تدل على ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة رحبة، رفدتها أفكار شيوخه، وهذبها حرصه وأدبه، ثم تولى بسطها أمام الناس ذهـن وقّـاد ولـسان طلق، وحجة قوية، ونشرها بين جمهرة المثقفين ما أخذ نفسه به من التقييد والتأليف وما قدر لمؤلفاته من القبول والنجاح.

وأبـرز مـا يتضح في شخصية ابن السبكي أن ثقافته فقهية، فقد حظي الفقه في ذلـك لـوقت باهـتمام العلمـاء، لحاجة الناس إليه، وقد بلغ من اهتمامه بالفقه أنه ملأ الطبقات الكبرى بمسائله، وبسط فيها مناظراته.

وتجـد في شخـصية ابـن الـسبكي أنّـه بـرع في علـم الحديث، فروى السنّة عن الحفّـاظ في عـصره، فقـال عنه ابن حجر: "من الطبقات تعرف منزلته في الحديث"[1]. ثم بـرز في شخـصية ابن السبكي اهتمامه بأصول الفقه فصنف في ذلك مختصراً، جمعه من زهاء مائة مصنف مع زيادات قيدها، وبلاغة في الاختصار.

## الكتاب:

يعـد كـتاب طـبقات الـشافعية الكـبرى إحدى الموسوعات العلمية الكبرى في الـتراث الإسـلامي، حـيث يرجع إليه كل طالب علم يبتغي المعرفة، وينشد فيه كل ما يحتاجه من كل تخصص وفن من فنون العلم.

جمع الإمام السبكي في هذا الكتاب عصارة فكره وعلوم فقهاء وعلماء أسهموا في نشر المعرفة والعلم على مر العصور إلى تاريخ عهد ابن السبكي رحمه الله، وقد جاء هـذا الكـتاب في عشرة مجلدات، احتوت على سبع طبقات من أعلام الأئمة الشافعية، وهي على النحو التالي:

---

[1] تـاج الـدين عـبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (١٢).

المجلد الأول: اشتمل على مقدمة ذكر فيها منهجه وأسلوبه في ترجمة أصحاب الطبقات.

المجلد الثاني: اشتمل على أعلام الطبقة الأولى ممن جالس الشافعي وسمع منه، وأعلام الطبقة الثانية ممن توفي بعد المائتين ولم يصحب الشافعي وإنما اقتفى أثره.

المجلد الثالث: اشتمل على أعلام الطبقة الثالثة ممن توفي بين الثلاثمائة والأربعمائة.

المجلد الرابع: اشتمل على أعلام الطبقة الرابعة ممن توفي بين الأربعمائة والخمسمائة.

المجلد الخامس والسادس والسابع: اشتمل على أعلام الطبقة الخامسة ممن توفي بين الستمائة والسبعمائة.

المجلد الثامن: اشتمل على بقية أعلام الطبقة السادسة.

المجلد التاسع: اشتمل على أعلام الطبقة السابقة ممن توفي بعد السبعمائة.

المجلد العاشر: اشتمل على أعلام بقية الطبقة السابعة ممن توفي بعد السبعمائة.

وقد قام بتحقيق الكتاب كل من الأستاذ محمود محمد الطناحي، والأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو، حيث بذلا مجهوداً طيباً في تحقيق الكتاب ومقارنته بالمخطوطات الأخرى التي عثرا عليها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، وبدار الكتب المصرية.

## منهجية في الكتاب[1]

١. **القضايا العقدية:**

ناقش في كتابه الطبقات الكبرى مشكلات العقيدة، وخلافات علم الكلام، ومسائل المنطق، وعقد للحديث عن الإيمان والإسلام والإحسان، وزيادة الإيمان ونقصانه، والقدر وأفاض في هذه المسائل مما يدل على بصره بعلم الكلام، وطول باعه فيه.

٢. **في المقدمة:**

أما المقدمة فقد استوفى فيها مباحث عدة، وناقش مسائل في الحديث، ونقد الرجال، والنحو، بل إنه ليعرض لقضايا علم الكلام، فيقدمها ويبين الآراء، في استقصاء شامل وسرد منهجي، ثم ينتصر لرأيه ورأي الأشاعرة آخر الأمر.

ثم عمل على مناقشة آراء العلماء في رواية الشعر، وإنشاده، وسماعه، وذكر ما بلغه مسنداً من الشعر الذي أنشد بين يدي رسول الله -ﷺ- وما روي عن صحابته، وعلماء الأمة وأخيارها، وما روي عن الشافعي نفسه، من إنشاد وسماعه.

وقد ذكر في المقدمة طبقات الرواة، الذين عنهم أخذ، وبطريقهم أسند، ثم ذكر بعض الأحداث التي هزّت العالم الإسلامي مختصرة، على النحو الذي يحتاج إليه الفقيه، وينشده غير المتخصص.

وقد نهج تاج الدين في مقدمته نهجاً فريداً، حيث لم يستطرد في افتتاحيته بسم الله، ويثني بحمد الله، والصلاة على رسول الله -ﷺ- وذكر الشهادتين وإنما كان يتمهل في ذكر ذلك كله، فبدأ كتابه بسم الله وحمده، تيمناً وتبركاً، ثم روى بسنده كل ما يتصل بافتتاح الأعمال من أحاديث، وناقش كل ما عرضت له

---

[1] تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (٢٣).

هـذه النـصوص مـن قضايا، حتى إذا اطمأن إلى القول قد تم وكمل، قال: "بسم الله الـرحمن الـرحيم الحمـد لله الـذي رفـع طـبقات العلمـاء علـى هام الملوك وتاجها ...."[1].

ثم روى بعد ذلك بسنده الأحاديث التي تتعلق بالشهادتين، واستوفى مباحثهما، حتـى تـسنى له فيما بعد أن يقول "فنشهد أن إلا الله وحده لا شريك له، شهادة لآمـن مـن اختـلال الأذهـان واختـلاجها ... ونـشهد أن سـيدنا محمـداً عـبده ورسوله، إمام التقوى ضياء سراجها ..."[2].

ثـم يـروي بعد ذلك بسنده الأحاديث التي تحض على الصلاة على النبي صلى الله علـيه وسـلم ويـبين ثـواب فعلـها، وإثـم تركها، ثم يقول: "فصلى الله على سـيدنا محمـد وآلـه، وأصـحابه، وسـائر الأنبـياء والمرسـلين، القـائمين بمـداواة القلوب .."[3].

ثـم يـروي بعد ذلك بسنده أحاديث فضل قريش وعلمائها، ويخوض في بحوث شـتى حـول الإمامـة الـسياسية/ وإمامة العلماء، ويتحدث عن مكانة الشافعي ونسبه، ثم عن الأئمة الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة، فيجددون لهذه الأمـة أمـر دينها، ثم يقول: "ورضي الله عن إمامنا المطلبي الشافعي، شافي العِيِّ عن الكلمات باعتدال مزاجها ...."[4].

كمـا أن ابـن السبكي لا يستطيع أن يقول: "ويشرح سبب تأليفه للكتاب ونهجه في وضعه إلا إذا ذكر بسنده من الأحاديث والآثار ما يتعلق بـ"أما بعد" وأول من قاله قالها.

---

(١) تـاج الـدين عـبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (٢٤).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (١٢٥).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص (١٨٩).

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠٣).

### ٣. في تقسيم الطبقات:

أما الطبقات فقد جعلها ابن السبكي سبع طبقات، وعقد لأهل كل مائة سنة طبقة، فهو يقول: "فأنزلت الشافعية رضي الله عنهم في طبقات، وضربت لكل منهم في هذا المجموع سرادقات، ورتبتهم سبع طبقات، كل مائة عام طبقة، وجمعتهم كواكب كلها معالم للهدى، ومصابيح تجلو الدجى، ورجوم للمسترقة"[١]. وهو يرى أن كتابة هذا كله كما يقول: "مجموع فوائد تنسل إليه الرغبات من كل حدب، نذكر فيه ترجمة الرجل مستوفاة، على طريقة المحدثين والأدباء، ونورد نكتاً تسحر عقول الألبّا"[٢].

وقد جاء ابن السبكي في ترجمته لرجال الطبقات على نهج قديم، يدل على بصر بتاريخ المترجم، وإحاطة بالفنون التي أجادها، ووعي لدقائق الأمور التي أثارها، وبصر بالجديد الذي أضافه إلى العلم، والمسائل التي تفرد بها في فنه، يقول ابن السبكي بعد أن ذكر طريقته هذه: "وكل هذا وراء مقصودنا الأعظم فيه، ومرادنا الأهم الذي لا يقوم به سهر الليل ولا يوافيه، إذ أعظم مقاصدنا أنا عند الفراغ من ترجمة كل رجل، أو في أثنائها ننظر، فإن من المشهورين الذين طارت تصانيفهم فملأت الأقطار، ودارت الدنيا ولم تكتف بمصر من الأمصار، نظرنا فإن وجدنا له تصنيفاً غريباً، استخرجنا منه فوائد، أو مسائل غريبة، أو وجوهاً في المذهب واهية، وكتبناها، وإلا فنذكر وجهاً غريباً ذكر عنه، أو مقالة غريبة ذهب إليها، وشذّ بها عن الأصحاب، وإن كان من المقلين أعملنا جهدنا في حكاية شيء من ذلك عنه، وربما غلب الفقه على إنسان ولم نر عنه في الفقه مستغرباً، فنقلنا عنه فائدة غير فقهية: إما حديثية، أو غيرها، وربما غلب عليه

---

[١] تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (٢٠٧).

[٢] المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠٧).

الحديث، أو غيره من العلوم سوى الفقه، فأعملنا جهدنا في نقل شيء من الفقه، أو ما يناسبه عنه، فإن لم نجد شيئاً لم نخل ترجمته من حكاية، أو شعر، أو فائدة تستغرب[1].

وقد ضرب في مقدمته أمثلة لذلك فهو يقول: إذا جئنا للقفال والشيخ أبي حامد اللذين هما شيخا الطريقتين الخراسانية والعراقية، ويمر بالفقيه ذكرهما ليلاً ونهاراً، لم ننقل عنهما شيئاً من كتبهما المشهورة بل نحرص على أن نعزو إليهما شيئاً نجده في كتاب لهما مستغرب، أو كتاب لغيرهما نقله فيه عنهما، ولا نكثر في ترجمتها من ذلك أيضاً، وإذا جئنا إلى إمام الحرمين، والغزالي، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وفخر الإسلام تلميذه مثلاً اضربنا عما في "النهاية" للإمام، و"الوسيط" و"البسيط" و"الوجيز" للغزالي. وعدلنا إلى مثل "الخلاصة" للغزالي، ومثل "الغياثي" للإمام، و"الأساليب في الخلافة" ونحو ذلك. ولا نذكر شيئاً من المهذب والتنبيه مثلاً، وإنما نعدل إلى "النكت في الخلافات" ونحو ذلك. ونحرص كل الحرص على أن لا نذكر شيئاً في الرافعي والروضة إلا لتعلق غرض به، من زيادة تنكيت أو مبحث، أو حكاية، وجه أو قول، أو غير ذلك[2].

وعلى الرغم من إتباعه أسلوب الإطالة والتفصيل إلا أنه أحياناً يذكر اسم المترجم، ثم يسكت عنه، وأحياناً أخرى يذكر ترجمته ناقصة، بل إن في الكتاب مباحث لم يكملها المؤلف.

وقد اعتمد ابن السبكي في ترجمته كل طبقة على حروف المعجم، وبدأ بذكر الأحمدين ثم المحمدين، تيمناً وتبركاً.

---

[1] تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي، وعبدالفتاح الحلو، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص (٢٠٨).

[2] المرجع السابق، ج ١، ص (٢٠٩).

# المبادئ التربويّة في الكتاب

## ١- إلزامية التعليم:

تقوم التربية الإسلامية على مبدأ إلزامية التربية والتعليم فكان أول ما أنزل على رسول الله -ﷺ- من الوحي، دعوة للعلم والتعليم "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم ....".

والعلم الذي تدعو إليه التربية الإسلامية هو العلم الذي يعود بالخير والنفع العميم، ويجعل المسلمين في قوة ومنعة.

فالتربية الإسلامية تقوم على إلزاميّة التعليم بتعليم المسلمين جميع العلوم المفيدة. وخصوصاً العلوم الشرعية التي تُعد علوماً محمودة.

فقد روى عن الإمام الشافعي قوله: "ما تقرب إلى الله عز وجل بعد أداء الفريضة بأفضل من طلب العلم"[1].

وقد ذكر السبكي رحمه الله قصة الإمام أبي زرعه الرازي العالم المحدث الذي اشتغل بالحديث طوال حياته، إنه كان في النزع فدخل عليه أبو حاتم، فأخذ يسأله عن سند الحديث النبوي "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة" فذكره، وعند ذكره الحديث وصل إلى قوله "لا إله إلا الله" ثم خرجت روحه منه الهاء قبل أن يقول "دخل الجنة" وقد علّق السبكي على هذه الحكاية بقوله: "لقد حصل أبو زرعة على أمر عظيم ببركة حفظه للحديث. وهكذا رأينا من لزم باباً من الخير فتح عليه غالباً منه، كما حصل لأبي هريرة -رضي الله عنه- أنه لما كثر عله الحفظ جعله الله لسان صدق في الآخرين"[2].

---

(١) طبقات الشافعية، ج ٢، ص (١٢٩).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٦٤-٦٥).

ولا يقتصر العلم المحمود على العلوم الشرعية، بل على العلوم الإنسانية التي تخدم الإنسان وتمكنه في الأرض كعلم الطب والهندسة وغيرها ....

فقد أورد السبكي أن الإمام أبو سعيد الإدريسي -رحمه الله- كان من فقهاء الدين وحافظ الآثار، وعالماً بالطب والنجوم، وفنون العلم[1].

## ٢- استمرارية التعليم والإنفاق في سبيله:

حرصت التربية الإسلامية على هذا المبدأ، فقد دعت إلى التعليم واستمراره، وحرصت عليه كل الحرص، فنجد الدعوة إلى متابعة تعليم أبناء المسلمين العلوم والمعارف والخبرات.

ومن شدّة حرص الأئمة الأعلام على تلقي العلم وتحصيله أنهم أنفقوا الأموال الكثيرة، بل أنّ أحدهم كان يتخلى عن ثمن طعامه ولباسه في سبيل تحصيل العلم والتعليم، وقد ذكر الفرغاني: أن ابن جرير رحل من مدينة آمُل لما ترعرع، وسمع له أبوه بالسفر، وكان طول حياته لينفذ إليه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان، فسمعته يقول: أبطأت عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فتقت طميَّ القميص، فبعتهما[2].

وقد قيل أنه لا بدَّ للآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم وينشئوهم على حب العلم، والتعلق به.

فقد قال رسول الله -ﷺ- في هذا المجال: "مروا أولدكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر" وقد أورد السبكي قصة في هذا المجال، نوردها تالياً.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ٣، ص (١٣٢).

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٢٥).

هـذا الفقـيه الإمـام علـي بـن الكـافي السبكي، كان من الاشتغال بالعلم على جانـب عظـيم حيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره. فقد كان يخرج من البيت صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر.

وكـان الله تعـالى قـد أقام والده ووالدته للقيام بأمره فلا يدري شيئاً من حاله، ثـم زوجـه والـده بابـنة عمه وعمره خمس عشر سنة وألزمها أن لا تحدثه شيئاً من أمر نفسها، وكذلك ألزمها والدها وهو عمه الشيخ صدر الدين بمثل هذا.

فاسـتمرت معه ووالده ووالدها يقومان بأمرها، وهو لا يراها إلا وقت النوم، وصـحبته مدة، ثم إن والدها بلغه أنها طالبته بشيء من أمر الدنيا، فطلبه وحلف عليه بـالطلاق ليطلقها، فطلقها، فانظر إلى اعتناء والده وعمه، وذلك خوفاً منهما أن يشتغل باله بشيء غير العلم[1].

ونستطيع من خلال هذه القصة أن نخرج ببعض الإرشادات التربوية التي تخدم العملية التعليمية:

أ- اهـتمام الأهـل وحرصهم على تحصيل أولادهم للعلم. فقد عمل والدا الإمام علي بن الكافي على خدمته من أجل أن يتفرغ للعلم.

ب- حـرص الأهـل وأولـياء الأمـور على عدم إشغال أولادهم بأمور الدنيا، وهذا يظهـر مـن خلال ما قام به أبوه من تزويجه ابنة عمه، ثم طلب أبوه وعمه أن لا تحدثه زوجته بأي أمر من أمور الدنيا، حتى لا ينشغل عن العلم.

ج- يقـع علـى عاتق أولياء الأمور توفير بيئة مناسبة للتعليم وإزالة كل العوائق التي مـن شـأنها أن تـصرف طالب العلم عن التحصيل لذلك نرى والدها علم أنها طالبـته بأمـر مـن أمور الدنيا، فطلب منه أن يفارقها وأصر على ذلك، حتى لا ينشغل بغير العلم.

---

[1] طبقات الشافعية، ج ١٠، ص (١٤٦).

## ٣- مراعاة الفروق الفردية:

تقوم التربية الإسلامية على مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين.

والمربون يؤكدون على أهمية هذا المبدأ قولاً وعملاً ومما أورده السبكي في هذا المجال:

ما روي عن أبي جعفر الطبري أنه قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمال قبل تمامه. فاختصره في نحو ثلاثين ألف ورقة، ثم قال: أتنشطون لتاريخ العالم، من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إن الله، مانن الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير[1] هذا التحقيق جاء مراعاةً لقدرات التلاميذ واستعداداتهم فلم يكلفهم الطبري من العلم ما لا يطيقونه، ولم يعلمهم ما لا يرغبون وذلك حرصاً منه على إتقان التلميذ لما يتعلمه من العلوم، وعدم صرف ذهنه عما يتعلم، وتركيزه في اتجاه معيّن وهو الاستيعاب لما يسمع من معلمة.

كما حدثت أيضا مع الربيع بن سليمان حيث قال عنه القفال في فتاويه إنه كان بطيء الفهم، فكرر عليه الشافعي مسألة واحدة أربعين مرة. فلم يفهم، وقام من المجلس حياءً، فدعاه الشافعي في خلوة، وكرر عليه حتى فهم[2] ومن أهم الإشارات التربوية التي نستنتجها:

١- استخدام أسلوب التكرار هذا مراعاةً لقدرات الربيع في الاستيعاب.

٢- على المعلم التحلي بصفات الصبر، وسعة الصدر وطول البال حتى يستطيع أن يتعامل مع طلابه بالشكل السليم، ويرسخ المعلومة في عقولهم بالشكل المضمون النتائج.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ١، ص (١٢٣).

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص (١٣٤).

٣- علـى المعلـم الـيوم دراسـة سـيرة الـسلف الصالح حتى يتمكن من أداء عمله بالشكل الذي يرضي الله ويرضي الطلاب، ويرضي نفسه.

٤- إنّ الناس متفاوتون في قدرة استيعابهم وسرعة فهمهم.

٥- إن المعلـم يستطيع بفطنته وذكائه الوصول إلى طريقة العلاج المناسبة في توصيل وترسيخ المعلومة في ذهن تلاميذه.

## ٤. التدّرج:

تقـوم التربية الإسلامية كما نعلم على مبدأ التدرج في عملية التعليم والتعلم. ويقـصد بـه السير بالعملية التعليمية خطوة خطوة بحيث تكون هذه الخطوات مدروسة ومناسبة لقدرات المتعلمين.

وقد أشار الإمام علي بن عبدالكافي السبكي، إلى أهمية علم النحو فقال:

**وتعلـم الـنحو الـذي يدنـي الفتـى**
**مـن كـل فهـم في القـرآن مـسدود**[1]

فجعل السبكي علم النحو أول خطوة في فهم القرآن.

ومن هنا نلاحظ أن:

- لغة القرآن تحتاج إلى معرفة بعلم النحو يسهل فهمه وتدبر معانيه وتنفيذ أوامره.
- أن الـتدرج والـسير بالعملية التعليمية خطوة .. خطوة هو السبيل الأمثل لفهم هذا العلم وبالتالي النجاح والوصول إلى أعلي الدرجات فيه.

وقـد قـال الإمـام المزنـي رحمه الله: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: "من تعلم القـرآن عظمـت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته،

---

[1] طبقات الشافعية، ج ١٠، ص (١٧٧).

ومـن نظـر في اللغـة رقّ طـبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[1] ومن هذا القول نلحظ أن:

١- كـل علـم من هذه العلوم لا يستطيع المتعلم بلوغه بدون أن يتدرج في تحصيله، فيسهل عليه الخوض فيه، وبالتالي ينال مرتبة هذا العلم ويتذوق حلاوته.

٢- انه من صور التدرج، تقديم العلوم الأشرف ... فالأشرف فاشرف هذه العلوم هو القرآن وهو المخدوم، ثم يأتي الفقه ... الخ.

## ٥. الحرص على أخذ العلم من أفواه العلماء:

نظـرا لحـرص العلمـاء على تلقي العلم فقد وجهوا طلبة العلم إلى اخذ العلم وتلقـيه مـن أفواه العلماء وعدم أخذه من بطون الكتب وحدها، يقول الإمام أبو علي الثقفـي رحمـه الله: لـو أن رجـلا جمـع العلـوم كلـها، وصحب طوائف الناس لا يبلغ الـرجال إلا بالرياضـة مـن شيخ، أو إمام، أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من آمر لـه، ونـاه، يـريه عـيوب إعمالـه، ورعـونات نفـسه، لا يجـوز الاقـتداء به في تصحيح المعاملات[2].

وهـذا أبو حيان محمد بن حيان النفري يؤكد على ضرورة أخذ العلم من أفواه العلماء وعدم الاقتصار على أخذه من بطون الكتب فيقول:

يظـــن الغمـــر أنّ الكـــتب تجـــدي
اخـــــاذهنٍ لأدراك العلــــــوم
ومـــا يـــدري الجهـــول بـــأنّ فـــيها
غـــوامض حيّـــرت عقـــل الفهـــيم

---

[1] طبقات الشافعية، ج ١٠، ص (١٧٧).

[2] المرجع السابق، ج ٣، ص (١٩٤).

إذا رمـــت العلـــوم بغـــير شـــيخ

ضـــللت عـــن الـــصراط المـــستقيم

وتتلـــبس الأمـــور علـــيك حتـــى

تـــصير أضـــل مـــن تـــوما الحكـــيم[1]

بعض الإشارات التربوية في هذه النصوص.

أ) للمعلّـم أهمـية كـبيرة في شـرح مـا قد يكون غامضاً وغير واضح للطالب من العلـوم والمعارف، ومن يطلب العلم بلا معلم يضل عن الاتجاه الصحيح، وقد ينحرف إلى ما ليس فيه خير لنفسه أو للآخرين.

ب) لا يمكـن الاعـتماد علـى اخذ العلم من بطون الكتب مهما كان الطالب يتمتع بالذكاء والفطنة.

لـذلك حـرص طلـبة العلـم علـى ملازمة شيوخهم لتلقي العلم وتحصيله من أفـواههم ايمانـا مـنهم بـأن المتعلم لا بد له من معلم يوضح له ما يحتاج إلى التوضيح ويفـسر له ما يلتبس عليه من دقائق الأمور، فهذا الإمام ابن محمد البحيري لا يمل من القراءة على شيخه عبدالغافر الفارسي، حيث قرأ عليه صحيح مسلم أكثر من عشرين مرة حتى كف بصره في آخر حياته[2].

## ٦. الموضوعيّة:

ونعـني بـه مجموعة من الأساليب والأدوات والخطوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة والتعامل معها بعيداً عن الذاتية والمؤثرات الخارجية.

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٩، ص (٢٨٦).

[2] المرجع السابق، ج ٣، ص (١٢٥).

ويظهر هذا المبدأ جلياً عند السبكي من خلال ذكر عناصرها، وأهميتها، وصورها.

**عناصر الموضوعية:**

١) الدليل والبرهان فلكي

كي تصدر الأحكام لا بد من علم وبرهان. وهذا ما اكدّه ابن السبكي حيث قال: إنّه ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين. ولا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح[١].

٢) الفهم. فالعلم لا يغني عن الفهم (ربّ حامل فقه ليس بفقيه)، وهذا ما أكد عليه السبكي في قوله: (ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك وإلا فاضرب صفحاً عما جرى بينهم. فإنك لم تخلق لذلك. فاشتغل بما يعنيك واترك ما لا يعنيك. ولا يزال طالب العلم نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضي ويقضي لبعضهم على بعض[٢].

ومن كلام السبكي نلاحظ انه يركز على الفهم الدقيق للموضوع والإخلاص في الفهم وتحكيم العقل في الحكم على أي موضوع أو مشكلة تطرأ وهنا نلاحظ أن السبكي ركز على وجود جميع عناصر الموضوعية في الحكم على أي أمر عارض.

قال ابن السبكي بُلغني أن سلطان مصر حضر عند الأمام السلفي للسماع فجعل يتحدث مع أخيه، فزجرهما، وقال ايش هذا نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان[٣].

---

(١) طبقات الشافعية، ج ١ (٢)، ص (١/ ٢٧٨).

(٢) المرجع السابق، ج ١ (٢)، ص (١/ ٢٧٨)

(٣) المرجع السابق، ج ٦، ص (١٦٢).

كان هذا الزجر للسلطان أو غيره من قبيل أنّ احترام العلم والتفكير فيه من واجب السلطان قبل غيره. وذلك بحكم عمله، فهو معرض لإصدار الأحكام دائماً، ومعرض لحلّ المشكلات والقضاء بحاجة إلى التفكير والتمعن، في كلام الحديث ليفهم مدلوله القريب والبعيد.

ومن هذا النص نستطيع أن ندرك إشارات تربوية أهمها:

١- أنّ احترام العلم وتقديره، والتمكن منه يتساوى فيه الغني والفقير على حد سواء.

٢- لا يجوز التشاغل بأي أمر من الأمور الدنيوية في مجالس العلم.

٣- إنّ التفكير الموضوعي يفتح للإنسان كل أفاق الفكر والمعرفة. فعلى كل إنسان الابتعاد عن التعصب والتشاغل والانفعال في مجالس العلم حتى يتحقق الغرض المنشود منها وهو الوصول إلى المعرفة.

## أهمية الموضوعيّة:

١- إن جذور هذا المبدأ واضحة جدا في القرآن والسنة وسيرة السلف. ومما أورده السبكي في هذا المجال، قول اسحق بن راهويه: "أبو عبيد افقه مني، وأعلم، أبو عبيد أوسعنا علماً وأكثرنا أدباً"[1].

٢- هذا القول من هذا العالم دلَّ على وجوب إنصاف الناس، وعدم هضم حقوقهم. فهذا الاعتراف بالفضل يعدُّ من أهم صور الموضوعيَّة.

## صُور الموضوعيّة:

أ- الثبات على الرأي وعدم تركه أو التراجع عنه خصوصاً إذا كان هذا الرأي مستنداً على دليل. وعدم تركه إلا إذا جاء دليل اقوى منه. ومما أورد السبكي في هذا المجال.

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٢، ص (١٥٤).

ّما روي علن البويطي الذي امتحن بفتنة خلق القرآن فقد قال عنه الربيع انه قال: إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق ولئن أدخلت عليه لأصدقنّه- يعني الواثق- ولاموتن في حديدي هذا. حتى يأتي قوم يعلمون انه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم[1].

ب- ومن المرونة، أن يكون المعلم ذا شخصيّة بعيدة عن الانفعالية وقد ورد الكثير في الشواهد في ذكرنا لواجبات المعلم الناجح في قبوله استدراك تلميذه عليه.

ومن ذلك أيضا قصة البخاري مع الإمام الداخلي حيث قال البخاري ألهمت حفظ الحديث ولي عشر سنين أو أقل، وخرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره. وفقال يوماً فيما يقرأ على الناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم فقلت له ان أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل، ثم خرج إليّ وقال كيف يا غلام قلت هو الزبير بن عدي، فاخذ القلم وأصلحه، وقال: صدقت[2].

ج- إسناد القول إلى صاحبه، وقد وردت الشواهد كثيرة من خلال واجبات المعلم نحو اقرأنه ولداعي لذكرها هنا لنتجنب التطويل.

ومن هذه الشواهد التي وردت وغيرها التي تذكرها لتجنب التطويل نستنتج بعض مقومات الموضوعية وهي:

* البعد عن الظنون والتجرد عن الهوى.
* احترام الاختصاص بأن يعترف الإنسان بالفضل لأهله.
* الدقة والتعامل مع الحقائق المستندة إلى برهان.

إما الآثار التربوية التي تعود على الأمة من الالتزام بهذا المبدأ فهي:

---

(1) طبقات الشافعية، ج ٢، ص (١٥٤).

(2) المرجع السابق، ج ٢، ص (٢١٦).

أ- تعويد الإنسان على تقبل الحق.

ب- تربية العقل على حرية التفكير والتحرر من قيود المؤثرات.

ج تربية الأخلاق العلمية مثل الإخلاص، الصبر، التواضع وغيرها.

## ٧. المسؤوليّة:

ونعني به: الاستعدادات الفطرية التي خلقها الله سبحانه الناس للقيام برعاية ما كلفهم الله به من أمور، تتعلق بالدين والدنيا فمن قام بها له الثواب وإلا فعليه العقاب.

وقد ورد في كتاب الطبقات للسبكي عدّة أنواع للمسؤولية منها:

١. **مَسؤولية الفرد والأسرة:**

وهذه تسمى مؤسسات التنشئة وتقسم إلى:

* مسؤولية الأسرة تجاه النشء:

اهتم الشافعيّة كغيرهم من العلماء بتنشئة الأجيال لأنهم علماء المستقبل، ومما ورد عن ابن السبكي في هذا المجال: ما روي في ترجمة ابن جرير الطبري انه رحل من مدينة آمُل لما ترعرع. وسمح له أبوه بالسفر، وكان طوال حياته ينفذ بالشيء بعد الشيء إلى البلدان.

كان العلماء يسمحون لأبنائهم بالسفر، وطلب العلم شعوراً بالمسؤولية تجاه أبنائهم، بإخراجهم إفرادا صالحين للمجتمع.

وقد حرص الآباء على تنشئة أبنائهم على العلم وإخراجهم، علماء مثلهم، وقد أورد السبكي أمثلة من أبناء العلماء الذين صاروا مثل آبائهم في العلم.

وأبو جعفر الحناطي حيث رزق مثل الشيخ أبي عبدالله ولداً رضياً نجلاً ذكياً[1]

---

[1] طبقات الشافعية، ٢٠/ ٣، ص (٤٧٣).

ومن الحرص على تعليم الأبناء تعويدهم على الرحلة في طلب العلم ومنه ما روي في ترجمة التميمي الإمام ابن الإمام انه رحل مع أبيه في طلب العلم صغيراً[1].

وكان للمرأة أثر في تحمل هذه المسؤولية، فقد أورد ابن السبكي في ترجمة الإمام ابن الربيع أنه طلب العلم من الصغر باعتناء والده وخالته[2].

مما يدل على مشاركة المرأة في تحمل المسؤولية المنبثقة عن هذا المبدأ وترسيخه في نفوس هذا الجيل الجديد.

فقد أورد ابن السبكي في ترجمة أبي بكر الخطيب أنه قرأ صحيح البخاري بمكة في خمسة أيام على كريمة المروزية وهي إحدى رواة صحيح البخاري[3].

ومن هنا نلاحظ الأسلوب الذي اتبعته الأسرة في إنشاء هذا الجيل الصالح:

❊ تعاون الرجل والمرأة في أداء هذه المسؤولية كاملة.

❊ إرواء حاجة الطفل إلى المحبة والعطف.

❊ إعطاء الطفل حقوقه الماديّة والمعنوية.

❊ اتخاذ أحسن الأساليب التّربويّة في التعامل مع الأبناء.

وقد كان للطلاب همةٌ عالية في الإقبال على العلم وتحصيله والاستزادة منه لما يجدون في نفوسهم من وازع داخلي يحثهم على الاستزادة من العلم.

وقد أورد السبكي الشواهد التي تدل على حرص الطلاب على العلم شعوراً منهم بالمسؤولية تجاه هذا العلم في تعلمه وتعليمه ونشره. حيث قال ابن السبكي عن طلابه: حتى في يوم ماطر لم يمنعهم المطر من الذهاب للإمام الخير وشاهي لسماع كلامه. حيث أتوا جميعاً ووقفوا تحت طاقة الإمام ووضعوا على رؤوسهم كساءً يمنع وصول المطر[4].

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٣، ص (٣٢٤).
[2] المرجع السابق، ج ٣، ص (٣٢٤).
[3] المرجع السابق، ج ٤، ص (٣٠).
[4] المرجع السابق، ج ٨، ص (١٦٢).

فقد كان هذا الجيل، دائم التحصيل للعلم، كثير الانشغال له، فقد قال ابن القليوبي في كتابه "العلم الظاهر" سمعت الشيخ الحافظ زكي الدين عبدالعظيم يقول: "دخلت عليه يوماً وهو في سرداب تحت الأرض، لأجل شدة الحر وهو يشتغل بالعلم: فقلت له: في هذا المكان وعلى هذا الحال: فقال: إن لم أشتغل بالعلم ماذا أصنع".

فقد كان العلماء يتحملون المشاق والصعاب في سبيل تحصيل هذا العلم، لأنهم يشعرون بالمسؤولية تجاه هذا العلم. في تصحيله وتعليمه لمن يطلبه، وما ذاك إلا تحقيق كامل لمبدأ المسؤولية[1].

ومن أهم ما ينبغي على طالب العلم هو شعوره بالمسؤولية تجاه نفسه، وتجاه غيره وق تحقق هذا في كون العلماء كانوا يأمرون بالمعروف ويأتونه، وينهون عن المنكر، وينتهون منه.

فقد قال أبو عمر بن نجيد: رأيت السراج يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقول يا عباس، غير كذا، اكسر كذا[2].

من هذا المثال وضح لنا تحقيق هذا المبدأ. لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل إنسان وعلى العالم أوجب، ولا يقوم بهذا الواجب إلاَّ من كان عنده وازع داخلي يأمره بتحقيق هذه المسؤولية، ومن هذا الشاهد نستنتج ما يلي:

١. تتعدد الجهات السائلة في الإسلام وهي: الله سبحانه وتعالى، الوازع الداخلي، المجتمع.
٢. أن المسؤولية تقسم إلى:
   أ- جانب تكليف: لأنها استجواب ومحاسبة للإنسان وقول الحق.
   ب- جانب تشريف: لأنها توحي للإنسان بالقوة والإرادة، والجرأة في قول الحق.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ٦، ص (١٦٢).

(٢) المرجع السابق، ج ٣،ص (١٠٩).

وقال الفادغاني: كان محمّد بن جرير لا تأخذه في الله لومة لائم، مع عظيم ما يلحق به من الأذى والشناعات[1].

## ٢- مسؤولية مؤسسات التعليم

وهذه المؤسسات كالمدارس، والمساجد، والحلقات وغيرها.

لقد ظهر في كتاب الطبقات العديد من المؤسسات التعليمية، ومصادر التعليم عند الشافعية على اختلاف أزمنتهم/ ولاحظنا أنها قامت بمهمة كبيرة في تحمّل المسؤوليّة لإعداد جيل السلف الصالح، والشواهد الدّالة على ذلك كثيرة.

---

(1) طبقات الشافعية، ج ٣، ص (١٢٤).

تتوجّه أساليب التدريس هذه نحو العلم بالدّرجة الأولى على حساب دور المتعلّم مع بقاء لغة الخطاب والتعامل مع المتعلمين في الموقف الصفي باعتبارهم كلّاً واحداً لهم خصائص جسمانية وعقلانية واحتياجات متقاربة أو متكاثلة.

وقد برز أثر المعلم في اللّقاءات التي جمعت بين العلماء والمتعلمين. روى السبكي مجموعة من هذه الأساليب، تكتفي بإيراد بعضها.

### ١. المناظرة:

حرص العلماء على أن يجتمعوا فيتناظروا لما لذلك من الأثر الطيب في جمع المادة التعليمية وترتيبها وأخذ ما يراه المعلم مناسباً.

والمناظرة قد تكون مناسبة لبعض المواقف التعليمية وبخاصة حين اجتمع عدد كبير من المتعلمين أصحاب الاهتمامات المشتركة لتلقي كم كبير من الخبرات والمعارف في وقت محدّد.

وقد روى السبكي أنّ هذا الأسلوب قد اتبعه كثير من العلماء منهم والده وابن داود الكناني يقول: "أن ابن داود الكناني أفتى وناظر وأفاد، وجرت مناظرة بينه وبين الشيخ الأمام الوالد .. رحمه الله في حد الورع، لا يحضرني منها إلا انه ادعى ان الورع ترك الشبهة وانّ الشيخ الإمام الوالد قال: "الورع مراتب أدناها، اجتناب الكبائر"[1].

وقد كان أسلوب المناظرة لا يخرجهم عن الأدب والاحترام، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما ناظرت أحداً فأحببت ان يخطئ"[2] وقد كان الإمام أحمد بن ملّي

[1] طبقات الشافعية، ج ٩، ص (٤٨).

[2] المرجع السابق، ج ١٠، ص (٣٤٠).

إذا حضر عند احد درساً سكت إلى أن يفرغ ذلك المدرس، ويقول ما عنده مما بينه مبدأ ابـن ملّـي ويقول: "ذكر مولانا كيت كيت"، ويذكر جميع ما ذكره ثم يأخذ في الاعتراض والبحث"[1].

وقـد بيّن الامام الشافعي رحمه الله صفات المناظر الناجح، والقادر على تحقيق أهدافـه، يقـول الـربيع: قلت للشافعي: "من اقدر الناس على المناظرة؟ فقال: "من عود لسانه على الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ"[2].

ومما سبق نرى ان نجاح المناظرة بشروط لا بُدَّ منها، وهي:

**أولاً:** أن يكون موضوع المناظرة مناسباً لاهتمامات المستمعين، مُلبيّاً لاحتياجاتهم.

**ثانياً:** ان يجمـع المناظـر بـين المنهج العلمي العقلاني، والمنهج العاطفي الذي يستثير العواطـف ويُحـرّكها فيلقـى بـذلك قـبولاً وإصغاءً من المستمعين. ومن قول الـشافعي نستكـشف مـدى الأدب والخُلُـقُ الذي كان يتحلّى به مما يؤدي إلى وجود العاطفة بينه وبين المستمع وبالتالي نجاح التأثير فيه.

**ثالثاً:** يُهـيءَ الحاضر نفسه تهيئة جيّدة بدراسة موضوع المناظرة، والتعمق فيه ومحاولة توفير الإجابات عن الأسئلة المحتملة فيما لو انتهى المناظر من مناظرته أتيحت الفرصة للطرف الآخر في البحث والاعتراض.

**رابعاً:** يحـاول المناظـر كـسب ثقـة المـستمعين وتجـنّب المقاطعـة الحـديث أكان ذلك بالصوت أو الهيئة.

ومـا أورده الـسبكي في هـذا المجـال قـول ابـن خـزيمة: "سمعت يوسف وذكر الشافعي فقال: كان يناظر الرجل حتى يقطعه ثم يقول لمناظره: تقل أنت ألان بقولي، واتقلّد قولك، فيتقلّد المناظر قوله، ويتقلّد الشافعي قول المناظر، فلا

[1] طبقات الشافعية، ج ١٠، ص (٣٠٧).

[2] المرجع السابق، ج ٢، ص (١٣٤).

يزال ينتظره حتى يقطعه وكان لا يأخذ شيء الا تقول: هذه صناعته"[1].

**خامساً:** ترتيب المعلومات بطريقه منطقية عقلانية، بحيث يسهل الانتقال من فقرة إلى أخرى بسهولة ويسر.

ولهذا الأسلوب فوائد جمّة أخرى نذكر منها:

١- اكتشاف الإبداع والقوة عند المعلّم، وفهم وجهات النظر عند الآخرين.

٢- اكتشاف قوّة الشخصيّة وزرع الثقة بالنفس.

٣- الحصول على الحقائق بموضوعيّة وأسلوب صحيح، بعيد عن الهوى والمصالح الشخصيّة.

## ٢. الحوار:

فالحوار يعني تبادل الأفكار والآراء بين طرفين بصورة منظمة وموضوعيّة على أساس الاحترام المتبادل بينهما.

ومما أورده السبكي في ترجمة الشيخ أبي تراب النخشبي في إثبات الكرامات بعد ذكره جملة منها قوله: "فإنّ سريج مثلها فلما انتهى إلى مسألة إمامه الألثغ استحي ان يقول لابن سريج: هل يصح إمامتك؟ فقال: هل تصح إمامتي؟ فقال له ابن سريج: نعم وإمامتي أيضاً"[2].

والحوار هنا لا يعني سؤالاً وجواباً، بل تبادل للآراء والأفكار دون أن يمنع ذلك من طرح الأسئلة في ثنايا الحوار.

ولقد ظهر أسلوب الحوار في منهج القرآن الكريم والسنّة الطاهرة وسيرة السّلف الصّالح باعتباره منهاجاً عاماً للإقناع وإقامة الدليل وكشف الغموض.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ٢، ص (١٧٥).

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص (٤٧١).

ومـن هـنا فإننا لا نقبل الرأي القائل بأن هدف الحوار إخراج المرء من الحيرة، بل هو تبادل أفكار وخبرات تحت شعار الموضوعيّة والاحترام المتبادل.

## ٣. السّؤال:

يُعَـدّ الـسؤال طلـباً يـوجهه شـخص أو أشـخاص إلى إطـراف آخرين غيرهم ليجيبوهم باللسان أو الكتابة.

استخدم العلمـاء مـثيرات مـتفاوتة في جاذبيـتها ومجالاتهـا وآثارهـا تقـود إلى استجابات المتعلمين، ومن هذه المؤثرات: السؤال.

ومـا روى الـسبكي في هـذا المجال في تـرجمة محمـد بـن أبي القاضي أنه قال: "حـضرت مجلـس أبـي إسـحاق المروزي فقال: قال لنا القاضي أبي العباس بن سريج: بأي شيء يتخرج المرء في التعلم؟ فأعيا أصحابنا الجواب، فقلت: إنا، بتفكره في الفائدة التي تجري في المجلس، فقال: أصبت، بهذا يتخرج المتعلّم"[1].

ومـنه ما روي في ترجمة ابن خزيمة انه سئل يوماً: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قـال رسـول الله ﷺ "مـاء زمـزم لما شرب له" واني لما شربت ماء زمزم سالت الله علماً نافعاً"[2].

ولهذا الأسلوب جملة من الفوائد:

**أولاً:** يُقَدِّم خبرة مثيرة لتفكير المتعلّم، لأنه يضعه في موقف يضطرّه إلى التفكير.

**ثانياً:** يـساعد المـتعلّم علـى ربـط الخـبرة السّابقة بهذه الخبرة الجديدة التي تم التوصّل إليها.

**ثالثاً:** يساعد على كشف مواطن القوة والضعف عند المتعلم.

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٢، ص (٣٣٣).

[2] المصدر السابق، ج ٣، ص (١٦٦).

## ٤. التّكرار:

استخدم العلماء أسلوب التكرار في دروسهم، وذلك لما له من أهمية في ترصيص المعلومات والمادة العلمية في الأذهان وقد أشار القفال في فتاويه إلى هذا الأسلوب فقال: "كان الربيع بطيء الفهم فكرّر الشافعي عليه مسالة واحدة أربعين مرّة فلم يفهم وقام من المجلس حياءً فدعاه الشافعي في خلوة، وكرّر عليه حتى فهم، وكانت الرّحلة في كتب الشافعي إليه من الآفاق نحو مائتي رجل وقد كاشفه الشافعي بذلك حيث يقول له فيما روى عنه: "أنت رواية كتبي"[1].

وورد أن الإمام الهراسي قال فيه عبدالغافر: "... كان يعيد الدروس على الجماعة حتى تخرجوا به، وكان مواظباً على الإفادة والاشتغال".

ويُعَدّ هذا الأسلوب من الأساليب المهمة في ترسيخ المعلومة في العقول نظراً لتفاوت القدرات العقلية عند المتعلمين، واختلاف مستويات الذكاء عندهم، فمن المتعلمين من يستوعب بسرعة ومنهم من هو بطيء الفهم ويحتاج إلى تكرار المعلومة لتستقر في عقله.

## ٥. المذاكرة والسماع:

استخدم العلماء هذا الأسلوب في تعليم تلامذتهم، وذلك نظراً لان المنهاج والمادة العلمية كانت في الغالب هي القرآن الكريم والسنة النبوية ومسائل الفقه، وقد أورد ابن السبكي كثيراً من هذا القبيل الذي يدل على كثرة استخدامهم لأسلوب المذاكرة والقراءة على الشيخ والسّماع منه.

وقال زكريّا السّاجي: سمعت الزعفراني يقول: قدم علينا الشافعي، فاجتمعنا إليه فقال: التمسوا من يقرأ لم، فلم يجتر أحدٌ ان يقرأ عليه غيري، وكنت احدث القوم

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٢، ص (١٣٤).

سناً، ما كان في وجهي شعرة، وإني لأتعجب من جارتي يومئذ، فقرأة عليه الكتب كلها إلا كتابين فإنه قرأهما علينا: كتاب المناسك وكتاب الصلاة[1].

وقال ابن خلاد مبيناً مذاكرة العلماء للعلم وقفت امرأة على مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة وخلف بن سالم في جماعة يتذاكرون الحديث، فسمعتهم يقولون: قال رسول الله -ﷺ- ورواه فلان، وما حدّث به غير فلان[2].

وهذا هو الإمام أبو المظفر الخوافي تفقه على إمام الحرمين واخصاء طلابه يذاكره في ليله ونهاره.. [3]، ثم يذكر ابن السبكي أتباعه لهذا الأسلوب في تعلمه يقول: أخبرنا الوالد -رحمه الله- قراءة عليه، وأنا اسمع اخبرنا شيخنا أبو الحسن بقراءتي عليه عوداً على بدء ابو العياس[4].

## ٦. الترغيب والترهيب:

تقوم التربية الإسلامية على أسلوب التوازن بين أسلوب التحبب والإغراء، وأسلوب التهديد والوعيد في العمليّة التعليمية، لما لها من عميق الأثر في تحجيم السلوكيات غير المرغوب فيها وإطفائها، وتعزيز السلوك المرغوب فيها والحث عليه ونرى في ما أورده السّبكي دلالة على ذلك في ترجمة أحمد بن حنبل عن والده انه قال مرّة لبعض الأمراء وقد رأى عليه طرزاً من ذهب عريضاً على قباء حرير: يا أمير، اليس في ثياب الصّوف ما هو أحسن من هذا الحرير؟ أليس في السكندرية ما هو اظرف من هذا الطرز؟ أي لذة لك في لبس الحرير والذهب؟ وعلى أي شيء يدخل المرء جهنمّ؟ وعذله في ذلك، حتى قال له ذلك الأمير: اشهد عليّ أنيّ لا البس بعدها حريراً ولا طرزاً، وقد تركت ذلك لله على يديك[5].

---

(1) طبقات الشافعية، ج ١٠، ص (٣٠٧).
(2) المرجع السابق، ج ٢، ص (١١٥).
(3) المرجع السابق، ج ٢، ص (٧٥).
(4) المرجع السابق، ج ١٠، ص (٣٤٥).
(5) المرجع السابق، ج ١، ص (٢٢٠).

من ذلك نرى كيف عمل والد أحمد بن حنبل على إطفاء هذا السلوك بأسلوب الترهيب.

فلبس الحرير حرام وقع به الأمراء فبادر والد أحمد بن حنبل إلى تهذيب هذا السلوك، فبلغ هذا الكلام أثراً طيّباً، غيرّ من هذا السلوك.

أمّا ما جاء في أسلوب الترغيب، منه قول السبكي في الترغيب بالنظر إلى كتاب: "وسترى فيه من الفوائد ما لا يوجد في مجموع، ومن الفوائد ما يطرب منه المسموع، ومن الزوائد ما هو فوق الفرقد موضوع"[1].

وكلام السبكي هذا عن كتابه في باب الترغيب في الإقبال عليه وقراءته، فهذه وسيلة ترغيبية نافعة دافعة للمتعلّم في الإقبال على هذا الكتاب والتعرّف على هذه الفضائل، واكتشاف هذه المدائح.

ولنجاح هذا الأسلوب لا بدّ من:

**أولاً:** اعتماد الترغيب والترهيب على أسلوب الإقناع.

**ثانياً:** اعتماد هذا الأسلوب على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الرّبّانيّة، كعاطفة الخوف من الله، وعاطفة حب الله سبحانه وتعالى.

**ثالثاً:** لا بُدّ لهذا الأسلوب من ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينهما لضمان نجاح هذا الأثر، فلا يجوز أن يطغى جانب على أخر.

## ٧. الإملاء والاستملاء:

اتبع العلماء أسلوب الإملاء للطلبة العلم في بعض العلم وذلك من أجل تقييد العلم وتدوينه وحفظه من الضياع. فالعلم صيد لا بد من إحكام القبضة عليه. فقد جاء أنّ طلبة العلم كانوا يأتون ويطلبون من أساتذتهم استملاء بعض العلوم، قال

---

[1] طبقات الشافعية، ج ١، ص (٢٢٠).

الربيع: كان ابن هرم يلزم الشافعي فقال له: يا أبا عبدالله، تملي علينا السنن التي صحت عن رسول الله -ﷺ-؟ فقال الشافعي: ألسنن التي صحت قليلة هذا أبو بكر لا يصح له تسع أحاديث وعمر لا يصح له خمسون حديثاً وعثمان فأقل، وعلي مع ما كان يحض الناس على الأخذ عنه لا يصح له أحاديث كثيرة، والصحيح عند أهل المعرفة قليل[1].

## ٨. التمثيل:

كان استخدام هذا الأسلوب شائعاً عند العلماء لماله من طيّب الأثر في تقريب المعنى في النفس.

ومن ذلك ما أورده السبكي عن الإمام طاهر بن محمد الأنصاري قال الشيخ أبو الطاهر مرّة في الدرس في باب الهبة:

ألا انه ليستحب لمن وهب لأولاده ان يسوي بينهم، ثمّ اخذ يمثل بابني السطحي، وهما إخوان طالبان في الدرس فقال: كما لو وهب والد هذين لأحدهما دواة وترك الأخر، فقال: احدهما والله يا سيدنا هكذا اتفق[2].

هذه القصة قربت المعنى من نفس المتعلّم، ولتربى في من عقل المتعلم طريقة التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم، ويعمل هذا الأسلوب على استقرار هذا والمعلومة وثباتها في عقل المتعلّم.

## ٩. التقويم:

وتعني به عملية منهجية تتضمن جمع المعلومات الكمّية والكيفية عن ظاهرة معينة، ثم استخدام هذه المعلومات في إصدار حكم عليها في ضوء معايير معينة.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ١، ص (٨١).

(٢) المرجع السابق،ج ٨، ص (٥٤).

لم يكن لتقويم المعلمين في القرون الأولى مجال متخصص كما هو في زماننا وإنما كـان يجري على أساس امتحان أو سؤال يوجّه إلى الفقيه، فإن أجابه أو انس من نفسه القـدرة علـى التعلـيم تـصدّى لـه، وقـد تحدّث بين الفترة والأخرى بعض المذاكرات والمناظـرات بـين العلـمـ مما يبـيّن مكانـتهم ويظهـر فيها علمهم ومعرفتهم، فقد ذكر السبكي في ترجمته للإمام أحمد بن حنبل: أنه كان ينصرف هو ووكيع إذا كانت العتمة، فـيقف علـى الباب فيذاكره، فأخذ وكيع بعضادتي الباب ثم قال يا أبا عبدالله أريد ان القـي علـيك حـديث سفيان، قال: هات، قال: تحفظ عن سفيان، عن سلمة عن كهيل كـذا؟ قـال: نعـم، حدّثـنا يحيـى، فـيقول سـلمه: كذا وكذا فيقول: حدثنا عبدالرحمن، فيقول: وعن سلمه كذا وكذا، فيقول: أنت حدثتنا حتى يفرغ من سلمة.

ثـم يقـول احمـد: فـتحفظ عن سلمه كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا، ثم يأخذ في الحـديث شـيخ قال: ثم فلم يزل قائماً حتى جاءت الجارية، فقالت: قد طلع الكوكب، أو قالت الزهرة[1].

ومـن الأمـثلة علـى التقويم نقد المعلم أو نقد كتابه إمام الحضور من الطلاب والعلمـاء حتـى يستطيعوا التمييز بين ما يصح قراءته وما لا يصح، ويذكر يقول العالم هـذا الـرأي أو هـذا الكـتاب ويعطـي الحكم عليه مما يترتب عليه إقبال المتعلمين عليه والاسـتفادة منه أو الإعراض عنه وتركه، ومنه ما ذكر في ترجمة أبي ثور فيما رواه عن الـشافعي انه كان في مجلس وفيه محمد بن الحسن وجماعة عن بني هاشـم ممن ينظرون في العلـم، فقال: محمد بن الحسن: قد وضعت كتاباً لو علمت ان أحدا يرد علي منه شيئاً لأتيـته، قـال: فقلت له: قد نظرت في كتابك هذا. فإذا ما بعد البسملة خطأ كله! قال: وما ذاك؟ قلت له: قال أهل المدينة كذا فإذا أردت كلهم فخطأ، لأنهم لم يتفقوا على ما

---

[1] طبقات الشافعية، ج ٢، ص (٢٨).

قلت، وان أردت مالكاً وحده فاظهر في الخطأ إذ ليس هو كل أهل المدن، وقد كان من علماء المدينة في زمنه من يشتد نكيره عليه، فأي الأمرين قصدت فقد أخطات[1].

وقد حرص العلماء على تقويم من ينتسب للعلم حتى يستطيعوا من خلاله ان يحكموا بصحة علم من يدعي العلم والدراية قال: "حضرت مجلس أبي إسحاق المروزي، فسمعته يقول: قال لنا القاضي أبو العباس بن سريج: بأي شيء يتخرّج المرء في التعلّيم؟ فاعيا أصحابنا الجواب، فقلت إنا: بتفكره في الفائدة التي تجري في المجلس. فقال: أصبت، بهذا يتخرّج المتعلم.."[2].

وقال ابن عدي: سمعت عدّة مشايخ يحكون ان البخاري قدم بغداد، فاجتمع علماء الحديث، فعمدوا إلى مئة حديث، فقبلوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لهذا ... فعمل الإمام البخاري على تريبها ورد كل متن إلى إسناده، فاقر له الناس بالحفظ[3].

ومن ذلك نستنتج أنه لا بدّ للتقويم من ثلاث خصائص عامة في أداة التقويم التربوي حتى تعطي احكاماً جيدة:

١- الموضوعيّة: بحيث لا يتأثر هذا التقويم بذاتية الممتحن.
٢- الصدق: ويقصد به درجة ارتباط التقويم بأغراضه ويكون التقويم صادقاً في قياس هدف معين ويكون هذا الصدق في الشكل والمضمون والنتائج.
٣- الثبات: ويقصد به إعطاء النتائج نفسها في كل مرّة.

ومن خلال ما أورده السبكي تلاحَظْ هذه الأمور الثلاثة متجلّية في جميع المواقف التي عُرضَت للعلماء.

---

(١) طبقات الشافعية، ج ٢، ص (٢٨).
(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص (١٦٦).
(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص (٢٨).

ولكن ما هي الآثار التربوية لهذا الأسلوب؟

- استكشاف القدرات والاستعدادات الكامنة لدى المتعلمين.
- التعرف على البنية الثقافية لدى المتعلمين.
- تحديد مواطن القوى والضعف لدى العالم والمتعلّم.
- تصحيح المفهومات المغلوطة، وتصويب الأخطاء.

# الطّبقات السّنيّة في تراجم الحنفيّة
## تقي الدّين بن عبدالقادر التّميمي الدّاري الغَزّي

تحقيق
عبدالفتّاح محمّد الحلو

**المؤلف:**

هو تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري الغَزّي المصري الحنفي. ذكر عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين أنّه ولد عام ٩٥٠ وتوفي عام ١٠٠٥ بمصر وذكر أنه توفي عام ١٠١٠.

لم تذكر المصادر شيئاً عن شيوخه ولا تلاميذه وأحواله الاجتماعية الا أنّه كان له ولد عاق يسمى حسنا قال فيه:

حسن نونه مُقدَّمَةٌ ... لعن الله من يؤخّرها

عمل تقي الدين بالقضاء في منطقة الجيزة وقد كان عزوفا قبل توليه القضاء زاهداً في الحياة مقبلا على العبادة وقد عبّر عن ضيقه بمنصب القضاء فقال:

أحبابنا نُوب الزّمان كثيرة ... وأمَرّ منها رفعةُ السّفهاء
فمتى يضيق الدّهر في سكراته ... وأرى اليهود بذلّة الفقهاء[1]

وقد كان تقي الدين شاعراً مالكا ناصية البيان ضمّن طبقاته بعض شعره وتميّز تقي الدين بثقافة واسعة لم تقف عند حد الفقه بل أتقن علوم اللغة والتاريخ كما ترك

---

[1] مقدمة المحقق، ص (١٧).

كثيرا من المؤلفات منها "السيف البراق في عنق الولد العاق" ولعله عانى من عقوق ابنه "حسن الذي سبق ذكره وقد اختصر كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي إلى جانب عدد من الكتب، وكانت له علاقة بالكاتب "الشهاب الخفاجي صاحب كتاب "ريحانة الألباب" حيث كانت بينهما مودة وصداقة ومراسلات ومكاتبات.

## الكتاب:

يعتبر كتاب "الطبقات السّنيّة"[1] من أعظم الكتب التي ألفت في تراجم الحنفية لأنه اعتمد فيه على المؤلفات التي سبقته وأخذ مادته منها حيث تأخر علماء الحنفية في تراجم علمائهم التي كانت منثورة في كتب التاريخ والبلدان وطبقات الأدباء واللغويين والفقهاء فكان أول مؤلف في القرن الثامن لعلماء الحنفية كتاب "وفيات الأعيان من مذهب النعمان" ألفه "نجم الدين القرطوسي المتوفى عام ٧٥٨هـ ثم ألف "أبو محمد محي الدين القرشي المتوفي عام ٧٧٥ كتاب "الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية" قال عنه حاجي خليفة في "كشف الظنون" فيه لحن كثير وتصحيف لأنه أول تأليف، والرجل معذور" ويقول عنه "الغزّي تقي الدين" هو صغير بالنسبة لكثرة رجال المذهب وسعة القول فيهم" ثم توالت المؤلفات في تراجم الحنفية وطبقاتهم حتى القرن في الحادي عشر حيث ألف تقي الدين كتاب "الطبقات السّنيّة في تراجم الحنفيّة" يقول عنه حاجي خليفة "ثم جاء تقي الدين بن عبدالقادر المصري، وصنّف في ذلك- أي في طبقات الحنفيّة- كتابا كبيرا جمع فيه تراجم الحنفية فأوعى وأجاد، وهو أجل الكتب المؤلّفة من تراجم أهل الرأي. أدرج فيه رجال الشّقائق ومن بعده إلى زمانه"[2] وقد بلغ من ترجم لهم ٢٥٢٣ رجلاً.

---

[1] مقدمة الكتاب، ص ١٢.

[2] كشف الظنون، ج ٢، ص (١٠٩٨).

وقد شهد له عدد من العلماء حيث قرّظه بعضهم شعر ونثراء مثل قول شيخ الإسلام زكريا بن بيرام:

| | |
|---|---|
| هذا كتاب فاق في أقرانه | يسبي العقول بكشفه وبيانه |
| سفر جليل عبقري فاخر | سحر حلال جاء من سحبانه |
| أوراقه أشجار روض زاهر | قد تجتنى الثمرات من أمنانه |
| لله در مؤلف فاق الورى | بفرائد فغدا فريد زمانه |
| فجزاه رب العالمين بلطفه | طبقات عز في فسيح جنانه[1] |

وعن سبب تأليفه للكتاب يقول: "خطر في خلدي أن أجمع كتابا مفردا جامعا لتراجم السادة الحنفية مستوفيا لأخبارهم وفضائلهم ومناقبهم، وذكر مؤلفاتهم ومصنفاتهم ومناقبهم، ومحاسن أشعارهم، ونوادر أخبارهم، وغير ذلك بسب الطاقة ونهاية القدرة، وإلا فهم ممن لا يمكن حصره، ولا يطمع في الإحاطة به ولا في الوصول إليه.

فانتخبت ذلك من الكتب المعتبرة التي يرجع في النقل إليها. ويعول في الرواية عليها"[2].

ثم يذكر المؤلف المصادر التي اعتمد عليها مثل كتاب "تاريخ الخطيب البغدادي" "وفيات الأعيان" "تاريخ ابن كثير" "وطبقات اللغويين والنحاة" لجلال الدين السيوطي "والجواهر المضيّة في طبقات الحنفية" للقرشي وقد عدد مجموعة كبيرة من هذه المصادر الجامعة في كل علم وفن وليس في التراجم فحسب من أشهرها "تاريخ الإسلام" للذهبي "ومعجم البلدان" لياقوت الحموي، "ويتيمة الدهر" للثعالبي "والوافي بالوفيات" للصفدي وغير ذلك.

---

(1) مقدمة المحقق، ص (١٥).

(2) مقدمة الكتاب، ص (٥).

## المنهج:

١- جعل المؤلف كتابه مكونا من مقدمة يبين فيها مصطلحاته وما يتعلق بفن التاريخ والتراجم "صَدرت الكتاب بمقدمة تشمل على بيان من ألّفته باسمه، وعملته برسمه، وعلى فوائد مهمّة تتعلق بفن التاريخ، لا يسع المؤرخ جعلها، وعلى بيان ما اصطلحت عليه من هذا الكتاب"[1].

٢- أما من ألف باسمه الكتاب فهو "السلطان مرادخان" مبينا سبب ذلك كان يقرّب أهل العلم ويأويهم ويحسن إليهم ويقدرهم ويعفو عن المسيء منهم وقد دفع الناس إلى أن يقبلوا على طلب العلم بالتأليف والتصنيف فأراد أن يكون واحدا منهم. وهو يمدح السلطان بقصيدة من شعره الجيّد. مطلعها:

**دانت لهيبتك الأيام والأمم — وقد أطاعك فيها السيف والقلم**
**هو المراد الذي ربّ العباد قضى — في عالم الدر أن يحيى به العدم**
**وأن تعود به الدنيا كما بدئت — علما وعدلا وجودا دونه الديم**
**أما ترى العلم ينمو كل آوانه — والجهل يزداد نقصا ليس ينكتم**

٣- يكتب فصلا تمهيدا عن أساسيات كتابة التاريخ وكيف كان العرب يكتبون تاريخهم ويحقّق كلمة تاريخ ذاكرا أنّ العرب تقول: أرّخت وورّخت فيقلبون الهمزة واوا، وأنّ القاعدة أن يؤرخوا بالليالي دون الأيام لأنّ الهلال إنّما يرى ليلا، كما يكتب فصلاً عن كيفية كتابة التاريخ ثم بيان معنى القلم والكنية واللّقب وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة على اختلافها المتنوع وهذه منهجية جديدة في كتب التّراث أخذ بها في البحث العلمي الآن وهو تحديد المفاهيم

---

[1] مقدمة الكتاب، ص (٧).

المصطلحية قبل الدخول في الموضوع، ثم يذكر باب في تعريف التاريخ وبين معناه وفضيلته وأدب المؤرخين حيث يشترط في المؤرخ ما نقله عن والده فيقول: "يشترط في المؤرخ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى والا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك وأن يسمى المنقول عنه فهذه شروط أربعة فيما ينقله"[1].

ثم يشترط على المؤرخ شروطاً أخرى منها:

١- أن يكون عارفا بحال من يترجم له -علما ودينا وغير ذلك.

٢- أن يكون حسن العبارة عارفا بدلالات الألفاظ.

٣- أن يكون حسن التصوّر حتى يحسن تصور حال من يترجم له كلها ويعبر عنه بدقة.

٤- أن لا يغلبه الهوى فيمدح كثيرا إذا أحب ويقصر في غير ذلك فلا بّد أن يتجرّد من الهوى وهو عزيز جداً كما يقول فيكون عنده من العدل ما يقهر هواه.

٥- يأخذ نظام الطبقات أو مفهوم الطبقات من رسالة العلامة أحمد بن سلمان بن كمال باشا ويقول فيها إن الفقهاء على سبع طبقات:

١. المجتهدين في الشرع كالأئمة الأربعة -رضي الله عنهم- ومن سلك مسلكهم.

٢. المجتهدين في المذهب كأبي يوسف مثلا من أصحاب أبي حنيفة.

٣. المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب.

٤. أصحاب التخريج من المقلدين كالرازي وأمثاله.

٥. أصحاب الترجيح من المقلدين الذين يرجحون رواية عن أخرى[2].

---

[1] المقدمة، ص (٣٥-٣٦).

[2] المصدر السابق، ص (٣٥).

٦. المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوي.والضعيف وظاهر المذهب إلخ[1].

٧. المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر ولا يفرقون بين الغثّ والسّمين.

٤- رتب المؤلف كتابه على حروف المعجم ابتدأ بمن أوّل اسمه همزة وثانيه همزة ثم ما أول اسمه همزة وثانيه ألف ساكنة ثم همزة وباء موحّدة ثم التاء والتاء الخ. ثم يبدأ بمن أول اسمه باء وثانيه همزه ويسير بالترتيب السابق. ثم يذكر في آخر الكتاب أصحاب الكنى جميعا في حرف الهمزة يقدّم من لم يعرف له اسم سوى الكنية ومن له اسم واشتهر بكنيته ويرتبها ترتيب الأسماء كأبي ابراهيم يقدم على أبي أحمد وابن داود على أبي ذر.

ثم يذكر في آخر الكتاب بابا للألقاب وبابا فيمن اشتهر بابن فلان وبابا في الأنساب يقدّم فيها جميعا من اشتهر بلقبه ثم من اشتهر بأبيه ولم يعرف له اسم. أما في الأنساب فيقدّم من لا يعرف إلاّ بالنسبة ولم يذكر له ترجمة في الكتاب.

٥- بدأ بترجمة سيرة رسول الله ﷺ لأنه أظهر الدين وفضله في البشر جميعا لأنّه كما قال صاحب البردة:

وكلّهم من رسول الله ملتمس    غرفا من البحر أو رشفا من الدّيم

فكان البدء به تشريفاً للكتاب.

ثم تلاه بترجمة الإمام الأعظم والحبر البحر المكرّم وقدوة الأئمة أبي حنيفة النعمان –رضي الله عنه– الذي اغترف الناس من بحر علمه واعتمدوا عليه وقلّدوه.

---

[1] مقدمة المحقق، ص (٤١-٤٢).

٦- يذكر في بعض التراجم محاسن الأشعار والنوادر والأخبار اللافته وأحيانا أوصاف البلدان وما قيل فيها شعرا وخبرا وآثارا حتى يكون القارئ متنزها في رياض الآداب حتى لا يمل ولا يضجر[1].

[1] الطبقات السنية، ص (٤٦-٤٩).

## ١. الاعتزاز بالعلم ومكانة العالم:

نجد نماذج كثيرة من مدرسة أبي حنيفة ينطبق عليهم الجانب الحسن من توفير تلاميذهم وحسن سياستهم مثال ذلك حال إبراهيم بن رستم المروزي، الذي أتاه ذو الرياستين إلى منزله ليسلم عليه، فلم يتحرك له ولا فرّق أصحابه، فقال له رجل متكلم: "عجباً لك يأتيك وزير الخليفة فلا تقوم له من أجل هؤلاء الدباغين عندك فقال رجل من هؤلاء المتفقهة: نحن من دبّاغي الدّين الذي رفع إبراهيم بن رستم حتى جاءه وزير الخليفة"[١]، فسكت المتكل. كانت أخلاق جملة من علماء مذهب أبي حنيفة، حيث عم وصفهم بالبشاشة وحسن الخلق وسهولة المعاملة وحب طلبة العلم"[٢]. مثل "وكان حسن الأخلاق قليل الكلام صبوراً على الأذى محبا للطلبة خصوصا الفقراء" ومن ترجمة إبراهيم بن عمر "كان جامعا بين فضيلتي العلم والعمل وكان متواضعا سهل الأخلاق كثير البشاشة مسموع القول له قبول عظيم عند الخاص والعام"[٣].

## ٢. الكفاءة العلمية لولاية الوظائف:

وهذه مشكلة قديمة متجددة، تظهر خطورتها إذا ما أعطي طالب العلم مبتغاه من وظيفة أو مكافأة لم يكن أهلاً لها، حيث ينطوي ذلك على ظلم العلماء الأكفاء الذين لا يتكالبون على الدنيا، وتضييع حقوق الناس والمجتمع في كمال المنفعة التي تراد من ذلك العمل وتكل الوظيفة، وقد حذر أبو حنيفة تلاميذه

(١) الطبقات السنية، ١/ ٢٢٥-٢٢٦.
(٢) المرجع نفسه، ١/ ٢٦٤، ترجمة إبراهيم بن عون،
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

من قبول منصب لا يعلم احدهم كفاءته له فقال: "وإذا ولاك السلطان عملاً فلا تقبل ذلك منه إلا بعد أن تعلم أنه إنما يوليك ذلك لعلمك"[1]، وفي المقابل نجد من طلب تكريمه لعلم لم يكن أهلاً له، فقد روى في سيرة المأمون أنه: "تقدم إليه رجل غريب، بيده محبرة وقال: يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به السبيل، فقال: ما تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر شيئاً، قيل: فما زال المأمون يقول حدثنا هشيم وحدثنا يحيى وحدثنا حجاج حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر منه شيئاً، قيل: فقال المأمون حدثنا فلان وحدثنا فلان..... إلى أن قال لأصحابه: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث! أعطوه ثلاثة دراهم"[2].

وتظهر خطورة الاستماع إلى غير الكفء والاعتداد بقوله فيما نقله المؤرخون من بينّ المعتصم قول ابن أبي داود في خلق القرآن، "ومع كونه "ابن المعتصم" لا يدري شيئاً من العلم، حمل الناس على القول بخلق القرآن، قال ابن السبكي لأن أخاه المأمون أوصى إليه بذلك وانضم إلى ذلك القاضي أحمد بن أبي داود وأمثاله من فقهاء السوء، وإنما يتلق السلاطين فسقه الفقهاء فإن الفقهاء ما بين صالح وطالح. فالصالح غالباً لا يتردد إلى أبواب الملوك والطالح غالباً يترامى عليهم ثم لا يسعه إلا أن يجري معهم على أهوائهم ويهون عليهم العظائم، ولَهُوَ على الناس شرّ من ألف شيطان كما أن صالح الفقهاء خير من ألف عابد. ولولا اجتماع فقهاء السوء على المعتصم لنجّاه الله مما فرط منه، ولو كان الذين عنده من الفقهاء على حق، لأرَوْه الحقَ أبلج واضحاً ولأبعدوه عن

---

[1] الطبقات السنية، ١/ ١٨٨.

[2] المرجع نفسه، ١/ ٣٤٦-٣٤٧.

ضرب مثل الإمام أحمد[1] وهذا يدل على خطورة المتفقه أو المتعلم الذي يدعي العلم.

### ٣. تجنب الغضب في حلقة العلم:

هذه أيضاً مشكلة قديمة متجددة تحرم العلم هيبته وقيمته في ذلك المجلس، وتحرم المتعلمين المنفعة والاستزادة، وتمس قيمة المعلم ونظرة طلابه إليه، فإن كانت من المتعلم أخرجته على حدود لا تحترم لتجاوزه الأدب، وأفقدته الانتفاع ببركة مجلس العلم وفضيلة المعلم.

من أجل ذلك وخلافه مما يعلمه أبو حنيفة ويقصد إليه، نجده يقول- رحمه الله- موصياً تلميذه أبا يوسف: "وإياك والغضب في مجلس العلم ولا تقصّ على العامّة فإن القاص لا بد أن يكذب"[2].

### ٤. حسن اختيار مادة التخصص:

فمما يعيق المتعلم الاضطرار إلى دراسة العلوم التي لا يرغبها، وهذا يكون من تحول لأنها دون تفوقه أو حسن انتفاعه بعلمه وانتفاع العلم به، فهذا أبو بكر المروزي على قدره في الفقه، لم يفلح ابتداء عند تعلمه الحديث، فقد تعلم الحديث وحفظه قبل الفقه، ونقم عليه من أحاديث رواها، فانطلق على محمد ابن الحسن فتعلم عليه وكتب كتبه وحفظ كلامه، وصار ذا مكانة في الفقه حتى اختلف إليه الناس وعرض عليه القضاء فلم يقبله، وقد مضت قصته مع ذي الرياستين وتوقيره طلاب مجلسه[3]، بينما نجد من أصحاب الحديث ومن علماء

---

(1) الطبقات السنية، ١/ ٣٥٠.

(2) المرجع نفسه، ١/ ١٩٣.

(3) المرجع نفسه، ١/ ٢٢٥.

الرجال من قال عنه: منكر الحديث[1]، مثله في ذلك مثل إبراهيم بن الحسين أبو إسحاق السمرقندي الدقاق الذي قال فيه بعض أهل العلم: "لم يكن يعلم رسوم الحديث والرواية رأيته يحدث بكتابه أبي عيسى الترمذي عن أبي علي الحافظ من أصل لم يكن فيه سماع"[2].

## ٥. مطابقة العمل للعلم:

كان مما امتدح به صاحب الطبقات عدد من تلاميذ مدرسة الحنفية بقوله: "عالماً عاملاً، من العلماء العاملين ...."[3]. وقد ذمّوا من لا خير فيه علماً وعملاً.

ومن غرائب ترجمات أصحاب أبي حنيفة، أن تجد منهم من قيل فيه: وكان يعامل الرعايا بكل حيلة يعرفها- وكان قد تولى القضاء- وكل خديعة يقدر عليها، وتوصل بذلك إلى أخذ أموالهم ....... ومدة عمره ما رؤي ولا سمع أنه تصدق على فقير بكسرة ولا درهم نقره، ولا أضاف غريباً ولا وصل قريباً..... وأما الكتب النّفيسة فإن عنده منها ما ينوف على أربعين ألف مجلد وأكثر من كتب الأوقاف، وضع يده عليها، ومنع أهل العلم من النظر إليها، وطالت الأيام ونسيت عنده ..."[4].

## ٦. تعريب النافع من العلوم:

من أخطر الفتن التي ابتليت بها دولة المسلمين عموماً وابتلى بها علماؤها مثل ما ترتب على نقل المأمون ثقافة الأمم السابقة، فعني بتعريب الفلسفة وعلوم

---

(١) الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، ١/ ٨١.

(٢) المرج السابق، ١/ ٧٨.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٢٠٦-٢٠٧، ٢٥٠، ٢٥٧، وانظر ترجمة إبراهيم بن ميمون المروزي في الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، ١/ ١١٣-١١٤، الطبقات السنية ١/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٤) انظر الطبقات السنية، ١/ ٣٦٨، باختصار.

الأوائل وتعلمها بعلاتها، مما جرَه فيما بعد إلى الوقوع في القول بخلق القرآن[1]، وقد كان أبو حنيفة -رحمه الله- يعيب على من تعلم علم الكلام من المسلمين يقول: لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس باباً إلى علم الكلام[2]، وما ذلك إلاّ لعلمه بقلة الفائدة التي يؤديها ذلك للمسلمين، فكيف بمن يفتح أبواباً لعلوم يعظم خطرها، ويقدمها لأبناء الأمة بعلاتها، ثم يتركهم يغرقون في خضمَها.

### ٧. البعد عمّا يقدح في المروءة:

وقد سبق أهل الحديث ببيان فضيلة التزام هذا المبدأ لطالب العلم وللعالم، حتى جعلوه مما يعزز قبول الرواية، وتركوا روايات البعض لشيوع استخفافهم بالصغائر وما شأنه المساس بالمروءة، وقد كان من جملة ما أوصى به أبو حنيفة تلميذه أبو يوسف قوله: "ولا تكثر الخروج إلى الأسواق ..... ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامة، فإنك إن قدَّمتهم أزدُريَ بعلمك، وإن أخّرتهم أزدري بك من حديث أنهم أسنّ منك ....... ولا تقعد في قوارع الطريق، فإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد، ولا تأكل في الأسواق والمساجد، ولا تشرب من السقايات ولا من أيدي السقائين، ولا تقعد على الحوانيت، ولا تلبس الديباج والحليّ وأنواع الإبريسم، فإن ذلك يُفْضي إلى الرعونة[3]، وقال أيضاً: "وإياك والبخل فإنه تنقص به المروءة ولا تك طماعاً ولا كذابا .. ولا تماكس بالحبات والدوانيق ولا تزن الدراهم وحقّر الدنيا المحقرة عن أهل العلم فإن ما عند الله خير منها[4].

---

(1) الطبقات السنية، ١/ ٣٤٦.

(2) المرجع السابق، ١/ ١١٢.

(3) المرجع السابق، ١/ ١٨٥.

(4) المرجع السابق، ١/ ١٩٢.

### ٨. الإنفاق على طلبة العلم:

وقد كان من جملة ما أوصى به أبو حنيفة تلاميذه: "وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم، فإن ما عند الله خير منها، وول أمورك غيرك، ليمكنك الإقبال على العلم فذلك أحفظ لحاجتك"[١]. وقد طبق أبو حنيفة هذا المبدأ على تلاميذه، فصرفهم عن الانشغال بطلب الرزق بكفايتهم ذلك بالإنفاق عليهم حيث اشتهر أنه كان يجمع ارباحه من التجارة كل سنة فيشتري بها حاجات طلبة العلم ويدفع ما تبقى من مال ويقول لهم "أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله فإني ما أعطيتكم من مالي شيئاً ولكن من فضل الله عليَّ فيكم وهذه أرباح بضاعتكم" وروى أنه رأى على بعض جلسائه ثيابا رثّة فأمره فجلس حتى تفرق الناس، وبقي وحده فقال له: ارفع المصلّى وخذ ما تحته فرفع الرجل المصلى وكان تحته ألف درهم فقال له: خذ هذه الدراهم فغيّر بها من حالك[٢].

### ٩. ضعف الهمّة:

مما يجعل الإنسان قانعاً بالقليل من العلم وشرفه، وفي هذا يوصي أبو حنيفة تلاميذه فيقول: "وكن ذا همة، فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته"[٣].

## التعاون على التعلم:

ما كان الفقر يحول بين طالب العلم وبين قصد المعرفة من أصولها، في المجالس والشيوخ والرحلة وفي امتلاك الكتب التي تزود بها، وقد استعان تلاميذ أبي حنيفة على مثل هذا بتبادل الكتب وإعارتها، والتزاور وسماع بعضهم من بعض[٤].

---

(١) الطبقات السنية، ١/ ١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١٢٣.

(٣) المرجع السابق، ١/ ١٩٢.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٤٨٢.

## الحكمة في التعامل مع الحكام:

امتاز جماعة من أصحاب أبي حنيفة يضبط أنفسهم ضمن هذا المنهج، ولا شك أن قدوتهم في ذلك هو الإمام أبو حنيفة نفسه، فقد كان رحمه الله متزناً يحب الاعتدال في الأمور، فلم يكن ممن يسعون لنيل المناصب والرضا، وقد عرفنا كيف جلده ابن هبيرة على رفض توليه القضاء أكثر من مرة، حتى دعاه الخليفة أبو جعفر المنصور وقال له: أترغب عن ما نحن فيه؟ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء، فقال له: كذبت، ثم عرض عليه الثانية، فقال أبو حنيفة: قد حكم عليَّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذباً فلا أصلح، وإن كنت صادقاً فأخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح، فلم يقبل منه وردَه للحبس[1].

في الوجه الآخر من تعامل أبي حنيفة مع الخليفة، نجد أنه يجل أوامره ولا يخرج عنها حتى مع أهله، فمما روي عنه أنه أخطأ ابن أبي هبيرة فشكاه للخليفة، وأصدر الخليفة أمراً بمنعه من الفتيا، بعدها جاءت ابنته تسأله مسألة فردها وقال سلي أخاك فإن أمير المؤمنين منعني من الفتيا[2]. ثم إنه رحمه الله جعل هذا المنهج في وصيته لتلاميذه حيث قال: وإذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتك إياه، فإن يده أقوى من يدك، تقول له: أنا مطيع لك في الذي أنت فيه سلطان ومسلط عليَّ، غير أني أذكر لك من سيرتك ما لا يوافق العلم[3]، وقد تكرر هذا الأدب في سيرة أتباع أبي حنيفة، حتى أعفي بعضهم من منصب القضاء لامتناعه إجابة ولي الأمر في تضييع حق مثل قصة أحمد بن محمد بن سماعة الذي تقلد قضاء الكوفة وكان سبب صرفه أن الموفّق أراد منه أن يدفع إليه أموال الأيتام على سبيل القرض فأبى أن

---

(1) الطبقات السنية، ١/ ١٢١.

(2) المصدر السابق، ١/ ١٣٩.

(3) المصدر السابق، ١/ ١٩٠.

يـدفعها وقـال: لا والله ولا حـبة مـنها[1]، بينما أرجع أحمد بن إسحاق بن البهلول أم الخلـيفة المقـتدر عـن طلـبها الرجوع في مال الوقف، حيث أرادت بيعه وردَ عليها رداً شـديداً وبـيَن لهـا حرمة ذلك وقال الإمام موسى القهرمانة تقولين لام المقتدر السيدة: اتـق الله هذا والله ما لا سبيل إليه أبدا أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم وقال لها: أن مـا تـريده لـن يكـون علـى يديـه وعليهم أن يصرفوه أن ارادوا ذلك ولو عرضوه للقـتل، ثـم سأله الخليفة ذلك فأعاد عليه قوله حتى أنصفه الخليفة في حكمه وقال له: مثلك يا أحمد من قلد القضاء. قم على ما أنت عليه ولا تخف ان ينثلم محلك عندنا[2].

مما سبق نتبين أن مخالفة قرار الحاكم لا تكون غاية لذاتها عند العلماء، كما أنها لا تكون وسيلة لإظهار الذات والعلو بشهرتها، وإنما يكون منهج الاعتدال في التعامل معـه ضـابطاً للـسلوك من الوقوع بأحد اثنين، لهذا وجدنا أبا حنيفة بعدما بيَن الحق في فتواه، امتنع من الخروج على قرار الخليفة بل التزم به إلى أن جاءه الأمر من ولي الأمر بالرجوع للفتيا.

## الانصراف عن الجدل:

الانـصراف عن الجدل إلى ما يحقق المنفعة أكثر منه، وقد كان هذا منهج رسول الله ﷺ ربَى عليه صحابته، حيث كان يحرص على نقلهم من القول إلى الفعل أو إلى ما هـو أكثـر نفعـاً لهـم مما يجادلون فيه، من ذلك حديث الأعرابي الذي جاءه يسأل متى الساعة؟ فقال له رسول الله: ما أعددت لها؟

---

[1] الطبقات السنية، ١/ ٢١١.

[2] المصدر السابق، ١/ ٣١١-٣١٤.

## محاذير تربوية في الكتاب:

١. الحسد: وهذه مشكلة قديمة متجددة في كل العصور، تصرف الناس عن الاعتراف بفضل ذوي الفضل والانتفاع بعلم الآخرين، للبناء عليه بدلاً من بذلك الجهد في استحداثات مثله، ظهر هذا مع الإمام أبي حنيفة نفسه عندما اتهم بأنه لحَان في اللغة، لمجرد كلمة قالها على طريقة الكوفيين في اللغة، عندما سئل هل يوجب القتل بالمثل القود؟ فقال: لا ..... ولو قتله بأبا قبيس[1].

روى تقي الدين الداري عن أبي مطيع البلخي: "أن سفيان الثوري ومقال بن حيان وحماد بن سلمة وغيرهم من فقهاء ذلك العصر اجتمعوا وقالوا: إن النعمان هذا يدَعي الفقه وما عنده إلا القياس، فتعالوا حتى نناظره في ذلك، فإن قال إنه قياس قلنا له: عبدت الشمس بالمقاييس وأول من قاس إبليس لعنه الله حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[2]، فناظرهم أبو حنيفة يوم الجمعة في جامع الكوفة، وعرض عليهم مذهبه ..... فقالوا: إنك سيِّد العلماء، فأعف عنا، فإننا وقعنا فيك من غير تجربة ولا رويَة، فقال لهم أبو حنيفة غفر الله لنا ولكم[3].

٢. **التجني على أهل العلم:**

بعض المتعلمين يفرط في ميله إلى معلمه وطريقته، ويبالغ في مساندتها من غير دليل على صحتها، وبالمقابل فهو يتعصب ضد من يضاهي معلَمه منزلة ويخالفه الرأي، وهذا مرض وجد بين بعض أتباع المدارس، حيث يذكر صاحب الطبقات في إحدى الترجمات: "وامتحن ابن دقماق بسبب هذه الطبقات-

---

(١) الطبقات السنية، ١/ ١٣٢-١٣٣.

(٢) سورة الأعراف، آية (١٢).

(٣) الطبقات السنية، ١/ ١٤٤-١٤٥.

طبقات الحنفية- لأنه وجد فيهما بخّطه حط شنيع على الإمام الشافعي، فذكر: أنه نقله من كتاب عند أولاد الطرابلسي، فعزَزه القاضي جلال الدين بالضرب والحبس، هذا مع أن الناس متفقون على أنه كان قليل الوقيعة في الناس[1].

٣. **الإعراض عن بعض العلماء:**

حيث قد يفقد العالم مكانته بين طلابه وبين الناس لتحققهم من أنه أخطأ في إجابة مسألة ما، وهنا نجد في مسيرة أبي حنيفة مع علماء عصره طريقة الحل لمثل هذه المشكلة بلا إفراط فيما يرويه أبو معاوية: قيل للأعمش في علّته: لولا أن أبا حنيفة يأتيك لأتيناك مرتين في اليوم، فلما جاءه أبو حنيفة، قال: إن الناس يستثقلونني لما أصنع بهم في الحديث وقد زدتني أنت عندهم ثقلاً، قالوا لي كيت وكيت، فقال له: لولا العلم الذي يجريه الله على لسانك، ما رأيتني ولا أحداً من أصحابي ببابك، وذلك أن فيك خصالاً أنا لها كاره، تتسحر عند طلوع الفجر، وتقول، وتقول: هو الأول، وقد صح عندي أنه الثاني، وترى الماء من الماء وتفتي به، وتجامع أهلك فإذا لم تنزل لم تغتسل أنت ولا هي، ولولا أنك تتأول من الحديث ما غاب عنك معانيه ما استحللت أن أكلمك، ولكنك تتأول شيئاً غيره والله أولى بك، فما تسحر الأعمش بعد ذلك إلا بالليل، ولا قرب أهله إلا اغتسل وأمرها بالغسل، وقال: صيام وصلاة يكونان باختلاف، والله لا أفتيت بذلك ابداً[2].

٤. **افتقار المتعلم إلى الإخلاص:**

ذكّر أبو حنيفة -رحمه الله- في نصيحته أبو يوسف تلميذه تحذيراً من مجالسة من خبثت نيته من المتعلمين، وبيّن أثر ذلك السوء على العلم وعلى الناس، فقال:

---

[1] الطبقات السنية، ١/ ٢٦٠.

[2] المرجع السابق، ١/ ١٧٠.

"وإيـاك أن تكلم المجانين، ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم، والذين لا يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل بين الناس، فإنهم لا يطلبون تخجيلك ولا يـبالون مـنك وإن عرفوك على الحق"[1]، ومقابل ذلك نجد أبا حنيفة- رحمه الله- يخـشى أن يوصـف بمـا يعـتقده في نفسه من خير، وذكر عنه أنه جعل كل وقته في الليل والنهار للعلم والعبادة أربعين سنة[2]، ومما يرويه أبو يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمع رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام اللـيل، فقـال أبـو حنـيفة: والله لا يـتحدثن عـني بما لا أفعل، فكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعاً"[3].

وقـد تـوارث بعـض تلامـيذ أبـي حنيفة حرصه على غايته من العلم والعبادة، ووضـوح هدفـه الـذي يـريده مـن ذلك، حتى زهد في الناس ومنافعهم، فمما يـروي عـن أحمـد بن إبراهيم بن محمد شهاب الدين أبو العباس أنه انقطع عن الـناس ولم يكـن يقـبل مـنهم شـيئاً، حتى اطلع على أن بائعاً حاباه لم يعد إليه، وكـان يتنكـر عـند شـرائه حاجاتـه ويخـرج بعد العشاء، ومن كراماته بعد موته خروج الناس يجمعهم إلى جنازتهم، ونزول السلطان من القلعة ليصلي عليه[4].

٥. **الاهتمام بالمنصب:**

تظهـر هـذه الـصفة بين مجتمعات المتعلمين، وعموم الناس المدعوين حيث يؤثر فـيهم قـرب مـن لـه شـرف منزلة غالباً أكثر من تأثرهم بالعالم المنشغل بعلمه، لـذلك نجـدهم يتفـرقون عن ذات العالم الذي كانوا حوله حال منصبه إذا تجرد عـن ذلـك المنصب، ومن ذلك ما جاء في تاريخ مدرسة الحنفية: "عن أبي جعفر

---

[1] الطبقات السنية، ١/ ١٩٢-١٩٣.

[2] المرجع السابق، ١/ ١١٤-١١٥.

[3] المرجع السابق، ١/ ١١٥.

[4] المرجع السابق، ١/ ٣٠٤.

الطحاوي أنه قال: كان إبراهيم بن الجراح راكباً في موكب فيه جمع كثير من الناس، فبلغهم أنه عزل- وكان قاضياً في مصر- فتفرقوا أولاً فأول، إلى أن لم يبق معه أحد، فقال لغلامه: ما بال الناس! قال: بلغهم أنك عزلت، فقال: سبحان الله ما كنا إلا في موكب ريح[1].

٦. استمرارية التّعلم:

من مبادئ التعلم في التربية الإسلامية استمرارية التعليم ولا حد للتعلّم فقد روى إبراهيم بن موسى بإسناده إلى أبي الحسن القصري، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من زعم أنه عالم فهو جاهل"[2]، ومما يؤثر من سيرة أصحاب أبي حنيفة أن أبا يوسف مرض مرضاً شديداً فلما عاده أبو حنيفة ورآه على تلك الحال قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن علم كثير. فلما عافاه الله أخبره الأصحاب بما قال الشيخ: فعلت همته ونفسه، وانصرفت الوجوه إليه، فجعل لنفسه مجلساً في الفقه، ولما سال عنه أبو حنيفة أخبر، فدفع الشيخ إليه رجلاً بمسالة مضمونها أن رجلاً دفع ثوبه إلى قصار ليقصره بدرهم، فلما عاود طلبه أنكره القصار وقال: ليس لك شيء، ثم إنه رجع عن حاله بعدها ودفع الثوب إليه مقصوراً لما عاود طلبه، فهل يكون له أجر؟ ثم أخبره أنه إن أجاب له أجر فقد أخطأ، وإن قال: ليس له فقد أخطأ، وذهب السائل على أبي يوسف وحدث مثل ما قال أبو حنيفة في الإجابتين، فقام أبو يوسف إلى أبي حنيفة وعرف مراده، وبيَن له حل المسألة ثم قال: من ظنَ أن يستغني عن التعلم فليبك على نفسه[3].

---

(1) الطبقات السنية، ١/ ٢١٩ بتصرف.

(2) المرجع السابق، ١/ ٢٨٣.

(3) المرجع السابق، ١/ ١٠٧-١٠٨.

## مصادر المعرفة الأخرى:

لا شك أن مصادر المعرفة لدى الفقهاء وعلماء الشريعة جميعاً هي القرآن والسنة، وبعض المصادر التبعيَة التي أضافتها بعض المدارس كالقياس والاجتهاد عند الحنفية، وقول الصحابي وفتواه عند غيرهم، وكل ذلك بين لا يحتاج إلى بحث لتوطيده، وإنما كانت الحاجة تقتضي التعرف على الوسائل التي اعتمدها اتباع المدرسة الحنفية مثل.

١. التقليد مثال قوله عدة مرات في الكتاب فما وقعت مسألة خلاقية إلا وانتصر بقول أئمتنا[١]، ومن خلاله ظهر انتماء أتباع كل مدرسة إلى ما جاء في تراثها من فكر وعلم، وقلَ خروجهم على ما قرره سلفهم من أحكام وقواعد في المذهب، حتى جاء عصر تجمد فيه الاجتهاد وصار العلم محصوراً في اقوال الأئمة وفتواهم، والتأليف مجمداً في الشروح والتعليقات والحواشي، ولا شك أن هذه السمة الغالبة لأتباع المدرسة بعد زمن من وفاة أبي حنيفة وتلاميذه الأوائل، خالفها بعض المجتهدين في المذهب، ولكن اجتهادهم هذا كان محصوراً وليس مطلقاً، ومن ثم فقد كان المعلم والكتاب من أهم وسائل المعرفة لدى أتباع هذه المدرسة لفترة زمنية ليست بالقليلة. قد يتسبب التقليد أحياناً بالإضرار بالعلم لا بالإفادة منه، وقد سبق وعلمنا كيف كان لهذا أثره في التعصب للمذهب ومؤاخذة الأئمة الآخرين بالهوى لا الدليل، وقد تسبب أيضاً في استمرار الفتنة العظمى التي عاشتها الأمة في خلافة المعتصم، عند استمرار القول بخلق القرآن، ذلك أنّ الخليفة لم يكن له علم بتلك الأمور، وإنما اتبع نهج سلفه المأمون وعمل بوصيته، واعتمد على علم غيره من المعلمين الذين اسندوا هذه البدعة بكل جهدهم[٢]. إن احترام المعلم وتقدير قيمة

---

[١] الطبقات السنية، ١/ ٢٦٤.

[٢] المرجع السابق، ١/ ٣٤٦- ٣٥٠.

الكـتاب لا يكـونان سـبباً في الإعراض عن غيرها من وسائل المعرفة، بل ذلك أدى إلى ركود الفكر التربوي وجموده.

٢. ذاتية التعلم، وإنما يكون ذلك بالاستعانة بوسيلة أخرى من وسائل المعرفة، هي العقـل ومـا يـسانده من حواس الإنسان وقدراته، وهذه الطريقة لم يسلكها أبو حنـيفة أو طلابـه مـنذ بدايـة إقـبالهم علـى العلم، وإن كان البعض يعتبر تعليم الكتاتيب تعليماً مفرداً، وإنما كان ذلك وسيلة للاستزادة منه بعد تلقيه من طرقه الأخرى، ومن ثم وجدنا أبا حنيفة يستخلص بنفسه وبعقله الفائدة مما يتلقاه من الآخـرين، فيـبدأ بالتعلـيم وينتهـي بالـتعلم، وهـذا ما جعل البعض يشنع عليه بالقـول بالقـياس وتـرك النص، ولهذا أورد صاحب الطبقات أقوالاً للعلماء في ذلك منها: "لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع"[1].

٣. الوسائل التّبعية منها:

أ- الـرؤى والمنامات: وقد جعل الإلهام الذي توحي به هذه الرؤى طريقاً للمعرفة عـند عـدد مـن اتـباع المدرسـة الحنفـية، ومما أورده المصنَف أول الأمر رؤيا أبو حنيفة –رحمه الله– كأنه ينبش قبر النبي ثم تفسير ابن سيرين له بأنه يثوَر علماً لم يـسبقه أحد قبله[2]، ثم ذكر منامات أصحابه ورؤياهم له بمجموعة من المنامات الدالة على علمه وقدره، فبعضهم يراه يكتب أصحابه من أهل الجنة، وبعضهم يرى قبل موته نزول رجل أبيض الثياب من السماء ومقامه على أعلى منارة في بغـداد وندائـه: ماذا فقد الناس، ثم يتوفى بعدها أبو حنيفة، وبعضهم رأى كأن القـيامة قامـت وأبـو حنيفة يحمل لواء ويقود جماعة عظيمة يقول هم أصحابي، وبعـضهم يـرى رسول الله فيسأله عن علم أبي حنيفة فيجيبه: هذا علم انتسخ

---

(1) الطبقات السنية، ١- ٩٣.

(2) المرجع السابق، ١- ١٣٨.

من علم الحضرة[1]، ...... أما تلاميذ أبي حنيفة، فعلى اختلاف أزمانهم كان منهم من يعتقد بمضمون الرؤيا والمنامات، ولذلك وجدنا إبراهيم بن أحمد البصراوي أقلع عن عمله في الديوان وجمعه المال إلى محض الانتفاع بعلمه لرؤيا كان رآها[2]، أما أحمد بن إبراهيم السروجي فقد تخلى عن كل ما له لأجل مفاد رؤيا عن رسول الله جاءه بها رجل وأمره أن يعطيه كل ما له[3]، ثم أنه قبل أن يموت جعل ديونه في دفتر وأمر بالتزامه في قضائه، وجاء رجل إلى أصحابه يدعي عليه مائتي درهم لم يجدوها في الدفتر فلم يعط، ورآه شخص من اصدقائه يقول الدائن صادق وهي في الدفتر بقلم رفيع، فعادوا وأعطوا الرجل مال[4].

زار أبو سعيد البردعي بغداد وناظر فيها داود بن علي شيخ مدرسة الظاهر، ولما وجد غلبة أهل الظاهر في المدينة قرر البقاء فيها، وبعد فترة رأى في المنام قائلاً يقرأ عليه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[5]، وأفاق على صوت دق الباب وإذا قائل يقول: مات داود بن علي، فإن أردت أن تصلي عليه فأحضر[6].

ليس أكثر من دلالة من اعتقاد هؤلاء التلاميذ بإلهام المنامات من جعل المصنف باباً من ترجمة أبي حنيفة في الرؤيا التي رؤيت له في منزلته بعد موته، وقد أوردت جملة منها فيما تقدم، ثم إنهم كانوا يقضون الدين ويمتنعون عن أعمالهم بمضمون المنام، وهذا دليل اعتباره طريقاً صحيحاً للمعرفة، وقد يكون في ذلك

---

(1) الطبقات السنية، ١/ ١٦٧-١٦٨.

(2) المرجع السابق، ١/ ٢٠٧-٢٠٨.

(3) المرجع السابق، ١/ ٣٠١-٣٠٢.

(4) المرجع السابق، ١/ ٣٠١-٣٠٢.

(5) سورة الرعد، آية (١٧).

(6) المرجع السابق، ١/ ٣٩٤-٣٩٥.

شيء من الصواب لأن رسول الله بشر بصدق رؤيا المؤمن، وجعلها جزءاً على ثلاثة وعشرين جزءاً من النبوة، ولكن لا يضطرد ذلك في جميع المنامات، وقد يلمح في بعضها شيء من الغموض، إذ قد وقع الكذ على رسول الله بنسبه قول إليه عن أصحاب المذهب وشرفهم وعلمه وبالغلط على بعض أئمة المذاهب الأخرى، فإن كان هذا لم يتورع عنه فقال قائل: "يكون من أمتي رجل اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمتي هو سراج أمتي"[1] علناً، فكيف بما جاء بمعنى ومضاد المنامات التي سبق ذكرها!

ب- الاعتقاد في منجم أو عرّاف:

أورد تقي الدين نقلاً عن صاحب "الغرف العليّة" في ترجمة أحمد بن عبدالله السيواسي: "وكان سبب دخوله القاهرة أنه كان في ابتداء أمره حين طلب العلم، رأى منجَماً صادقاً فسأله عن حاله، فقال له المنجم: أنت تصير سلطاناً، فقال: إن كان ولا بدَ فأكون سلطان مصر فإنها أعظم الممالك، فقدم القاهرة وأقام بها سنين فما صار بها جندياً، فقال في نفسه: أقمت هذه المدة الطويلة وما صرت جندياً فمتى أصير سلطاناً؟ فعاد إلى سيواس، وآل أمره إلى ملكها"[2].

بينما نجد المصنف يذكر قول المنجمين في موقع آخر، بعدما تبين غلطهم فيه حينما قضوا بأنّ المعتصم يكسر في فتح عمورية، وقضى الله بأن ينتصر نصراً عظيماً[3]، إنما أريد مما سبق الرد على من قال منجم صادق، لأن رسول الله قضى بكذبه لذاته وإن صدقت المعرفة التي جاء بها، فلا يحكم بكونه صادقاً ولا يصدَق فيما يقول، ورسول الله يقول: "كذب المنجمون ولو صدقوا".

---

[1] الطبقات السنية ولعله حديث موضوع.

[2] المرجع السابق، ١/ ٤٣٢.

[3] المرجع السابق، ١/ ٣٤٨.

ومع تقدم العصر، يبقى الناس على فكرهم القديم من التصديق بخرافات المنجمين وانتظار تحقق مقالاتهم، حتى صارت أقوالهم يعلن لها في التلفاز وغيره من وسائل المعرفة، وصارت الطريق إليهم سهلة، واقتربت مسافاتهم من الناس بتقديمهم الحظ وغيره على الهاتف المنقول ونحوه.

## طرق وأساليب التدريس:

١. طريقة الاستقراء والاستنتاج: يظهر هذا الأسلوب بصورة عملية مما أورده مؤلف التراجم في استقراء التاريخ أحداثه وزمانها، عندما ادعى بعض اليهود على رفضه أداء الجزية لوزير القائم بأمر الله. بشهادة الصحابة -رضي الله عنهم- على كتاب رسول الله الذي أسقط فيه الجزية عن أهل خيبر، ووقع الناس في حيرة من الأمر، فعرض الوزير ذلك على أبي بكر خطيب بغداد، فتأمله ثم قال: إن هذا مزورّ، ولمّا طولب بالبيّنة استدل بشهادة معاوية بن أبي سفيان، وسعد بن معاذ، على الكتاب ومعاوية أسلم عام الفتح بعد فتوح خيبر بسنة، بينما توفي سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين[١].

٢. أسلوب القراءة: شاعت هذه الطريقة بين تلاميذ الحنفية ومعلميهم، ومن أمثلتها إبراهيم بن أحمد البصراوي الذي قرأ على شيخوخه كثيراً من الكتب والاجزاء حتى اشتهر بحسن القراءة[٢].

٣. أسلوب السماع: تميَز هذا الأسلوب بتنشيطه ذاكرة التلميذ وقدرته على الحفظ، حيث كان الأستاذ يقرأ والتلميذ يسمع بلا كتابة، وهذا الأسلوب دفع المعلمين إلى عقد مجالس الإملاء فيما بعد، وقد وجد مثل ذلك في مدرسة الحنفية، حيث

---

(١) الطبقات السنية، ١/ ٣٢.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٢٠٧- ٢٠٨.

ذكر في ترجمة أحمد بن إبراهيم العقيلي أنه سمع على بعض شيوخه جزء الجابري[1].

٤. أسلوب المناظرة: وجد هذا الأسلوب بين من علت مرتبتهم في العلوم موضوع الدراسة، وكان بعض أصحاب أبي حنيفة مشهوراً بالمناظرة، حتى وصف بأنه أنظر الأصحاب في زمانه[2].

٥. الأسئلة: وهذه تكون غالباً طريقة المستفتين أكثر من كونها منهج طلاب المدرسة[3].

٦. الحفظ: قد يصدق هذا الأسلوب أنه من أساليب التعليم الذاتي أو الفردي، وقد اشتهر بعض الأصحاب به حتى وصف بعضهم بأنه حفظ مذهب أبي حنيفة[4]، بينما حفظ إبراهيم بن محمد بن سعد الدين الديري: المغنى للخبازي والمختار والمنظمة والتلخيص، وحفظ الحاجبية وقطعة من مختصر ابن الحاجب[5].

٧. الملازمة: ورد في بعض ترجمات الأصحاب ذكر الملازمة، ولكنها ليست متكررة أو عامة، مثالها ملازمة أحمد بن إسماعيل القادري شيخه الزين قاسم وأخذه عنه كثيراً من الفقه والأصول والحديث[6].

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٥.


(٢) المرجع السابق، ١/ ٢٥٤.


(٣) المرجع السابق، ١/ ١٨٧.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٢٥٤.

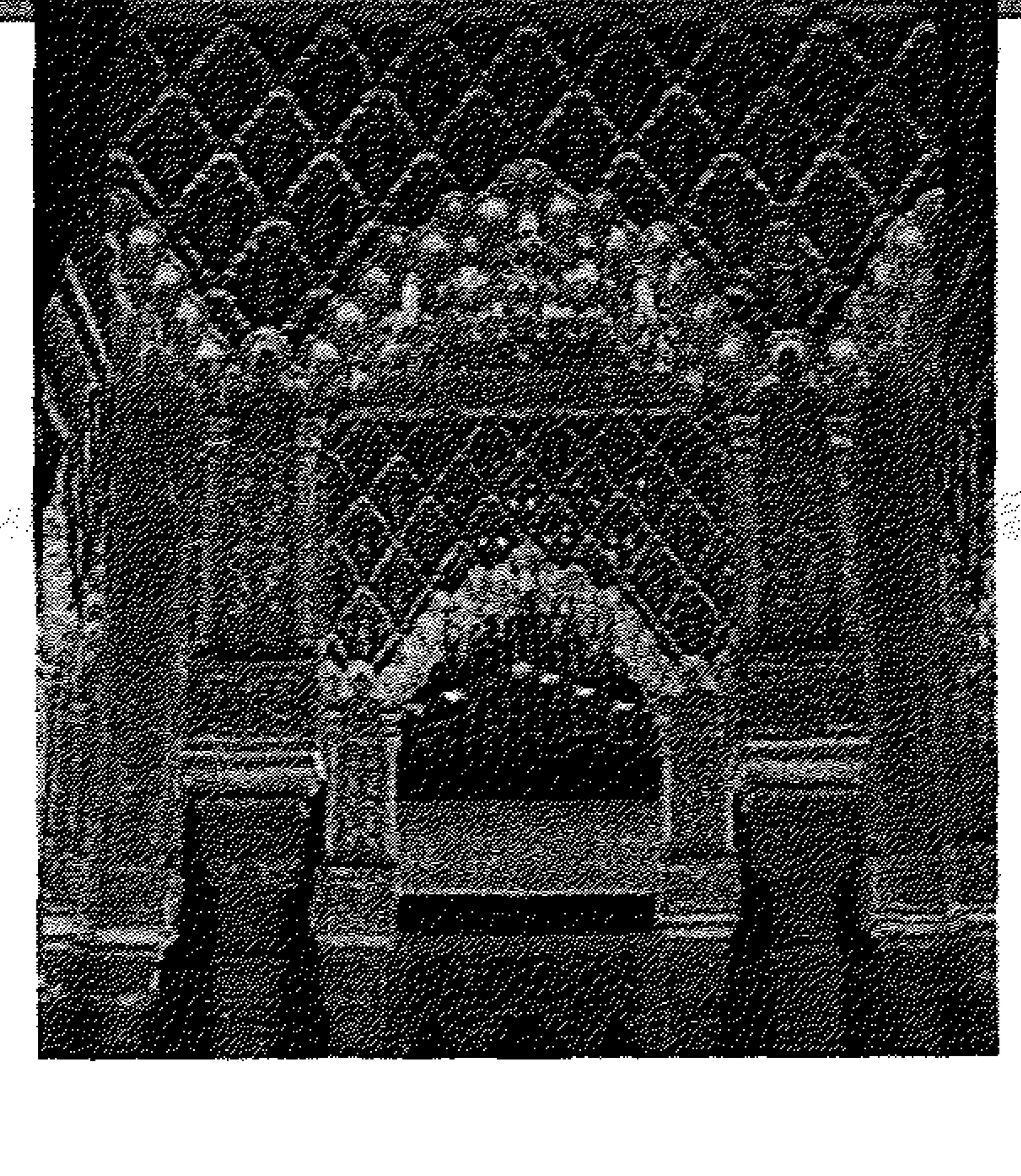
(٥) المرجع السابق، ١/ ٣٦٦.

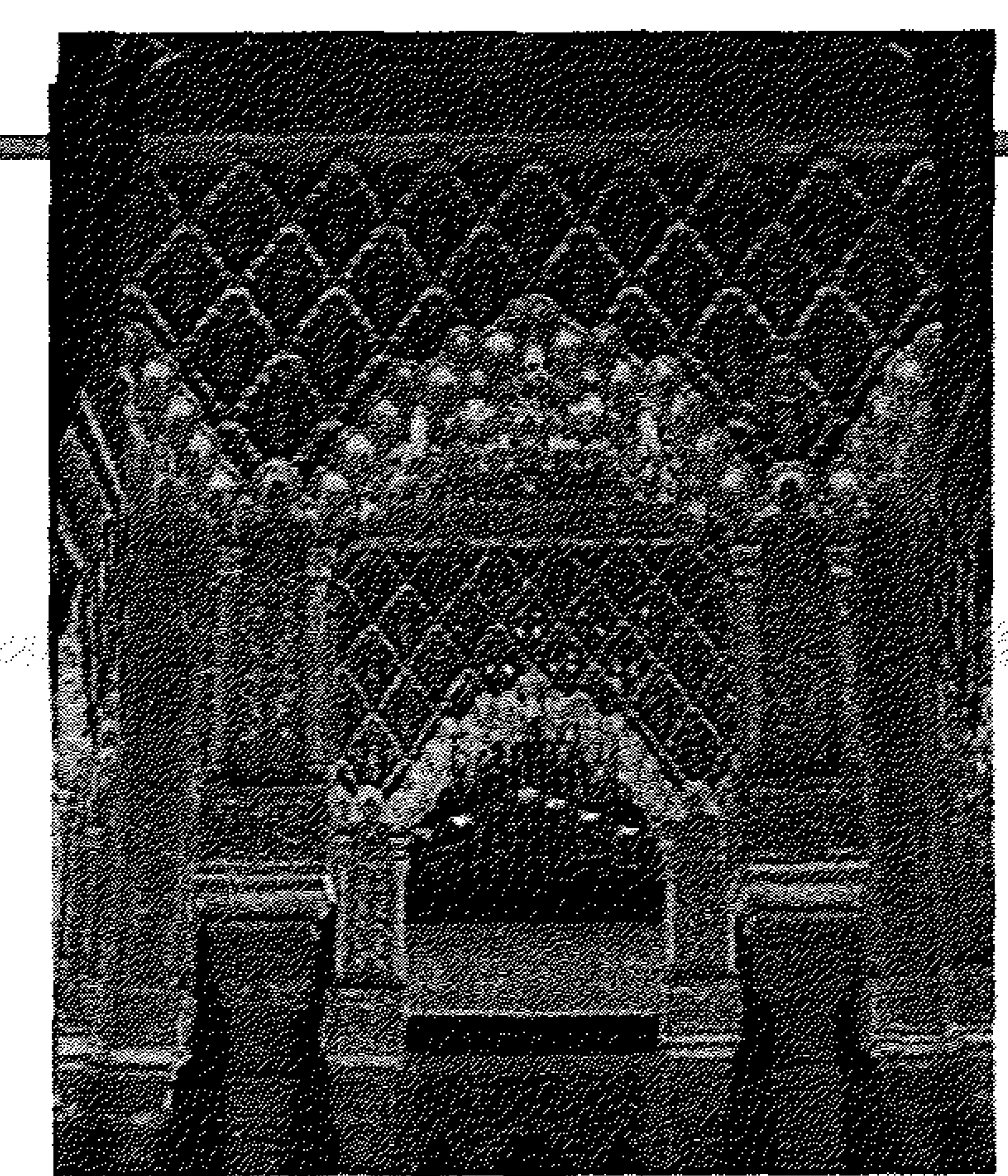
(٦) المرجع السابق، ١/ ٣٢١.





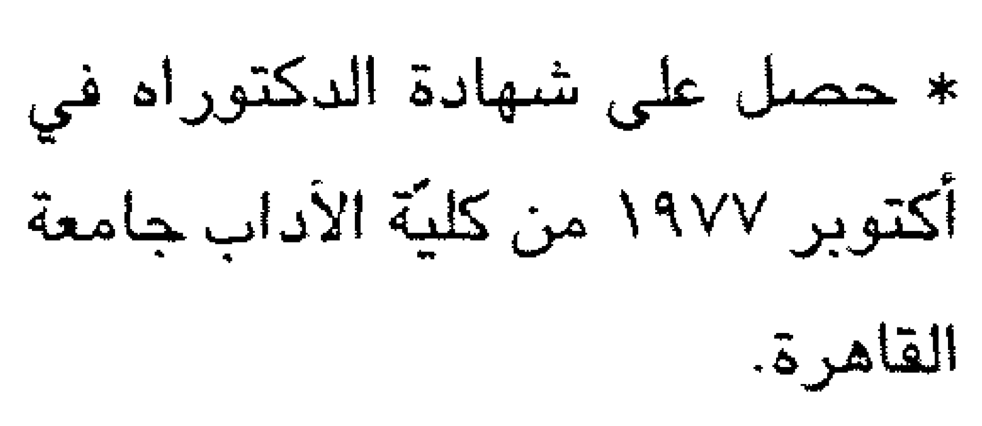
# التّربية والتّعليم في كتب التّراث







أ. د. عبّاس محجوب محمود



* حصل على شهادة الدكتوراه في أكتوبر ١٩٧٧ من كليّة الآداب جامعة القاهرة.
* يحمل دبلومين عاليين في التّربية من كليّة التّربية/ جامعة عين شمس١٩٧٣- ١٩٧٤- ١٩٧٥.
* له مؤلّفات متعددة في التّربية والأدب ومشكلات تعليم اللّغة العربية.
* عمل أستاذاً بالجامعة الإسلاميّة في المدينة المنّورة من ١٩٧٦- ١٩٨٣، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٣- ١٩٩٢، وجامعة القرآن الكريم في السودان ١٩٩٣- ٢٠٠٤، ثم أستاذاً زائراً في كليّة الشريعة جامعة اليرموك بالأردن منذعام ٢٠٠٤.
* تولى في السودان عمادة كليات اللّغة العربية والدّراسات العليا ومركز بحوث القرآن الكريم ومركز الطالبات.
* يعمل مستشاراً ومحكّماً لعدد من مراكز البحوث والدّراسات في العالم العربي.
* شارك في دورات دراسية عالمية في نيجيريا والفلبين.
* شارك في كثير من المؤتمرات العربية والإسلاميّة آخرها مؤتمر حقيقة الإسلام في عمان الأردن ٢٠٠٥.
* أشرف على أكثر من (٦٠) رسالة ماجستير ودكتوراه في جامعات مختلفة في مجال التّربية واللّغة والآداب آخرها أول رسالة دكتوراه في التّربية الإسلاميّة في كليّة الشريعة جامعة اليرموك مايو ٢٠٠٦.




عالم الكتب الحديث
للنشر والتوزيع



اربد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: ٢٧٢٧٢٢٧٢ - ٩٦٢+ خلوي: ٥٢٦٤٣٦٣ - ٠٧٩
فاكس: ٢٧٢٦٩٩٠٩ - ٩٦٢
صندوق بريد (٣٤٦٩) الرمز البريدي (٢١١١٠)
almalktob@yahoo.com

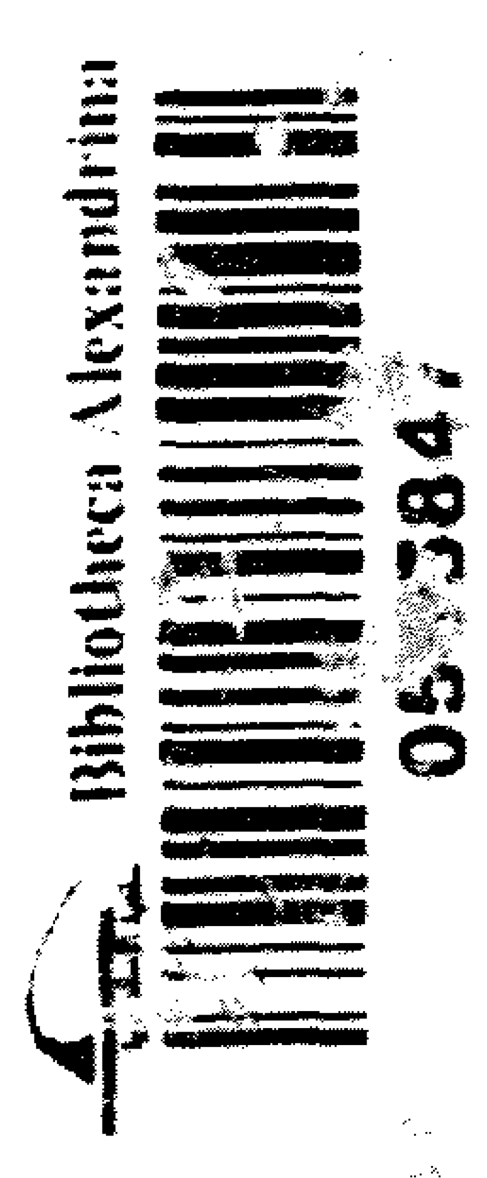


جدارا للكتاب العالمي
للنشر والتوزيع



عمان-العبدلي-مقابل جوهرة القدس
خلوي: ٠٧٩٥٢٦٤٣٦٣






ISBN 9957-466-72-0





9 789957 466725